

- رد -

الفترة الجامعية كاملة (١٩٨٦ - ١٩٩١م)

مجموعة قصص قصيرة

محمد نبيل الخربوطلى

رد (مجموعة قصصية)	اسم الكتاب
محمد نبيل الخربوطلى	المؤلف
دار سما للنشر والتوزيع	دار النشر
٠١٢٨٤٣١٨٤٤ - ٠١١١٣٠٦٨٤٠٩ - ٠١١١٩٥٧٨٤٢٧	التليفون
الأولى	الطبعة
٣١ ش الإمام - جيزة - جمهورية مصر العربية	العنوان
٢٠١٤ - ٩٢٧١	رقم الإيداع
٩٧٨ - ٩٧٧ - ٦٣٧٤ - ١٢ - ٦	الترقيم الدولى

جميع الحقوق محفوظة للناشر ولا يسمح بنسخ
الكتاب أو جزء منه بأي طريقة كانت ورقية أو
إلكترونية إلا بإذن كتابى من الناشر

مُحْفَوظَةٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ



التسويق والإخراج الفنى: المكتب العربى لخدمة الكتاب والتراث

٠١١٤٥٣٢١٣٨٧ - ٠١٢٢٠٣٧٨١٢٥ - ٠١١١٥٧٤٢٣٠٣

- رد -

الفترة الجامعية كاملة (١٩٨٦ - ١٩٩١م)

مجموعة قصص قصيرة

بقلم: صيدلى

محمد نبيل الخربوطلى

عدد القصص (٥٩)

(١)

أين الملاذ؟

طرقت الباب الصلد طرفتين واهنتين.. أطلت زوجة ابن عم ولدها.. علت الدهشة المرأتين.. ولجت في سرعة.. كانت عيناها تدور في المكان متسائلة عن ملاذ.. اطمأنت أن هذا المكان ملاذها.. بعد الحديد الذي ارتوى من المطر الناقر للنوافذ ولجت إلى حجرة موحشة.. تمددت في سرير مهمل.. كاد أن يصرعها بكاء الأبناء.. انهمرت دموعها.. إنها لا تصدق أن ابنها وابنتها قد طرداها من رحمتها للأبد بحجة ضيق ذات اليد.. هتفت في أمّ الهمرم.. (سبعون عاماً- وبلا ملاذ).. شكرت في صمتها المطبق حوارها مع زوجة ابن عم ولدها وابنتها.. وكذلك العشاء المتواضع.. لم يرحمها المطر إذ فجّر بها أمارات الشك- تساءلت: (هل هذا المكان ملاذها الأخير)؟..

قلبها الرحيم أبي أن يسخط على ولديها ولكن أحزانها كانت فوق الاحتمال.. قاومت ذاكرتها التي تئن بأنها هي التي ربتهم صغيرين.. أرضعتهم الحياة والحنان، وأن كل نفقاتها أقل من نفقة رضيع واحد من أحفادها- رفضت أن تُنزل بهما السخط والدعاء المكظوم الذي يصر أن يصهرهما في الدنيا والآخرة جهنما.. أخذها النعاس.. استفاقت بعد بضعة ساعة اثر طرق عنيف كاد أن يحطم الباب الصلد.. توقعت أن يكون الطارق ابن عم ابنيها.. رفعت عينيها إلى السماء.. لأن بديل هذا المكان- هو التشرذ- سمعت حواراً صاخباً كثيراً.. مفاده أنها غير مرغوبة في هذه الدار.. لأن ولدها ربما تشاجر مع صاحب الدار منذ شهور.. أمر زوجته أن تطردها الآن، أسقط في يد الزوجة- تجمدت في مكانها- الزوجة استرحمت الزوج ولكن قلبه كان صلداً (أين الملاذ في هذه البلدة المطيرة وهذه العواصف)؟، هكذا تساءلت الزوجة- كان رد الزوج عنيفاً (لتذهب إلى الجحيم)- أصرت الزوجة على عدم إطاعة زوجها وطلبت منه هو أن يطردها

أن أراد.. كانت مستعدة للخروج النهائي من الدار- فتحت الباب ونظرت نظرة المستضعفة.. شكرت الجميع.. فتحت الباب وخرجت- بعد برهة، سمع الجميع صوتاً ما- كان الصوت.. صوت سقوطها في الدرج.. عندما وصل الجميع إليها كانت قد أسلمت الروح باكية..
ناقمة على الجميع.

(٢)

ويا قلبى لا تحزن

لقد أدرك الآن كل شىء.. تساءل فى مرارة.. هل من الممكن أن تخونه بعد كل هذا الحب؟ بالطبع مستحيل.

راح يهرول فى المكعب الأسمنتى.. خطأ إلى كل شبر.. ولم لا وكل موضع حدثه من قبل عنها.. يجب الآن أن يصحح أفكارها عنه.. سيقول لا أنها رفضت قلبه.. وسيسألها عن سر ذلك وهو على يقين أنها ستجيب.

وأثناء نزيفه أبرقت الفكرة فى رأسه.. إنه الأمل الأخير.. سيقول لها آخر كلمات أغمس سبابته فى القرص وأدار ما اعتداده.. انه لعل على يقين أنها هى.. ذلك هو الموعد الذى كان يتحدث فيه إليها. إقتلعت اليد.. كان يعرف لحنها.. تحدث.. مستحيل.. كيف.. كيف يمكنك بعد كل.. لا تغلقى طريقى بهذا العنف.. أريد فقط أن أعرف السبب.. أقسم لا أريد أكثر من ذلك..

ولكنك تعلمين أن كل هذا ليس بيدي.. سأبيع كل ما أملك.. الآن أنت تفصحين.. هات ما عندك.. الآن تدعين أنك مرغمة.

ساد الصمت

هوى بيده على الطريق المسدود.. أدمع.. هو نفسه لم يصدق أنه يبكي.. اتجه إلى المرأة.. التقط دمعة بثها بين أنامله.. تعجب.. أهذه دموعي؟

كان ينبغي أن تكون دماً.. لا أستطيع أن أعيش بدونها.. هذه الملامح التي حفرتها بوجه مكتبي أين أذهب بها؟

هذا اللحن الذي يهز كياني.. هل يموت؟ هل أستطيع أن أنأى عنه؟ والدار التي شيدتها هناك؟ ليالينا سوياً.. رحلاتنا.. منازعاتنا.. ضغط بإبهامه.. انطلق الصوت الرخيم لكأنه كان يريد كل ما انطلق من موجات.

هوى بكفيه على دار العشق العتيق.. خرس الصوت.. انفجر.. هراء.. هراء.. كل ما تقولينه هراء.. كل ما تقوله هراء.. نعم.. عشت معكم تبزعون إليّ عبر طريق أسود طويل.. تثرثرون وتثرثرون.. أنتم أنفسكم من عذبتكم فكانت لياليكم.. أنكم لترسمون على الأمواج خطوط من الوهم.. أنتم مثلها.. كلكم خنتموني.

كلكم خنتموني.. ألف ومئتان وأربعة وخمسون ليلة معكم ومعها وفي النهاية لا شيء.. لا شيء.. لم يعد هناك لكم قيمة ولا لى.
فتح الباب فى كثير من الهدوء.. ابتسم لأسرتها المصغية فتحدث فى نفسه.. بلهاء.. هبط الشارع.. اصطدم بالأمواج فلأذ بشراع مما ينويه.. ها هو يصل إلى مكانهما المفضل الذى كان.. كل شيء يبدو هادئاً.. مياه النيل تمر على استحياء بجانبه.. عندما ظهر جحظت عينا الشحاذ الذى اشترى هذه الدار من قروش هذا الشاب.. مد يده وهو على يقين بما سيسقط بها.. أهمل ثرثرة سكان هذه الدار.. اقتربا.. أخذ الشحاذ يتظاهر بأنه غير مكترث بأى شيء أعمل الشحاذ يده فى النافذة فوصلته الكلمات ولكنه كان فى وادٍ آخر.. تظاهر بالانصات.. تقدم الآخر، أخذ يحرق فى الأمواج.. صدرت الموجات.. انطلق إلى الأعماق زاد إنصاته.. وقد بلغ عدد شهداء الانتفاضة ألف بعد مقتل شاب اليوم.. لم يستطع الانصات فقد ذهب مذعوراً بعيداً خوفاً من الاتهامات.

(٣)

رياح الغُربة

مشى الرجل الكهل في شارع ضيق بخطوات متهالكة ثقيلة حتى وصل إلى مبغاه وهى قهوة صغيرة حيث جلس في كرسى معين وما أن استكان حتى فاضت عيناه بدمعتين ما لبث أن أزالهما. أحس بيد حانية تربت على كتفه.. أدار وجهه لم يكن سوى صديق عمره ولكن الصديق انزعج- ما بالك إننى أراك حزين جداً؟

- اجلس الآن وسوف أطالعك بما حدث.

- وجلس الصديق الوفي ها آنذاك قد جلست هات ما عندك.

- ودس الرجل يده في جيبيه الداخلى وأخرج منها خطاب ثم أعطاه إياه.

- خذ اقرأ هذا الخطاب.

وفعل الرجل وظهرت إمارات الحزن العميق على وجهه وقال:

لا بأس.. لا بأس.

- لقد ذهب.. عشت سنوات عمرى كلها أراقب نموه.. لقد كره الناس. جميعاً إحصاء السنين لأنها تذكرهم بالقبور والموت أما أنا فكنت أتعجل السنوات لأراه رجلاً وهذه هى النهاية، تركنى ولم يترك سوى خطاب رقيق المعانى قاسى الواقع.

- لا تحزن يا رجل سيعود.. سيعود ولكن اصبر ولا تتعجل.

لا يعود لن يعود.. كان ينظر إلى حجرى باشمئزاز.. إننى فراش بإحدى

المدارس ولكن هذا العمل استطعت أن أجعله طبيياً، كيف يتركنى؟

لقد عشت سنوات عمرى مسخراً لتحويل حلمه الوردى إلى حقيقة..

لم أبخل أبداً بالتعب والشقاء من أجله، لم أكن أعلم أن هذه هى النهاية.

- وهل تظن أنها النهاية؟ كلا يا صدىقى لعلها البداية، بداية

شقاؤه وتعبه لقد تخلص من أقوى روابط الحياة رابطة الابن بأبيه

وذهب إلى طريق جديد لا يعلم أين؟ لقد أباحت له غريزة الترحال

فليرحل وليترككك فى سلام ولكن اعلم أنك أب وهو ابن وهو دائماً

محتاج إليك وما عليك الآن إلا أن تأمل في يوم رجوعه إلا وهو رجل
بمعنى الكلمة ولكن ما أظنك مقابله بعد الآن.

- إذن فسوف أعيد كره الوحدة وأعود أنا وأنت كما كنا في
البداية ليتنى لم أتزوج ولم أنجب مثلك لقد فقدت الحبيبة بموتها
وفقدت عمري بهروب الابن.

(٤)

الحب الذى ضاع

هو: أين حبك الذى جمع بين قلوبنا؟ أين الأنشودة العذبة التى
أضافت البهجة على حياتي؟

هى: لقد أختلط بأدران الحياة، لم يصمد أمام تيار الواقع
هو: لقد كنت أعلم أن حبنا أقوى من أى شىء.

هى: لقد قلتها بنفسك كان وما مضى فُبرنى قبور النسيان.
هو: ليس كل شىء عُرضة النسيان.

هى: لا تحدثنى عن أوهام.

هو: إذن فحبنى لك وهماً.

هى: بل حبنا وهماً

هو: أو مازلت تحبيننى؟

هى: إن الحب الذى أحبته لك لا يوجد له مثل.

هو: ولماذا العذاب؟

هى: لأن العذاب جوهر الحب.

هو: لماذا الفراق؟

هى: لأن الحب وحده لا يكفى.

هو: إننا حبيبان.

هى: ولكننا لا نستطيع أن نحول حبنا إلى حقيقة، لا نستطيع أن نحلم بعش هادئ.. لا نستطيع أن نكون.. إنها حكمة القوى التى تزج بالحب فى حياتنا ثم تلعب لعبتها الشهيرة ويكتب على المحبين العذاب.

هو: ولكن..

هى: لا لكن لقد قُضى الأمر.

(٥)

إشراق الدمع

سار الصديقان على درب غائر في يَم من الزهور مفعم بالشذا
ولكنهما لم يكونا حاسين بذاك المنظر البديع الذي أخرجته الطبيعة
بقدرة البديع انحدرت دمعتان من مقلتي أحدهما أسرع بمسحهما
ولكن يد الثاني ربت على كتف صديقه سامح وهو يقول:
هدئ من روعك يا سامح إن هذه المرة الأولى التي أراك دامع
العين فيها.

سامح: أو كنت تظنني بعيداً عن الدمع وأن القدر لن ينال من مقلتي؟
سمير: إن عشمى لأكبر من ذلك.. أنا لم أعهدك ضعيفاً هكذا.
سامح: كل شيء يهون بعد أن نفذ كبريائي قطرة قطرة أمامها، بعد
أن لفظ غرامى أنفاسه الأخيرة بعد أن أوقف الكره نبض الحب بقلبي.
بعد كل هذا كل شيء يهون.. كنت أظن أننا أقوى من القدر ولكنها.

سمير: ولكنها حواء المعهودة يا نديمي.. حواء التي أسقطت آدم من قبل إلى الأرض.. حواء التي خرجت من ضلع أعوج لتظلم الكون وتبدد الابتسامات.

سامح: أحقاً كانت حواء؟ لقد عشت في كنف حبها سنوات عمري الغابرة شيدت تحت ظلال حبها صروح مستقبلتي القادمة.. هل هدمت كل شيء؟

هل أفسدت كل شيء؟ إنني أحلم، لا أصدق أننا قد افترقنا وأنها حواء. سмир: هكذا المرأة تُغري بالمال.. لقد حلمتُها ولكنكما كنتما كمشيدي بروج الرمال على الشاطئ فأطاحت بها أولى أمواج الحياة. سامح: لقد ضحت بحبي من أجل المال لم تكن تعلم أن القلب لا يشتري بالمال لم تكن تعلم أن إنساناً لا يستطيع أن يضع بالبنك رصيد السعادة والهناء، لقد تناسيت أن الفؤاد هو موضع الثراء وأن الحب هو وسيلة التداول.

سمير: كف عن ذكرها وأقبر ذكرياتها وبدد صورتها حتى تجد حباً جديداً مع الفجر الجديد.

واتسعت حدقتنا سامح وقال في صوت يخنقه الدموع: أتريد أن

أنتظر حتى الحب الجديد أتريد أن أسلم قلبي إلى حواء مرة أخرى
أتريد أن أحطم قلبي من جديد أتريد أن أنسى ذكرياتي الجحيمية
وأمل من جديد؟
أتريد أن تجعل لقلبي موضوع لحب؟ كلا يا صديقي لقد انتهى
أمر الحب.

(٦)

(حى على الصلاة)

كانت الشمس تميل إلى الهروب وقد هبط إلى الشارع مختلفاً إلى أحد الالتزامات ها هو جاره السمين يحييه فيرد التحية ثم يستمر. ها هو صديقه يتوجه إليه يسأله عن الحال فيحييه بأنه فى أحسن حال- ثم يسأله عن ذاك الشخص الذى عاداه فلا ينس بكلمة ولكأنه يفيد بأنه لا يستحق الحديث عنه واستطرد المسير.. رأى الوجوه التى دائماً يراها وردد تحية كل فرد.

حتى جاء الشخص كان يقف على الرصيف فاختلف هو الى الآخر ليتفادى تحيته الا أن شيئاً قد حدث فلم يستطع كلاهما أن يمنع طرف عينه من التسلل إلى الآخر فما أن التقت شذرات النظرات حتى ساد الصوت الوجوه وزاعت الأبصار من المقابلة وحدثت نفس كل صدر عن الآخر.

ولم يعبأ هو بكل هذا لقد وصلت علاقته به إلى النهاية المحتومة

ولكنه لم يواجه نفسه قائلاً من المذنب؟
فقد كان الأمر صعب الحسم ولاذ بالبراءة من بدء العداء ولم
يعد لينافس نفسه مرة أخرى في أمر كهذا..
ولا يعلم كيف استطاعت الكراهية أن تصل في قلبه لمثل هذا
الكم.. لكان قلبه ينبض كراهيته؟!
إنه لا يتصور مجرد التصور أن يتجه إليه وأن يلقي عليه تحية
السلام ولا يتخيل أن يلمس يده مصافحاً في يوم من الأيام.
ورغم أن البداية كانت ضئيلة إلا أنه لم يعلم كيف وصل الشقاق
إلى هذه الدرجة وكيف بنى الخصام والجدال كل هذا الجدار الذي
قصمهما رغم علاقتهما والتي لم تكن قوية إلا أنها لم تكن أيضاً ضعيفة.
وأنجز مهمته في هدوء ويسر وسمع صوت المؤذن يقيم الصلاة
فأخذ سبيلاً إلى بيت الله وتوضأ واتخذ موقعاً في الصف الثاني ومضت
برهه فإذا بالعدو اللدود يدخل المسجل ويقف بجانبه.

(٧)

احبها

كل ما يسبب له القلق أنه أحبها.. ومبعث هذا القلب ليس هي بل تأثيرها عليه.. والشئ الآخر الذى كان يعاينه هو.. ماذا عنها؟
انها المشكلة الأزلية التى لطالما جمعت حواء وآدم والتى كان يسخر منها فيما مضى ولكن هذه اللحظات كانت دليل قاطع أنه أخطأ عندما سخر من شئ لم يعهده.. أخذ يسير على غير هوى وقد انفعلت ضربات قلبه وهو لن يدري ماذا يفعل؟
هل يتجه إليها ويقحم نفسه فى عالم عينيها الزرقاوين الجميلتين ويقول لها كل ما يعتمل فى قلبه؟
ولقد هم بذات مرة ولكن لم يستطع عندما كانت الخطوة الأخيرة بينهما.. ومضت ساعات النهار التى كان يعهدها على أمل أن يراها وعندما يفشل فى ذلك.. يأتيه الليل الذى لا محالة يجيئه.
وساعتها تنشق سحائب الظلام عن وجهها وتطارده ابتسامتها

التي لم يرها إلا قليلاً ويشتاق إلى صوتها الذي لم يسمعه إلا مرة واحدة.. ولكن مداه لا يزال في ذهنه.

ولما يستفيق على الواقع يعرف أنه لا يزال وحيداً.. فتكثر همومه.. ويعود لو أن يخرج إلى الشارع أو يحطم جدران الصمت التي تسجنه ولكنه لا يستطيع يود أن يرسم صورتها ولكنه سخرمن نفسه بابتسامة باهتة فقد كان يعلم أن عينيه لا تبصر من صوتها فهي أمامه في كل حين.

وفي نهاية الليل لم يستطع أن يتحمل فدق الحائط بيده فانفجر الصوت وقرر أن يذهب إلى أي مكان وبالفعل شق له طريق وسط تيه الوحدة إلى وحدة أخرى.. كان ما يؤنسه بها النيل الصامت الذي لا يتحدث أبد الدهر والريح التي تسخر من حوله وتعذب غصون الشجر فتصرخ ويصرخ معها.

ود لو أن يقبض على الريح ولكنه لم يستطع.
في مثل هذا الجو الهادئ بث الحب إليه التصميم فقال في صوت رقيق سأقول لها الكلمة.

نعم.. أنا لست جباناً.. ولكن هل ستكون اللا بالنسبة إليّ بهذه السهولة التي تبتسم بها.. أو حتى تبكي بها؟

إن (اللا) شرخ لكرامتي من قبل قلبي.. نعم سأفعل كل شيء.
سأواجه عينيها الزرقاوين الرائعتين وأتملى في ملامحها الملائكية.
لن أهاب أى شيء إننى أشعر أنها تحبنى لقد قالتها لى.. نعم لقد
نظرت إليّ حتى الآن ثلاثين نظرة كل منها دهنراً كاملاً..
وسار على هذا الأمر..
وبعد عام سار على هذا الأمر أيضاً.

(٨)

إنه أراد.. ولكن..

جلس في كثير من الراحة والاسترخاء وأطلق الصعداء ثم أحكم قبضته على ما فيها من ورق ثم نظر إلى الورق بعد أن فرد دفته أمام عينيه وابتسم، وقال: الآن لا يستطيع أن يفعل شيئاً.. إنه ساذج يحسب أنني سأعطيه مليم واحد من مالى.

نعم أنا اعترف إنه أذى ولكن الخصام مستشرى بيننا منذ زمن طويل.. إنه طماع لص.. لطالما كنت أعطيه ولكن لم يعد هناك بد من أن أعدم هذه العادة، لقد علمت كيف سأذله بعد الآن حتى لا يتناول عليّ بعد ذلك.. أن كل أموالى ستصير إلى ابنتى.

ثم أطرق برهة وأطلق رفرة ارتياح وقال: ابنتى.. إنها الجمال الذى يُجَمَل حياتى.. الروح التى أعيش بها.

رقية كالنسمة جذابة كالبسمة وهادئة كالنظرة.

لا تقلقى يا بسمتى الحبيبة لسوف أعبد لك كل الطرق، لن

تشعرين بلحظة بؤس واحدة بعد مماتي.. لقد جمعت لك كل مالى
وسأضعه تحت أقدامك ولسوف يكون هذا المال حارسك.. وحاميك..
إن البشر الآن مقيدون بقيود النقود مسجونين برائحة العملة ما إن
تظهر لهم الأوراق حتى تنتهى كل أطعامهم لأنك ستسلمينهم ما
يريدون وتمتلكين أنفسهم.

قال عمك أننى أضيع حقه.. هو حقه وليكن كذلك ولكنه طماع
لا يشبع.. وقال إننى أذهب حق الله الذى سيؤول له فى مالى ولكنى
لن أعطيه مليماً واحداً، كل منازلى قد بعتهإ إليك والعقود كتبت
وانتهى الأمر، أما هو فليحطم رأسه بصخور عناده.

سيقول بعد ذلك أشياء كثيرة ولكن لا يهمنى فقد ضمنت لك
كل الراحة، وما إن انتهى من هذا الخاطر حتى رفع السماعه بعد
رنين متقطع وبعد عدة كلمات ارتسمت أمارات الذهول والحزن على
وجهه.. تجمدت الدموع فى عينيه وصارع الهواء معترضاً وهمس فى
حرقة وحزن مندهشاً مذهولاً: أحقاً ماتت ابنتى؟

(٩)

(زائر الليل)

المكان بعيد والزمان بقلب الليل.. القمر مختبئ بين السحب
والهواء يداعب الأغصان وصوت الزوجة الرقيق ينادى الزوج العصامى
بأن العشاء قد أعد..

مضت دقائق وأجلب الهواء صوت طرقات فقام الزوج فإذا به
يجد شحاذاً فلم يتردد فى دعوته إلى الطعام.

هذه هى عادته يحنو على كل الضعفاء ربما لأن قلبه قاسى
ما قاسوا، ودخل إلى البيت فى وجل وقد التصقت نظراته بالأرض
وشجعه الرجل بأن يدخل إلى حجرة الطعام.

مشى خطواته السبع فى أسماله الباليه وقد برزت لحيته على غير
هدى وشعره الأشعث يعلو قسماته القانطة واستقر أخيراً على أحد
المقاعد.. ودعى الرجل زوجته إلى الجلوس ومرت برهة قليلة.. كانا
قد عرفا بعضهما فيهما.. الشحاذ وهى

وزاعت نظراته حاول ألا ينظر إليها أما هي فقد أرادت أن تبتعد عن الجميع فاستأذنت في الذهاب، ألا أن الزوج أبي ذلك وصمم على مكوثه. لم تتحمل لحظات المواجهة.. لاحظ الزوج الشحوب الذي اعتراهما فوجدوا نفسيهما مضطرا إلى الإفصاح عما كان بينهما، فلما تساءلت أعين الزوج في دهشة فجرت المرأة الموقف فقالت:
لقد كنت زوجته فلما أتى شحاذاً لم يتصدق، إنه بخيل فأردتُ الطلاق فهو على غير سجيته وإني لأراه مثل الشحاذ، فضحك الزوج كثيراً بعد تفاصيل أكثر وأشعل الفتيل قائلاً: لقد كنت أنا الشحاذ!

(١٠)

"لا"

كان لابد أن يفعل ذلك، لطالما حاول التملص من هذه الأزمة الا
أن الموقف كان كخيوط واهية كلما حاول أن يتخلص منها تشبثت
به، كل ما يتعجب منه هو ما هو بصدده الآن إذ كان يعتقد أن
السذاجة هي ما سيفعل فقد كان يبحث بين ثنايا العالم عن الحب
ولكن لم يكن يتصور أبداً أنه سيجد الحب ثم يسفحه بيده هو لا
بيد غيره.

إنه يتذكر الآن وهو على وشك أن يقابلها كيف كان يحلم بهذا
الموعد.. موعد حب خالد وتحقق حلمه لأنه الموعد الأول وبيده الأخير.
علاقته بها ترجع إلى أطياف الماضي الذي أنبتته في قلبها فأحبتة..
كم كان يختلف إلى دار عمه ولكن لم يكن يعلم أنه في كل مرة يروى
بذرة غريبة لم يكن هو الذي بثها، ولم يعلم تماماً كيف علم بهذه

البذرة؟ ربما وجه صديق له نظره إلى هذه النظرات متعجباً ومقرراً أنها تحبه.. وكم كان مذهولاً حينما عرف ذلك.. كان يحبها نعم ولكن لم يشعر قط بأن حبه سينحرف إلي عاطفة الرجل والمرأة.. فقد كانت أخته نعم هي ابنة عمه ولكنه كان دائماً ينظر إليها كأخته.

وفي يوم، حدّقها، وأخذ يحدث نفسه أهذه العينان الزرقاوين تريداه.. وهذه الملامح الملائكية تبغاه وهذه الابتسامة النيلية رسالة له؟ ما هذا؟ بالتأكيد أنا في غفوة.. كيف يحدث كل هذا وهو لا يعلم.. أخيراً وجد المبعغى.. أخيراً علم الطريق إلى حبه الذي كان دائماً يسعى من أجله، ولكن كم كانت حسرته فلم يستطع أن يحبها.. لم يستطع أن يحب العينين الزرقاوين رغم حبهما له ولم يستطع أن يبث ابتسامة صافية كما كانت تفعل هي ولم يستطع حتى إن يحيد عن كونها أخته.

حاول في أطياف الأمسيات أن يتخيل مرآها الا أن صورتها كانت تهرب من بين جفنيه.. كان إذا سار في الطريق رأى ابتسامات ويؤكد لنفسه أن ابتسامتها أبرأ نظرات ولكن نظراتها.. كما يحاول أن يؤكد

لنفسه- أهدأ، كانت النتيجة فشل.. فلم يستطع أن يقنع نفسه بها كحب وهو الذى يريد الحب، واعترف: لم أستطع أن أحبها، وفجأة أحب.. ولكن لم تكن هى، كانت أخرى واعترف بينه وبين نفسه أنها لن ترتقى إلى جمالها ولكن اعترف أيضاً: أحبها.

لم يستطع أن يعرف ماذا يفعل ولكن كل الذى كان يدور بخلده أنه وضع يده على الطريق وأن حبه الخالد الذى يريد سيدنومنه وسينادمه، إذن لم يعد ثمة خطأ لابد أن يقتحم تلك المصاعب لابد أن يقتحم الطريق إلى من أحب ويقول لها الكلمة.. وفعل بعد جهد جهيد ولكن كم كانت دهشته أنها رفعت يدها اليمنى توريه بنصرها. فى نفس المساء قابل العينين الزر قاوين فشكنا إليه حبها دون إبداء التعريف وأخذت تسهب فى ألم عن قسوة من أحبت وكادت دموعها الساخنة أن تنحدر على خديها ولكن بصعوبة كظمتها.

كانت لديه الفرصة لى يشعر بأنه يحب وبالفعل طلب منها أن يقابلها لأمر هام وكأن ذلك كان بداية تبدد لعبوث طويل احتكر ملامحها الملائكية ورياح عاتية أزاحت سحب الحزن عن عينيها..

قالت في صوت يتقطر أمل أنها لن ترفض ذلك.. وبالفعل ها هو يراها الآن أمامه فقد انتظر وانتظر ولكن كان عذاب تفكيره هو الذى يطيل الزمان وحدقت فيه وبعد فترة قصيرة من المناقشة اعترفت خلالها بحبها قال وهو يقبض على المشرط يحرر القلبين: كنت أعلم أنك لابد أن تخضعين لى كغيرك.

(١١)

الشهيد

وأمسك الفتى بيد أمه وقبّلها قائلاً في صوت دافئ: لقد حان وقت الرحيل يا أماه، انحدرت دمعة من كل مقله ونظرت الأم إلى ولدها بعينين ملهوفتين وقالت: أوحان الرحيل حقاً؟!

ووقف الفتى وهو يضع القبعة العسكرية على رأسه قائلاً: الآن أصبحت جندياً جاهزاً ولكن الأم أخذته بين يديها حيث توسد الابن صدرها ووضع رأسه بجانب قلبها الذي ظل بجانبه منذ عقدين من الزمان تسعة أشهر.. انهمرت الدموع من عيني الأم حتى كست وجه الابن ولكن الابن رفع رأسه إليها قائلاً: لا تبكى.. لا تبكى يا أماه ثم مد يديه ليمسح دمع أمه.

قالت الأم بعد أن استجمعت قواها: لو كان بيدي ما كنت تركتك يا ولدى، ورد الابن: إن هناك نداء يا أمى يعلو نداء الأمومة ويعلو نداء الحياة ذاتها إنه نداء الوطن.. النداء الذي من أجله نصر

أجسادنا في بوتقة الجهاد لنحى التراب.
ولكن الأم قالت بأعين مستسلمة: إذن فإلى جهادك يا ولدى،
وحى الابن أمه تحية عسكرية وقال مماًزحاً: سأعود إليك بعد أن
أحمى التراب وأرجع ظافراً.
ذهب الابن ولكنه أخذ من أمه شيئاً الا وهو قلبها أخذ معه
نبضها وحياتها، ودارت الأيام وانطلقت الشرارة وانطلق فتانا مع
الجنود الأبرار يحرس قلب أمه الدامى ولكن ذاك القلب لم يستمر
قرين الفتى كثيراً إذ ما لبث أن رفع الفتى علم الوطن حتى اخترقت
رصاصة صدره فمزقت فؤاده ونزف الفتى مبتسماً ووضع يده على
ثقب بصدره ثم رفع يده إلى عينيه فرأى دماه فابتسم وقال: ليتك يا
أمى كنت معى لترى وسام المجد لترى أن ولدك عاد إلى أصل البشر
على أجنحة الملائكة.

دمياط فى ٤ ١٣/٨٧

(١٢)

(قطرة من نهر)

كان الجو شديد العبو ث.. الغيوم تهيمن على كل شيء تعبت بكل شيء.. والطريق طويل والسيارات الفارهة تمر لا تعبأ بما حولها، توقفت السيارة المكتظمة بالركاب ونظر بعضهم إلى بعض يتهامسون ولكن صوت السائق جاء يشرح كل شيء.

إن هناك حادث ويجب أن يروا ماذا حدث، بالفعل نظر بعضهم إلى بعض مرة أخرى وفتحوا الباب وخرجوا إلى الحادثة ولكن كل ما تعجبوا منه هو هذا المخلوق النحيف الهزيل الذي خلفوه في السيارة، لقد أتى أول فرد فيهم بهذه العربة ولم يكتف بهذا بل أخذ ينادى في الميدان حتى جمع كل هؤلاء الناس وعندها اتجه إلى ركن من الأركان ونام فيه، ولم تنجح محاولاتهم لإيقاظ هذا الرجل الغريب، أخذت جميع الوجوه تتطلع إلى الحادثة، فوجدوا أن عربة كبيرة قد سحقت أخرى صغيرة، ولكن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد

فقد صدمت أخرى ثالثة العربتان ولا يعرف أحد كيف نجا كل من في هذه السيارة الثالثة، ولم يعرف أحد أيضاً كيف خرج هذا الرجل من السيارة ثم كيف عندما هوت قبعت على جسده.

وقد بدى الأمر واضحاً، المطلوب انقاذ هذا الرجل المحصور بين الأرض وهذا الثقل الفظيع الذي يكاد يحطم صورته، تكاتف الجميع حاولوا أن يرفعوا هذه العربة ولكنهم لم يستطيعوا حاولوا مرة ومرتين وثلاثة ولكن كل مرة كان الفشل من نصيبهم وفجأة اقتحم الصفوف هذا الرجل الذي خلفوه في العربة معتقدين أنه نائم واستهزأ الجميع به فكيف يستطيع هذا النحيل الضعيف أن يفعل ما لم يفعلوه. وهم العصبة..

وقف من بينهم يحدق فيهم بنظرات قوية.. لم يطلب مساعدة أحد.. نظر إلى الرجل الذي يريخ تحت وطأة الموت نظرة مزقت نياط القلوب، وانتفض الرجل انتفاضة واحدة فإذا به يتبدل رجلاً مكان الأول ففي لحظة واحدة أضحى كالعملاق.. عيناه تفيضان بالقوة والصلابة، بشرته سمراء متقدمة.. سواعده فتية عظيمة.. جسده فارع الطول مفتول العضلات، لم يعرف أحد كيف حدث هذا انكسب الرجل على العربة الضخمة وأصدر من فمه صوتاً رهيباً أكبره الرجال وفي

لمح البصر كان يحمل المصاب إلى حيث سيعالج، أما هو فقد نظر إليهم نظرة الظافر فردوا عليه نظرتة بنظرة تحمل معاني الانفعال فقد عاموا الا حياة لهم وهو موجود وبهذه الخلال، خاصة ذلك السائق الذى أدرك أن قيادته للسيارة أصبحت مستحيلة فى وجود هذا الرجل.

وتساءل السائق من هذا الرجل.. حك أحد الركاب ذقنه وقال: لقد رأيتة مرة سابقة.. نعم لقد رأيتة.. تذكرت الآن.. لقد رأيتة عند سفح الهرم.. أما هو فقد رجع إلى العربة بعد أن أعلم الجميع أنه لم يكن نائماً ولكن أغلق عينيه وعقد يديه عند صدره.

(١٣) (المنية)

هذا القصاص شديد الغرابة.. عندما يكتب يشعر أنه في عالم آخر.. عالم بعيد عن كل من حوله رغم أن أواصره هي كل ما حوله.. وقد اعتاد أن يكتب من تجارب يشاهدها بنفسه ورغم أن ذلك لم يستطعه في كل الأحيان إلا إن معظم المواقف المؤثرة في قصصه كانت لابد أن يعيشها قبل أن يشرع الشروع النهائي في تسطيرها.

آخر قصصه كانت بعنوان: (المنية) ونهايتها هي اسمها إذ سيموت البطل في نهاية القصة، لم يكن هذا البطل بطل عادي إذ عاش معه ثلاثة أجزاء كاملة وفند كل مشاعره وأحاسيسه وبالتالي لم يكن مشهد النهاية مشهداً عادياً إذ كان شديد الارتباط بماضيه وأفكاره وطريقة حياته.

كانت النهاية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعمق فكر كبير لا يتأتى إلا مع هذه النهاية، كل هذه العوامل جعلته يرجئ كتابة المشهد الأخير أسبوعاً كاملاً رغم أنه لا يتعدى ثلاثة صفحات، قرر أنه لن يكتب المشهد إلا إذا رأى بنفسه احتضار ليستغل رد الفعل في صياغة النهاية، وكان شرطه لذلك أن يكون المحتضر في سريريه تماماً مثل بطله المقضى عليه، أخذ يعد قائمة بأسماء من مرضوا في الحى والعائلة وها هو القدر يبتسم له إذ عرف أنه جاره على وشك الاحتضار وهو يعانى سكرات الموت منذ وقت غير طويل.. وهكذا لاحت له الفرصة فاتخذ المسرة طريقاً وأبدى انزعاجاً لما ألم بهذا الرجل ثم أصر أن يجئ.. بالفعل.. جهز الورقة والقلم وأسجاها على سطح مكتبه اللامع ورفض أن يضع أى وسيلة كتاب معه حتى لا يترك الرجل ميتاً ويستقر بأحد الأركان واصفاً إياه.

في تمام الساعة العاشرة مساء قرع الباب مع أحد الأصدقاء ولما ولج أبدى انزعاجه لهذا الذى ألم بجاره الحميم فبكت زوجته التى

أصبحت على وشك الانهيار فأخذ يهدئ من روعها وييث فيها كلمات الطمأنينة، وردت مندهشة أنها لا تستطيع أن تصدق ما حدث فقد كان على عهده بالدنيا، يبتسم ويضحك فإذا بالضحكة لم تكتمل ويعصر موضع قلبه.

وهز رأسه علامة الاندهاش والتعجب ثم قال: هكذا الدنيا يا سيدتي لا تأمن ولكن لدى ثقة أن هذا الجار الحبيب لسوف ينتفض قاتلاً الممرض.

هزت رأسها علامة المجاملة فهي لم تعد تثق في شيء على الإطلاق، دنت اللحظة المرجوة إذ تقدمتهما لتفتح خلالها الباب ولما سألتها لماذا لا تلج معهما قالت إنها لا تتحمل هذا المشهد العصيب.. أغلقت خلفهما الباب وجلست على مقعد أمام الحجرة وهي تنتظر النهاية التي أكدها الطبيب.. بعد خمس دقائق تماماً سمعت جلبة غريبة تبث من الحجرة فأدرت أن النهاية قد حدثت فدفنت وجهها بين كفيها، ثم بعد لحظات.. عندنا ولجت لتجابه الموقف ودموعها تنهر

وجدت ما أفقدها رشدھا.. كان زوجها یمسك بید القصاص و یضعھا بجانبه وقد استلقى مكان زوجها على السریر وقال یخاطب زمیلھما: كان ذلك مستحیلاً.. كیف داهمتھ هذه النوبة القلبية وهو لم یكن قط مریض بالقلب؟ انها كانت سریعة جداً لم تمھله دقیقة واحدة، ثم غطى وجه القصاص وخرج مع زوجته یطلبون زوجته وأولاده.. أما أوراقه فلم تتحرك من مكانها ولم یخط بها حرفاً واحداً بعد ذلك.

(١٤)

(امرأة تتذكر)

كان الضباب يغشى كل شيء والسكون اسدل ستاره على الألسنة..
والهواء يعصف بأطراف الأغصان.. كل شيء صار فناء فلا أثر لحياة..
وفي لحظة جاء صوت يهدر من بعيد.. كان صوت عربية تشق في
قوة ذلك الهواء الكاسر، وعند نقطة بعينها وقفت السيارة.. تساءلت
العجوز ماذا يمكن أن يفعل السائق بها؟

تبادلا النظرات عن طريق المرآة.. تساءلت مرة أخرى.. الطريق
ممتد وهو طريق ترحال ماذا أوقفه هنا؟ جاء صوت السائق الأجلش
داعياً إياها إلى الخروج من العربة.. ورغم وهنها فقد أطاعت.. وأغلق
الأبواب وتقدمها ولكنها سألت عن مقصده فواجهها وجذبها من
عضدها في قوة، لم تستطع المقاومة فانقادت بين يديه في سهولة
وصرخت إلا أن صرخاتها ذهبت أدراج الرياح.

أخذت تتشبث بالأرض ولكن يبدو أن الأرض نفرت منها.. أخذ

يجرّها إلى أدغال الحقول.. حاولت أن تمسك الهواء وتطلق صيحات الاستغاثة إلا أن أحداً لم يكن ليساعدها.. وهاهما وسط الأدغال.. استرحمته وذكرته أنها في سن أمه إلا أنه أبى إلا إياها.. صارعته بكل ما أوتيت من قوة ولكنها لم تفلح فشق ملابسها وكان ذلك كفيلاً بأن يترد إلى صوابته، أخذت تسير على غير هدى تغوص قدمها بالطين ولكن لم يكن أى شىء يعوقها عن السير فقد أخذت تسير كأنها بذلك تسترجع شريط الذكريات.

وفي النهاية وصلت إلى قهوة صغيرة وقد جهلت كل الجهل كم سارت ومتى هي الآن؟

دخلت إلى القهوة فلم تجتذب أنظار النظارة فكلهم مشدوهين إلى صاحبة هذا الجسد الأفوانى التى يطل عليهم عبر الأثير واتجهت إلى صبي القهوة وهى تمسك شقى ثوبها المسفوح تطلب منه مكاناً للمبيت، دبت الرحمة فى قلبه فأشار إلى مكان ضيق فى عمق القهوة المظلم خلف الجميع.. ذهبت بالفعل إلى هناك وافترشت الغبراء وأسندت رأسها إلى زاوية الركن ساعتها اطلقت زفرة أسى كأنها تتذكر أيام شبابها الأول.. تطلعت إلى من أمامها فوجدت شاباً ينظر إلى ذات الجسد الأفغوانى ساعتها أطلقت زفرة متألمة صريعة وحدثت نفسها:

أيتها الحسنة التي كانت.. أين وجهك الناضر من تلك التجاعيد التي
تنشعب في وجهك، لقد نفر ذاك القدر لأنه رأى صدرك المبتور.. ترى
ماذا كان الأثر إذا ما رأك وأنت تعتلين عرس الجمال؟
وهؤلاء الواهين الذين يحدقون بالأثير لم يلتفتوا إليك.. وفضلوا
الشباب عن الشيخوخة، إلا إنهم لم يعلموا بعد دورة الأيام، وضحكت
ساخرة منهم وهي تحاول أن تتخيل أن من يروها عبر الأثير في حركاتها
الأفغوانية والتي تبث في نفوسهم الزيف هي تلك المخلوقة التي لا
تبتعد عنهم سوى ثلاث خطوات وثلاثين عاماً.

(١٥)

«اعتراف»

ها هي الشمس تميل كعادتها الأزلية إلى الموت وأشعتها الصفراء الشاحبة قد أغرقت كل شيء ولكنها كانت ضعيفة متهالكة حتى إن ظلها كالشبح المتهالك.. كان يعلم أن كل أمله لسوف يتحقق بعد حين ولكن في ذات اللحظة التي ستقضى فيها على كل الآمال!!

كان يعرف أنها هناك غارقة هي الأخرى بالأشعة الصفراء وعلى ضوءها الخافت كانت عيناها اللامعتين الزرقاوين تلتمعان وذلك الشحوب الذي تكاثف على بشرتها الحريرية قد أزداد من روعة وبراءة ملامحها، ها هو يصمم أن يذهب.. سار بأرجل ضاع عنها الطريق.. لم يكن يرى سوى أشباح البشر الا إنها كانت تبدو كل الوضوح.. تناسى كل ما حوله من أناس وكلمات واقترب حتى لاصق المنضدة فوضعت كتابها الذي وهب لمسة يدها وتساءلت عيناها فيصمت مندهش، لعلها كانت المرة الأولى التي تراها فيها ورد عليها دهشتها

بنظرة متشحة بألم رهيب وجلس دون أن ينبس بكلمة.. وازدادت دهشتها وروعة عينيها وخوف قد بدأ يتسلل إليها، بسط راحتيه على المنضدة وظل يحدق بالعينين الواجلتين، جاء صوته أخيراً كأنه يصدر من بئر عميق.. قال وهو لا يعي ماذا يقول.. فقد كان يشعر أن ثمة شيئاً أخيراً يدفعه إلى التحدث رغم أنه لن يلقى أى فائدة من الكلم.. معذرة إن كنت اقتحمت عينيك وأجبرتهما على رؤيتي.. كم كنت أود أن أفعلها من قبل ولكن.. أرجوك لا تتحدثي لن أضايقك ان هناك شيئاً واحداً فقط سأقول.. شيء طالما نبض قلبي على أمله.. وصدر صوتي مترمماً به، إن كل أملى وأنا الإنسان الغريب الذي يفعل ذلك فجأة.. أن أقول لك كلمة واحدة.. أحبك.

لا تغضبي إن عينيك الزرقاوين كصفحة النيل الهادئ.. فلا تغضبي حتى لا تثور أمواجك الحاملة الناصعة.. لعلك تتساءلين لماذا؟ ماذا تظن النفوس في، أنا سيدتي لست كذلك الإنسان الذي يقتحم ما ليس من حقه اقتحامه ولكن هل رأيت من قبل الفرخ المذبوح؟ أر يدك أن تقرني هذه الابتسامة الباهتة الشاحبة كالجسد الغريق الطافي وذلك الفرخ المذبوح.. إن ابتسامتي هذه ورقصات الفرخ شيء واحد، كانت أحلامي أن أقول لك تلك الكلمة ولكن لم

تكن أحلامى أن أقولها تحت تلك الظروف إننى أشعر أن جمجمتى
تسحقها الطبيعة وأن أوهى العزائم تخور أشعر أن البساط ينسحب
وأن عمى الأرض سيبتلعنى.. سيدتى الحبيبة.. كم أحببتك.. ولكن
اعتقد أنك لن تفتقدينى إن أردت أن ترينى، فالمشهد القادم له
هلال.. ومع هذا الهلال سأكون هناك، فإن أردت أن تعثرى على شبح
ابتسامتى.. فلسوف أبعثها لك من أعماق أمى وأمك لأننى سأموت.

(١٦)

«بين ثنايا الابتسامات»

صديقنا شديد الخجل، يتردد كثيراً في كل أمر يشرع فيه ولكن في هذا الأمر بالذات كان لا بد أن يتخذ من الخجل موقفاً ما، وبالفعل، بعد ليلة ليلاء وجهد جهيد استطاع أن يقول ذاك اللفظ الذي عبّر في فصاحة شديدة- رغم كونه لفظاً واحداً- عما يعتمل في أعماقه، وبعد الحديث اكتسى وجهه بحمرة الخجل وتوقف لسانه عن الحركة فقد تحجرت الأعصاب وذهلت الأبواب.

ورغم هذا الموقف العصيب إلا أن الفرج قد أتى فراحت أعصابه تلين من جديد وعقله يرجع إلى حيث كان- وهكذا بدت الخطوة الأخيرة تلوح فقد كان لا بد أن يتقدم لينال المراد ويحقق الأمل ولكن كعادته لم يفارقه الخجل واحتار في أمره خاصة أنه وحيد تماماً كتلك الورقة التي قذف بها الخريف إلى الأرض، ولم يجد بد من أن يتجه إلى صديقه الوفي الذي أسر له من قبل بالسر العظيم فرد الصديق

بصوت الفيلسوف: سندهب سوياً ولتكن جاهزاً بما يعمر الجيوب،
ولم يتردد صاحبنا فذهب إلى حيث يقطن وجاء في الموعد المحدد بما
يملك من مفاتيح وضعها كلها في جيب واحد يطرق بها باب المراد
وسار الصديقان- كان صاحبنا يربت على كتف الصديق الحميم بينما
الأخير ينظر بعين الخبير المطمئن حتى جاء المكان وتوقف الزمان إذ
فاق صاحبنا على شيء بسيط، طعنة سكين هتكت التامور ودلفت إلى
النخاع حيث استخلصت الحياة، ولم يترك صاحبنا سوى بعض الدماء
المتجلطة وجسداً يستحيل إلى ما يحمله الآن وربما خلف ذلك فقط
ليثبت بشريته، انكب الصديق على الجيوب وأخرج إلى الوجود ما
كانت به الجيوب وكانت عشرة جنيهاً، فنظر إلى السكين والمسكين،
دس الجنيهاً في جيبه ثم مضى تاركاً صاحبنا يحلم بشيء كان يظن
أنه قريب بعد عدة أيام لم يتعجب المارة من وجود الأشلاء فقد أُلّف
الجميع مشهد الأشلاء الآدمية سواء في الطبيعة أو عبر الأثير.

(١٧)

«المواجهة والنجاة»

الليلة أنجبت نصف قمر.. السماء ملبدة بالغيوم فيُحجب ضوءه تارة وأخرى تخلى سبيله.. الطريق الترابي المتعدد الألوان لا نهاية له، وقد حُفت ميامنه بشجر عتيق، أما الشمائل فتارة يرى حواءات وأخرى لا يرى أحداً البته.. تعجب مما هو فيه فتساءل: لماذا جئت إلى هذا الطريق؟ إلا أنه أهمل إجابة هذا السؤال فقد عقلت المفاجأة تفكيره.. حاول أن يلتفت إلى الخلف أو يدور على عقبه وينطلق عائداً إلا أنه لم يستطع.. شعر أن شيئاً غريباً لا يفهمه، يدفعه بأن يواصل السير بهذا الطريق وكم أراد أن يعرف ما هو هذا الشيء؟ شعر على حين غره برغبة عنيفة تكتسحه تحثه أن يسبر غور مجهول اليسار وعندما كان على وشك سمع صوت رياح تهب فروع الشجر فهدأ من هذا الصوت رغبته في ما كان ينويه ولكن الشيء العجيب أنه أيضاً لم يستطع أن يتجه إلى ذلك اليمين.. وكأن كل هذا

أخذ يدفعه إلى مزيد من تحدى هذا الطريق.. تساءل عما يستطيع أن يفعله.. في هذه اللحظة ود لويصل إلى نهاية الطريق ليستريح أو حتى يستعير البصر الحديدي فيرى العمق الآخر من كل ما يرى.. فجأة انتهت صفوف الأشجار ثم يسمع خرير ماء.. فغر فاه غير مصدق.. تساءل: النيل؟! اختفى النيل بعد برهة وعادت الأشجار.

هكذا تراكمت الاسئلة فراح غير مهتم بكل ما يحدث مهما كان.. أخذ يدق الطريق بقدميه في قوة متحدياً إياه.. أجبرته الظروف إذن أن ينصت علّه يستخلص من الأصداء شيئاً ما فلم يسمع شيئاً.. فلما أرهف السمع سمع صوت ارتطام قدميه بالأرض ذلك الارتطام الذى أخذ يماثل دقائق الساعة.. عندما أتاه هذا التشبيه تذكر موعد من مواعيده التى كان يعزم عليها.. تساءل: كيف استطيع أن أنسى هذا الموعد؟ انه هام جداً.. أطلق رفرة أسى لاعناً نفسه.. صمم أن يتقدم إلى مواعده.. إلا أن الخوف الغامض اكتسحه.. فأخذ يلتمس شيئاً يفك به كل ما حوله من أسرار في هذه المرة كان شيئاً ما غير عادى إذ أن الصوت الذى اعتاده اختلف في إيقاعه فصار يسمع صوتين.. أبطأ من سيره فإذا بالأصوات تبطء من حداثها.. ها هو يدرك أن ثمة شخصاً خلفه وله بالمرصاد.. كيف إذن يتملص من هذا؟ يجب أن يجرى..

أخذ يعدو وأذنه ترهف السمع فتصاعدت أصوات عنيقة مطارده.. تنافست أنفاسه.. هتف.. كان من الممكن تلافي كل هذا لولا كل هذا الانتظار.. ها هو يرى ضباب.. تساءل في غضب: أأنا في حاجة إلى هذا الضباب الآن؟ لا.. إنه دخان.. لم أعد أستطيع أن أعدو.. لقد اختار اللحظة المناسبة للهجوم إذن.. يجب أن أراجع. كيف؟ لم يعد للرجوع من سبيل.. ان الدخان يكاد يختفى.. أدار رأسه فإذا بنصل حاد يلتمع في الضوء هنا أدرك ألا مناص.

استجمع كل ما لديه من قوة وأوقف نفسه.. إنه الآن يحتاج إلى شجاعة.. أوقف أنفاسه.. استجمع طاقاته.. دار على عقبيه.. تواجهوا.. هو وهما.. ظلله وهو.

(١٨)

نداء الغريزة

اعتاد دوماً أن يجلس بين الأحبة والأصحاب يجتر الذكريات ويقتلع الضحكات وهو شاب في العقد الثاني من حياته. عيناه السوداوان يستقر بهما الهدوء وقلة الحياة وخصلات شعره نصف المجددة قد تتهاوى على جبهته الملساء فيرفعها بأصابعه في حركة روتينية اتصل اليوم بأصدقائه الذين دعوه إلى شقة أحدهم أيان الغروب وقبلها بثلاث ساعات كان يقف أمام المرأة يتحسس بأنامله بشرته وقد ترك لحيته على غير هدى عن عمد وكذا شاربه ولا يعلم هو لماذا يجد سعادة في ذلك ثم أقر عوينات سوداء على عينيه أزادت من الأشجار بعدم الاكتراث بكل ما حوله حتى إذا ما استدار وكاد أن يخرج رجع إلى مرآته وأعمل أنامله في شعره فزاد من شعته عن عمد أيضاً ثم خرج كان عليه أن يذهب إلى حيث يذهب كل

ثلاثاء في مثل هذا الحين.. عندما ولج إلى المكان رآها تجلس في المائدة الخاصة لهما وجلس دون أن ينبس بكلمة وكذا هي ثم اطلق أنامله تصنع أصواتاً اثر اعمالها بوجه المائدة، ظل السكون مسيطر على كل شيء بينهما.

حك ذقنه ذات الشوك الدقيق وأخذ يتحدث مع نفسه: لقد آن الأوان.. كانت ولكنه لم يكمل وأنصمت لحظة وقال: سأجعلها تدفع الثمن.. خلع عن عينيه العوينات ووضعها بكثير من الرفق على سطح المنضدة وقال: لماذا لا تتحدثين:

غاصت بوجهها في الأرض ثم رفعت عينيها إليه وقالت: اننى لا أجد ما أقوله فرد بعد أن دار ببصره حوله: قاموس العشق قد انتهى؟ ظهر كأنها تبتسم إذ انفرجت شفتاها عن شبح ابتسامة ساخرة وقالت: هل تعلم ماذا أريد؟

وعلى الفور نظر إليها وقال: أريد أن أتحدث معك؟ ليس هنا فردت: أين إذن؟

فنظر إليها مرة أخرى بهدوء شديد وقال: بالشقة.

فتساءلت: لماذا؟

فلاحقها: أود أن أقول لك شيئاً ما؟
على الفور ظهرت سحائب القلق في مقلتيها.. فلاحقه وقال:
تشكين بي؟!؟

فقالت بعد لحظة صمت: لا.. بالطبع لا..
فاتجهت يدها إلى يديها وقال: هيا.. إن الأمر خطير، ظهرت
أمارات الدهشة على وجهها وقالت: إنك تطلب هذا منى لأول مرة؟
فقال على الفور: أنت تعلمين أنني حر.. وأنت حرة.. أنا أحبك وانت
تحبينى كل ما أوده هو الحديث معك بعيداً عن العيون وبعيداً عن
البشر، هذا حقنا.. أنت وأنا- أم لا ترضين؟

وقبل أن ترد للاحقها: لقد اعتدت منك القوة والصلابة والدفاع
عن حريتك بماذا تردين الآن؟

صممت لحظة وقالت: ماذا تريد؟
فرد بعد ابتسامة: ستعلمين عندما نكون بمفردنا.
ضحكت ثم قالت: إن كنت تُصرُ فهيا.

بعد لحظات كانا يسيران على قارعة الطريق.. كانت همهمات
القلق تدب في قلبها ولكنها كانت تريد أن تعرف ماذا يريد، هي تثق

في حبه لها وهذا هو العاصم كان يعلم كيف يستدرجها لقد عزف على وتر الحرية والمرأة اللذين استبدا بها حتى إنه علم أن مفتاح سلوكياتها يقع تحت هذا البند.. بند الحرية التي تريدها وتحرص عليها وبند التحدى منها لكل شىء حتى وإن عرضها لأمر قد تشك في سلامتها.

كان يعلم أن أهل الدار بعيداً عنها هذا اليوم كاملاً لهذا لم يجد صعوبة في شق طريق معها إلى حيث باب الدار، أعمل المفتاح في القفل، فانفلق شقيه وفتح الباب ودعاها إلى الدخول ففعلت ثم أغلق الباب.

تقدم بها عدة خطوات حتى وصلا إلى الصالون وجلسا متقابلين.. ومرة أخرى عادا إلى الصمت.. بعد لحظات قام واقترب منها وأمسك بيدها.. فقامت واقترب منها أخذ يحدق في ملامحها كأنه أول مرة يراها فيها.. رأى عينيها البنيتين الصافتين وشعرها الحريري المتهدل الذى يغطى جبهتها وتتناثر أطرافه على عينيها رأى وجهها الجميل.. وعض على شفثيه ثم رجع خطوتين ودار على عقبه كان من الواضح أنه في صراع فهو بين أمرين.. وقد أدركت هى ذلك فاتجهت إليه

وهمست: ما بك؟

وكانت المفاجأة غريبة إذ دارعلى عقبه سريعاً واحتواها بين يديه وأخذ ينهل منها القبلات ولأول وهلة صدمتها غيبوبة الصدمة فراح صوته إلى غياهب الكتمان.. شعرت أن صوتها يصدرمن حنجرتها المشنوق بحبل المفاجأة، وبدلاً من أن يمزق المكون كان يُقبر في صدرها. تمالكت نفسها وجمعت كل ما أوتيت من قوة في ساعديها ودفعتها

فتراجع خطوتين ولذت بالمنضدة الرخامية الكبيرة صاحت ماذا تريد يا مجنون؟ فرد في صوت متقطع لاهث: أنت تعلمين ماذا أريد؟

فبكت وقالت: أنت مجنون، فضحك ضحكة هستيرية وقال: نعم أنا مجنون.. مجنون بالحب.. شق صوتها طريق وسط العبرات: وما الحب في نظرك؟ فصرخ فيها: كلكم ابتعدوا عني.. كلكم تناون عني.. ماذا فعلت لك لكي تتركيني؟!

أمى وأبى منصرفان عني منذ زمن طويل.. كل فرد منهما في عالمه الخاص.. لا أحد يهتم بي.. كل أصدقائي يتندرون عليّ.. هل لأني لا أمارس مثلهم الدعارة؟ هل لانني لا أحظى باهتمام الفتيات؟ هل لأنني لست في مثل جمالهم؟ ماذا أفعل لكي تروني بينكم؟

وأنت.. أنا يا من تدعين العفاف والطهر وتبكين لأننى أردت أن... ويصمت لحظة ثم يعاود الثورة، أنت.. أأست تحبين شريف...؟ لا تحاولى الانكار.. لقد قال كل شىء كان هذا بالخميس الماضى.. الأصدقاء كلهم كانوا يعلمون أننى وأنت نحب بعضنا البعض وجاء شريف وقص علينا جميعاً كل شىء، لقد قبلك يا حبيبتى بل... بل... وجاء صوتها.. اننى عذراء، فضحك مرة أخرى ضحكة هيسستيرية وقال:

وما فائدة العذرية ان كانت تحمل مجرد وجود ورقة فى مهب الريح؟ أنك لم تحبينى يوماً ما؟ لقد كنت تسليتك.. هذه هى الحقيقة.. هذه هى الحقيقة والآن تستكترين عليّ أن أقبلك.. بالطبع أنا لست مثل شريف.. آه لو كنت تعلمين ماذا أريد أن أفعل بك؟ كان يصف للجميع شعوره معك.. هو بالطبع لم يكن يعلم قصتى معك ولكن الجميع كان يعرف ولم يستطع أحد أن يقول له كف عن حديثك ان العاهرة حبيبة هذا الجالس بجانبك.. لقد أصبحت حديث الألسنة.. وأنا معك.. كيف أسلمت له نفسك؟ كيف رضيت له بأن يحتوى جسديك؟ هل رخصت إلى هذه الدرجة؟

باسم الحب كان كل هذا؟ أليس كذلك، الحب عندك هو الجنس

واللذة؟ وان كان كذلك لماذا تبخلين بهما عليّ؟

فصرخت: أنت مجنون؟

فقال: نعم أنا مجنون لأنني لا أعجبك لأنني لست من أصحاب عيون قوس قزح.. ملامحي ليست أجنبية.. وقلبي لك لم يبعث اللذة في نفسك.. اعذريني يا حبيبتى.. اعذريني لأن خبرتي في هذا المجال قليلة، اعذريني وعلميني.. علميني كيف أكون قذر.. وكيف أُقبل المرأة وكيف وكيف.. ومرة أخرى قالت: أنت مجنون.

فقال: نعم أنا مجنون ولكني لن أتركك.

فقالت: هل تريد فتاة رغماً عنها؟

سقطت الكلمة على رأسه كالصاعقة وردد في نفسه.. رغماً عنها.. أى أنك مثلهم لا تريدينى.. اخرجى.. اخرجى ولا أراك بعدها، وكأنها أمسكت الفرصة وفي غضون لحظات كانت خارج الدار.. أما هو فقد تهاوى على المقعد وقد تلاحقت أنفاسه وما كاد أن يستريح الا ومزق رنين المسرة السكون فقام وقال: حاضر سأتي فوراً.. وبالطبع كانت المكالمة من أحد الأصدقاء بدعوة إلى الجميع الذين يريدون رؤيته حتى تبدأ السهرة.

اتجه إلى مرآته أعدل أمامها هندامه انطلق إلى الخارج بعد أن

أعمل يده في شعره كعادته وأغلق الباب وانحدر عبر السلام الرخامية حتى كان أن يخرج فقابله خارجاً من الدور الأول شاب سرعان ما ابتسم وتصافح الصديقان فقال صاحبنا للشاب: أين أنت هذه المدة فرد الشاب: اننا جيران وقد كنا أصدقاء ورغم ذلك لم أعد أراك ماذا حدث؟ فرد: لا شيء.. أمور الدنيا.. فضحك الشاب صاحب الوجه النوراني والعينين الزرقاوين والشعر الأصفر القصير: وهل تُغنيك الدنيا عن الآخرة.. اننى اتجه الآن إلى المسجد للصلاة إن شاء الله.. لماذا لا تحضر معي؟ وعلى الفور رد صاحبنا ولكن هناك موعد هام تماماً الآن، سيسامحنى الله فرد الشاب: اسمع كلامى ما أجمل أن تخرج إلى المسجد قاصداً الصلاة ومرة أخرى قال صاحبنا: معذرة ان هذا الموعد هام جداً، فصمت الشاب وقال: كنت أريدك معنا.. عامة حاول أن تستيقظ لصلاة الفجر وتقرأ معنا القرآن.. حتى الشروق إن المسجد قريب قريب جداً ربت صاحبنا على كتفه وقال: إن شاء الله ثم أستأذن وانصرف.. بعد ربع ساعة كان صاحبنا يدق باب الأصدقاء وبعد دقائق كان بينهم ومرت نصف ساعة ولا أحد يضحك وقد استنفذ الوقت في مناقشات جانبية.. أحدهم أخذ يشير بعض الإشارات إلى

آخرين فأخذوا يضحكون ثم واجهوا صاحبنا وقال أحدهم: ماهى آخر مغامراتك يا قيصر الغرام؟ تكهرب الجو لحظة ثم عاودوا الضحك منتظرين إجابة ولكنه قال فى هدوء: لا أعرف يا بروتس، فضحكوا جميعاً وقال نفس المتحدث: هل أنت خاجل يا عطيل؟

ورد بعد لحظة غيظ مكبوت بالطبع كلا، مرة أخرى ضحكوا وقال نفس الشخص: يا لها من ديدمونة.. ولكن فى حالة عطيل القرن العشرين ديدمونة خائنة حقاً.. وليتها خائنة فقط أننا الآن كلنا نعلم حنايا جسدها الجميل بل وبعض العلامات المميّزة أيضاً، كادت الدموع أن تغرق بين جفنيه واستجمع قواه وقال فى صوت كسير: لماذا تقول هذا؟ انك تكرهنى ومرت لحظة صمت كانت قوتها من ضجيج الرعد وقوته تبادلوا جميعاً فيها النظرات معه ومرة أخرى قال الشخص: إننى لا أكرهك لشخصك ولكن أكره فيك شعورك بأنك مرغوب ولكن الحقيقة أنك منبوذ.. نعم منبوذ.. لو كنت اعترفت بذلك من البداية لكننا جميعاً معك نساعدك وندخلك فى دوائر الفتيات.. ولكنك أبله.. تحسب أنك تستطيع خداعنا.. ان الحقيقة أنك لا شىء.

في البداية أردت أن تسيطر على الجميع بالقراءات ولكن كل هذا ليس مفيد لأن هذا الجانب لا يهمنا ولن يهمنا، ثم أخذت تغير من هندامك وشكلك حتى تلفت نظر الجميع وكنا جميعاً نرى ذلك ونضحك لأنك فاشل في ذلك أيضاً وعندما أردت أن تجرب حظك مع الفتيات صادتك عاهرة وتحولت في النهاية إلى اضحوكة وأراجوز.

صرخ وقال: كلا.. أنا لست أراجوزاً.. لقد قرأت لأنني كنت أريد أن أعرف، أعرف من أنا ولماذا أعيش؟ قرأت عن الحب وقرأت عن القصص الأدبية العاطفية إن الحب هو الجنس كما قرأت الأدب صور أن الرجل هو الذكر وأن المرأة هي الأنثى وقد كنت خائباً في اجتذاب الأنثى.. إنني أعترف أنني لا شيء لا أحد يهتم بي ولكني قط لم أكن أراجوزاً. وإن كانت اللحظة لحظة اعترافات فإنني أود أن أقول رأيي فيكم: أنتم أيضاً لا شيء، سرعان ما ارتفعت الضحكات ساخرة منه ولكنه مرة أخرى صرخ: أنتم لا شيء وسأثبت لنفسي يوماً أنني أفضل منكم جميعاً.. جميعاً.. يخرج وهو يحبس دموعه بين جفنيه وصوت الضحكات يمزق أذنيه وكبريائه.. خرج هائماً لا يلقى على شيء وتساءل ماذا يفعل؟ وساقته قدماه إلى النيل، ارتكز بيده على

سور إحدى الكبارى وهو يحدق بمياه النيل السوداء، سقطت من بين جفنيه هذه المرة قطرتان امتزجتا مع مياه النيل الداكنة ثم أولى النيل ظهره واسنده إلى السور الحديدى ثم أخذ نفساً عميقاً ملاً به رثيته وأخذ يتحدث.. كان يود أن يحدث أحداً ما ولكن شاءت ارادته الا يتحدث مع أحد ثم أخذ يهمس إلى نفسه: ماذا أستطيع أن أفعل؟ كيف أثبت للرعاع أننى أفوقهم؟ هل الذنب ذنبى؟

اننى مرعوب.. أستطيع أن أحب وأن أمارس الجنس مع من أحب، الحب حرية والحياة حرية إذن يجب أن...

وهنا رأى من يمر من أمامه.. كانت آية من آيات الجمال.. عينان خضراوان شعر مهدل بلون الذهب.. جسد فاتن لم ير مثله من قبل.. اهتاج غروره وصرخ: فلأجرب لن أخسر شىء.. كانت تسير بمفردها وقد عقدت يديها فوق صدرها.. أخذ يسير خلفها، ويطلق من فمه صفارة لنغم غير معروف ربما يكون من تأليفه هو.. زادت سرعته حتى أصبح بجانبها تماماً ولاحظت هى ذلك واستمر الحال حوالى الدقيقة فتوقفت فتوقف فعادت السير فعاد السير ساعتها قالت فى إنجليزية صحيحة: ماذا تريد: وفوجئ بهذا الذى حدث.. أجنبية؟!!

وبالكاد عرف بماذا تحدثت فقال في انجليزية ركيكة: هل تتحدثين العربية؟ فردت: نعم بصعوبة، فقال: إنك جميلة، فضحكت ملء شديها وقالت: أنت أيضاً، لم يصدق نفسه، وقال في نفسه: هذه الأجنبية الفاتنة تقول عنى أنا أنى جميل؟ ما هذا الذى أسمع؟ إنه حلم واستجمع قواه وقال: إنك تعجبنى ومرة أخرى قالت: أنت أيضاً. وصرخ في نفسه: يا رب السماوات.. ما هذا؟ إننى أُعجبك اننى أعجبها ثم دعاها إلى الجلوس فى مكان هادئ فوافقت على الفور ومرت ساعتان بعدها كانا يمشيان ومتأبطان ذراع بعضهما البعض وعند منطقة هادئة وقفا وقال لها: أحبك، لم تتحدث لأول وهلة وإنما قبلته قبله عميقة استفاق من نشوتها بعد دقائق، قالت: وأنا أحببتك.

زفرة زفة عميقة ونظر إليها نظرة ذات معنى فقالت له بعد أن ابتسمت انى أدعوك إلى بيتى الآن، تذكر صاحبنا إحدى القصص التى قرأها وكانت تطابق حالته تماماً، وبالطبع وافق على الفور، وإنجر معها إلى فندق أخبرته أنها تقيم فيه مؤقتاً.. بعد قليل، انفردا ببعضهما البعض والوحدة ثالثهما.. بعد دقائق كانت أفخر أنواع

الخمور تُصب في الكئوس ويزدرداها.. وفي يم الخمر تذكر إحدى القصص التي قرأها وقد قرأ فيها أن الحبيب في هذه الأحوال يجب أن يشرب حتى يثير إعجاب حواء، فأثني كثيراً على الأدب لأول مرة في حياته، بعد دقائق قليلة كان معها في أمر آخر في مثل هذه الحالات يموت العقل والوقت لهذا لم يشعر منذ أن كانت الساعة العاشرة بشيء حتى هذه اللحظة.

داهمته نوبة من القلق فأيقظته ووجد نفسه ساعتها ممداً على السرير وهو عارى تماماً وقد تبعثرت ملابسه في كل مكان وزجاجة خمر على الأرض ملقاه وبجانبهها كأسين فارغين.. شعر بدوار فطيع وتعجب فأين (هيلين) ولماذا هذا الضوء مُرسل الآن؟ نظر في ساعة يده فوجدها الرابعة صباحاً، تعجب كيف يستيقظ في مثل هذا الوقت الغريب، حاول أن ينام ولكن آلام رأسه لم تعط له الفرصة فقام وارتدى بعض ملابسه واتجه إلى الحمام حيث غسل رأسه بالماء الدافئ.

ساعتها شعر بقليل جداً من الانتعاش، جلس إلى حافة السرير ودار ببصره إلى كل ماحوله حتى وقعت عيناه على ورقة بجانبه، كانت ورقة بيضاء كُتب عليها بخط أسود نسائي رقيق كلمات هي:

(أهلاً بك في أسرة الإيدز يا مغفل)، ساعتها إنهار انهياراً فظيماً.. كيف ذلك، إيدز؟ موت؟ إنه كان يريد أن يثبت لنفسه أنه أفضل من الآخرين فقط.. مستحيل؟ لن يموت.. لن يموت هذه الميئة الشنعاء؟
إذن (هيلين) هذه.. ولكن كيف هذا وبهذه البساطة؟.. انقضض على رجل الاستعلامات بالاسئلة فأخبره أن (الآنسة) فرانسواز قد رحلت من ساعة ونصف الساعة.. خرج متالك لا يلوى على شيء لقد ضاقت حياته.. اللعنة على الحب والأصدقاء.. اللعنة على كل شيء.. كل شيء.. كانت الدموع تنهمر من عينيه فقد أيقن أن كل شيء قد ضاع.. ماذا بقي له؟ لقد أراد الجنس فوجده.. وأراد اللذة فأصابها وأراد الغرور فتحولت وسيلته إلى مقصلة.. ودخل إلى شارعهِ وكأنه يراه لأول مرة كانت الساعة الخمسة والنصف في يوم من أيام شهر فبراير.. مر على قوم يتجالسون وسمع من وسط الدموع صمت جاره يتلو القرآن (إتلُ ما أُحْيِي إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) ساعتها افترش الغبراء واسند ظهره إلى بوابة البيت وأخذ يستمع ما يصل إليه من القرآن ويخترق حاجز الذهول والدموع وعندها وصل

إليه (وما يجحدُ بآياتنا إلا الظالمونَ، ثم أو لم يكفهم أنا أنزلناه عليك الكتاب يُتلى عليهم إن في ذلك لرحمةً وذكرى لقوم يؤمنون). ساعتها داهمته موجة شديدة من البكاء ودفن وجهه بين يديه وعاود السمع فوصله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ، ثم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ صدق الله العظيم.

(١٩)

«الدمعة والطوفان»

سكون.. الليل لف النصف المائى برداء الظلام فتبعثرت النجوم وهلّ الهلال.. فى هذه اللحظة كان يخرج من وكر قدر فى مكان نائى عن العمران.. ملابسه رثة عجيبة عيناه تفيضان بوميض من الفرع من مجهول وملامحه تبعث القلق فى النفوس، أغلق الباب فأحدث الصرير المكتوم.. أخذ يسير على غير هدى.. عيناه تجوبان الأمكنة ويداه تستعدان للانقضاض على أى شىء.. أخذته قدماه إلى طرق وعرة فها هو شطر المقابر، القى نظرة عابرة على تلك الأطلال ورغم أن الطريق كان معلوماً لديه إلا أنه فوجئ بمن يطلب منه ماله ولم يعلم ماذا يمكن أن يفعل؟ أدرك أن صراعاً لن يلبث أن يقع ولم تمر سوى بعض الدقائق حتى صار الآخر طريح الأرض مقتولاً، لم يابه بما فعل، وعندما رأى أول ثغرة فى الأطلال سدها بجسد قاطع الطريق واستمر فى سيره.. عندما خرج إلى قارعة الطريق رأى الدم المتجلط

على ديه ففعدد يديه خلف ظهره ومشى حتى النيل فغمس يديه في النيل.

أخيراً وصل إلى هدفه.. وقف ينظر إلى كل الاتجاهات وها هو تأكد أنه في أمان.. وضع يده في جيبه في ثقة وولج باب المنزل في يسر ثم سعد دون أن يصدر حركة حتى وقف أمام بيت معين، أخرج يده من جيبه ودسها في آخر فبزغت بمفتاح لامع.. فأولجه إلى القفل وفتح الباب ثم أخرج المفتاح وأغلق الباب دون أن يصدر صوت.. سار بالشقة التي يعلمها جيداً في الظلام الحالك واجتاز خمسة أمتار بحرص وصعوبة ثم عرج إلى حجرة بعينها، وعلى أشلاء الضوء المنبعث من مصباح صغير في نهاية الدار أبصر كل شيء كالأشباح فلم يكن هذا الضوء من قبل ولكن بعد لحظات أدركه.. ومد بصره إلى الحجرة فوجد ما توقع.. وجد امرأة لا يستطيع أن يحدد ملامحها مسجاه على سرير حريري قد لاصق آخر صغير لا يعرف ماذا به.

في ثواني عرف طريق عمله فاتجه إلى الدولاب وفتح شقيه وأعمل يده في محتوياته فخرجت بما خف وزنه وثقل ثمنه وعندئذ أراد الخروج فقد أنجز المهمة، لم يكن يعلم ماذا حدث فقد اكتسحته موجة من الارتباك فأحدث ذلك صوت لارتطامه بأحد المقاعد فتنبعت المرأة

المسجاة، في هذه اللحظة كان عليه أن يُكمل فانقض عليها وكبت أنفاسها بمنديل مُندى فغابت عن الوعي واستقامت قامته واطمئن، ارتطم بالسرير الصغير فإذا بصوت يمزق سكون الليل.. صوت طفل رضيع.. انزعج شعر أن الأرض تخور تحت قدميه.. لابد أن يصمت هذا الصوت، كان قد أدرك ألا خوف من السيدة فاتجه إلى مفتاح الكهرباء فأنبعث الضوء وعلى متنه رأس الطفل الرضيع.. كانت عيناه الباكيتان بريئتان ووجه الطفولى يُشعر بالراحة.. ولكن صوته ارتفع وأخذت يداه ورجلاه تضربان وتركلان الهواء في حركات طفولية.

انقض الرجل على المهد وضع يده على فم الطفل عله يسكت الا أن بعد برهة ارتفع الصوت أكثر وأكثر، فكر أن يترك الوليد ويفر ولكن هذا الازعاج قد يسبب له مصاعب عديدة.. كان الوقت حرج وقصير ويجب أن يتصرف بسرعة.. أخرج سلاحه من جيب بصره وقربه من عنق الطفل مريداً سفح حنجرتة.. وما أن حدث حتى ازداد صوت البكاء ارتفاعاً وازداد اقتراب حد السلاح من عنق الطفل.

مرت لحظة عصبية لم تكن تعنى له اللحظة الا جزة صغيرة وينتهى الأمر ولكن شعر أن ثمة هائلاً يحول بينه وبين ما يريد.. مرت لحظة ميلاد جديد ووضع الرجل السلاح في مكانه وقد أدرك أنه لن

يستطيع أن يسفح هذا الطفل كما فعل بذلك الرجل.. رغم ذلك الا أنه لم يكن ليخرج دون أن يصمت الطفل.

الثواني تمر والصوت يمزق الليل والأم المسجاة فائدة الوعى ستصحوا عما قريب لم يعد أمامه من حل آخر.. ربما لا يستطيع ذبحه ولكن يستطيع خنقه وإعدام الصوت في جوفه وتفرقت الأنامل متجهة نحو الرضيع وانعدمت المسافة ولاصقت الأنامل العنق الرقيق.. في هذه اللحظة هوت دمعة من دموع الطفل على يديه فخارت قوة يديه فابتعد عنه وأخذ يحرق تلك الدمعة الساخنة التي ردت بذرة كادت أن تموت بأعماقه.. اتجه إلى الرضيع وحمله بين يديه لم يكن يعلم ماذا يريد ولماذا يفعل هذا.. شعر أن ثمة خيطاً أثيراً قد نُسج بين قلبه وبين قلب هذا الطفل.. أخذ يضمه الى صدره وكأنه لا يدري ماذا يفعل فهي المرة الأولى التي يضم فيها إنساناً مثل هذا الإنسان الذى لا حول له ولا قوة.

أخذ يضحك صامتاً ولا يعرف لذلك سبباً- شعر أن عينيه تومضان ببريق من حب ثم أخذ يهز الرضيع بيديه المنغمسة في النيل عما قليل وكم كانت مفاجآته لقد صمت الطفل.

حدق في هذا الطفل الغريب فرأى عينين لم يراها من قبل

وكم كان عقاب الطفل له رهيباً عندما ابتسم ابتسامة طفولية بريئة عظيمة، فوجد نفسه يضحك ويبيكي ثم مرت دقيقة مثمرة فوجد الطفل قد راح في سبات عميق.. قرّبه من نفسه وكأنه يرى شيئاً غريباً لم يره من قبل ثم قبله بكل ما أوتي من حنان هو ذاته لم يكن يعلم أنه به، نقل الطفل إلى المهد وغطاه بفراشه الأبيض الناصع ثم وضع بجانبه كل ما أودع من قبل جيبه. ألقى نظرة أخيرة على كل شيء وضغط ضاغط الكهرباء، خرج يُقبل موضع الدمعة.

(٢٠)

(موقف)

لقد أنهكه التعب طوال هذا اليوم وأخيراً وصل إلى المنزل الذي يعلو الأرض بخمسة طوابق ويصله إليه عدة عشرات من السلم الرخامية، وأدار مفتاحه في الباب في ببطء وثناقل وولج إلى المنزل وقد أطلق زفيراً طويلاً أسند جسده إلى الباب المغلق وأخذ يغالب النوم، بعد لحظات ولج إلى حجرته حيث استبدل ملابسه ثم إلى الحمام حيث اغتسل بالماء الدافئ الذي يبعث في ثنايا الجسم الاسترخاء والكسل، ها هو يجلس أخيراً في صحن المنزل وقد أصبح على استعداد تام لكي ينام فكل منطقة في جسده تطلب الراحة وخاصة رأسه التي يمزقها الصداع، في خطوات بطيئة وصل إلى حجرته الخاصة ومنها إلى السرير الوثير ها هو يستلقى كما لم يستلق من قبل وأولى تبشير النوم تبدو في الظلام.. فجأة مزق ذلك السكوت الرهيب رنين جرس شقته.. لم يقم ظناً أن ما سمعه مجرد هاجس من هواجس ما قبل

النوم عاد من قفزته التي اعتلى بها السرير إلى مكانه الأصلي تحت الفراش، مرة أخرى سمع الرنين الحاد وفي هذه المرة تبين أن ثمة جرساً حقيقياً، ومن ثم لابد له أن يعرف ماذا يحدث؟

أزال عن جسده الفراش الدافئ وخرج وعيناه مفتوحتان نصف فتحة ويدها تتحسسان طريقيهما، أخيراً وبعد جهد جهيد وصل إلى الباب وضغط ضاغط النور فانتشر في سرعته الرهيبية فشعر أن عينيه تؤلمانه ولما اعتاد الضوء فتح الباب، وجد رجلاً طويلاً.. أنيق جداً.. أصلع بعض الصلع عيناه بهما وميض غريب شاربه رمادى كث وشعره أشيب وملامحه طبيعية تبعث في من يراها الحزن والشفقة.. تردد صاحبنا في الحديث فهو لم ير هذا الشخص مرة واحدة في حياته إلا أنه قال: من حضرتك؟

الرجل لم يرد وإنما دفع الباب وقد أخذ يثبت نظراته الحزينة الفولاذية إلى عيني صاحبنا وبالفعل ولج من الباب الى الداخل واستقر في صحن المنزل وجلس مطلقاً زفرة حزينة، تعجب صاحبنا أشد العجب، أغلق الباب في اندهاش واتجه إلى الرجل وقال: من حضرتك: رفع الرجل بصره إلى صاحبنا ولم يتحدث وبعدها أخفض النظر مرة أخرى، جلس صاحبنا إلى جانبه وهو ينظر إليه إلا أنه لم

يسترح إلى ذلك الموقف فجلس مواجهاً إياه.. وقد أخذ يمعن النظر إليه استمرت النظرات لحظات طويلة دون أن ينبس أحدهما بكلمة. في النهاية لم يطق صاحبنا أى مما حدث وقال: من حضرتك؟ ولكن في هذه المرة لم يتجه حتى الرجل إلى صاحبنا ببصره وإنما قال في صوت عميق حزين: قم وعد الشاي؟

ثار صاحبنا وصاح حانقاً: ماذا تريد؟ ومن أنت؟ هل قطعت المسافة إلى هنا من أى مكان حتى لو كان من الجحيم لتشرب الشاي؟! لم يتحدث الرجل وإنما أعاد في بطاء مطلبه: اذهب وأعد الشاي.

- اللعنة عليّ وعلى الشاي.. ماذا تريد؟
- الشاي.
- سأتصل بالبوليس.
- أولاً أعد الشاي، إن الأمر جد خطير ولن يضبط الكلمات سوى الشاي.
- هل الشاي هو الذى يفك عقدة لسانك؟!
- الشاي يا بنى، إنها مسألة جادة قد تصل إلى حد الدماء.
- إذن سأذهب إلى المطبخ لأعرف ذاك الشئ الرهيب.. واللعنة على الشاي، ولكن لن أشرب هذا الشاي أقسم لن أشربه اننى أكاد أجن إن الصداق يقتلنى.

لم يتحدث الرجل وذهب صاحبنا يلعنه ويلعن كل شيء، إن رأسه تكاد أن تنفجر مرت ربع ساعة وهو في حيرة من أمره ولكن على أي حال فقد أعد الشاي وها هو يجلبه إليه.

- الشاي..

ويبدأ الرجل في رشف الشاي.

ألا تتحدث؟

- عندما يرشف المرء الشاي يجب أن يصمت لا يستطيع إنسان

أن يفعل شيئين في وقت واحد.

- ولكن.

- لا لكن دعني أشرب الشاي في هدوء أرجوك.. وصبر صاحبنا

حتى انتهى الرجل من رشف الرشفة الأخيرة ثم وضع القدر على

المنضدة ولم يتحدث.

ها أنت قد شربت ألا تتحدث إذن؟

- يجب أن تعيد الشاي إلى مكانه والاقداح إلى مكانها والسكر

إلى مكانه هيا يبدو أنك شديد الكسل.

نظر صاحبنا إليه نظرة حانقة ونهض وغاب دقيقة في الداخل

فلما جاء وجد الرجل قد خلع نعليه ووضعهما على المنضدة..

فاندهش وقال ما هذا؟

ورد الرجل: بعد الشاي لابد من أن يحدث هذا؟

- بعد الشاي تضع الحذاء على المنضدة؟

- نعم.. أرجوك أنا أريد هدوء.

- أنا الذى أريد الهدوء.. أريد النوم.. أقبّل يدك وقدمك أتكلم

أو...؟

ولكن الرجل نظر إلى ساعته وقال فى هدوء وبرود: إن الوقت

ليس وقت تقبيل حذاء أو قدم يا بنى...

- ورغم ذلك سأفعل ولكن تكلم.

- ماذا تريدنى أن أتكلم؟

- يبدو أن موتى قد قرب.. أأست أنت الذى أتيت؟

- نعم.

- إذن تحدث فى شأن حضورك.

- أنا لست دكتاتوراً يا بنى حدد أنت اتجاه الحديث.

- يا رب السماوات.. أنا لا أريد الحديث عن شيء مطلقاً.. وإن

لم تكن تريد التحدث إذن فاذهب.

- انطردنى؟ يا لها من أخلاق.. ولكن أعلم أننى لم أجد ظالماً أو

متطفلاً لقد جئت لشيء هاماً، بل هام جداً، ربما يصل إلى حد الموت.

- إذن أرجوك تحدث به.

- ولكن ألا تعلم أن لكل شيء بداية.. تمهيد؟

- الهام أن تعرف ماذا تريد.. ولتمهد كما تشاء.

- إذن فقد تركت لي دفعة الأمور لأمهد ولأتحدث كما أشاء.

- أقسم نعم ولكن الهام أن تتحدث أن تثير ذهني الغبي بما

يعتمل في ذهنك الرهيب.. بأن تصارحني.. أرجوك

- إذن لنبدأ البداية الصحيحة.. تحدث معي إذن ولتحب بصراحة

لماذا لا نهجر إلى كوكب بلوتو؟

وقام صاحبنا دافعاً الأرض وقد صاح: يا رب السماوات والأرض ثم

اتجه إلى الرجل.. هل جئت إليّ في ذلك الوقت لتناقشني في مشكلة

الرحيل إلى كوكب بلوتو؟ أنت مخبول.. أرجوك.. ماذا تريد؟

ورد الرجل في صوت به مسحة من الألم، أنا مخبول.. أنت يا

سيدي الذي لا تفهمني.. لقد قلت كثيراً أن ما جئت لك فيه أمر.

وتحدث صاحبنا: أمرصعب وقد يصل إلى الموت، أقسم أنني قد

فهمت ولكن الآن أريد أن أعرف دون تمهيد هذا الأمر المغضى إلى

الموت.

- إذن لن أحدثك عن الفلك والكواكب تبدو أنك لا تريد الحديث في هذه الموضوعات المصيرية.. أنت يا فتى من أولئك الذين يسمحون للغير بأن يسحبونهم.. إنك كالبقرة يا سيدي.. لابد أن يسحبك أحد ما وعندما أهديك إلى السبل وأصغ أمامك مشاكل الرحيل إلى كوكب مثل بلوتو تريد أن تتنصل من تفاهتك وبقريتك بالهروب إلى النوم. وصاح صاحبنا: أبعد أن فتحت لك الباب وشربت أنت الشاي تقول إننى بقرة.. اسمع انها آخر كلمة.. تكلم وإلا الخروج.

- أنت الذى وضعت دفة الحديث بين يدي.. إذن عليك أن تُضحى.
- أنا سأصغى ولكن لأننى أكاد أقع مغشياً عليّ لأننى أريد أن أنام.
إذن سأتحدث فى الموضوع ولكن بعد التمهيد اللازم.. سنتحدث فى شأن مناسب، مثلاً ترى لماذا أثر هتلر ذاك الشارب الغريب الشكل.. دون غيره من سائر الأشكال؟

وقفز مرة أخرى صاحبنا وقال: يا رب الجحيم والنار والجنة.. هل تتحدث معى عن شكل شارب هتلر.. إننى أكاد أن أقتلك..

- لديك الحق فى هذا فالشارب وشكله من الحريات الشخصية ولكن دعنى أوجه إليك سؤالاً هاماً: لماذا لا نعيش فى حب وسعادة؟
- لأول مرة تقول شىء استطيع الإجابة عليه.. لأن كل شىء له

نسبته والسعادة لى تختلف عن السعادة لك وهكذا ومنه لا تستطيع أن نضع مفهوماً عاماً للسعادة.

- والحب؟

- كلنا نحب.

- أنا لم أحب.

- لماذا؟

- لا أعرف لماذا؟ لقد أحببت مرة واحدة.. كنت أيامها بطور الشباب كان شعوراً غريباً أن أحب.. ومازالت استغرب هذا الشعور.. تساءلت: ما الحب؟ ولماذا نحب؟ إن ثمة معضلات كبيرة تقف في وجوهنا مستعصية الحل ولكن الغريب في الأمر.. هو أن هذه المعضلات هي التي تشكل ذواتنا وتحدد خطوط أعماقنا العريضة. أأست معى فى ذلك؟

- بالطبع ولكن لن استمر معك لأننى سأنام جالساً.

- لا يهم هذا.. لقد وجدت أخيراً ضالتي.. وجدت إنساناً

يسمعنى.. أرجوك لا بد لك أن تسمعنى.. اننى أتوق إلى ذلك.

- بوسعك أن تجدنى آذاناً صاغية إن أتيت بالغد.

- ومن يضمن لى أن للغد شروقاً وأنا لا أزال أتنفس أو أنت مثلاً..

من الممكن أن تموت تحت عجلات سيارة فارهة مسرعة.. أو حتى تتمزق تحت عجلات ترام.

- أرجوك كفى.. هل الحب هو ما تريد أن تتبين؟

- والاشتراكية.. ما رأيك في الاشتراكية؟

- كلنا نشترك في أنا بشر.

- الاشتراكية هي المرحلة الوسيطة للوصول إلى الشيوعية، أليس

كذلك؟ إذن لماذا لا نعتنق الشيوعية؟!

- والله..

- الله.. كلمة تشعر معها أنك أمام الله القادر على كل شيء..

كلمة تجعلك تشعر وببشريتك وهذه هي الحقيقة.

- وعظمتك وسموك لقد أمر الله الملائكة فسجدوا لآدم.

- ولكن ترى هل يسجدون لي؟

- أنت لست آدم..

- بالفعل.. ولكنى ابن آدم.. لماذا إذن لا يسجدون إلى ابن آدم؟

- الملائكة تسجد بأمر الله.

- ولماذا لا يأمرهم الله؟

- ليس هذا السؤال في حدود قدراتي.. ثم أنك تتحدث في أشياء

غريبة ماذا تريد؟

هل تعلم أنك وضعت يدك على الجرح العميق؟ لقد سألت السؤال الصعب ماذا تريد؟ يا له من سؤال.

هل هناك إنسان يريد، ولكن قبل ذلك هل هناك إنسان يعرف ماذا يريد؟ أما عن رغبته فهي موجودة ولكن لماذا يريد؟ هذا هو السؤال.. ولكن لماذا يريد ما أراد.. هذا هو السؤال المستحيل.. لو حدث ذلك لوجد الإنسان نفسه والمستحيل لا يلقى الحقيقة.

- لا مستحيل.

- لقد هُزم قائل هذه العبارة في والترو.. يبدو أنه كان يعتقد أن المستحيل أن يُهزم الا أنه هُزم.

- نعم هذا دليل أنه لا مستحيل.

- بل إن المستحيلات كثيرة.. منها أن تعترف أنك قدر أو حقير-

المستحيل هو أن يتخلى الإنسان عن غروره المزرى وأن يتحدى العالم ومن قبل العالم نفسه ويقول: لقد أخطأت، كثيرون يعلنون عن الخطأ ولكن في قرارة أنفسهم يريدون الظهور بالشجاعة بل يريدون كسب حب الجماهير.. أيضاً كل هذا غرور. إن القوى هو أن يخطأ

ثم يتحدى نفسه ويهتف أمام الجميع أنه أخطأ وحتى لو لم يكن في قرارة نفسه رغبة في التماس الإعجاب فالناس ذاتهم سيعجبون به.. ربما لأنهم شعروا أنه فعل ما لم يستطيعوا أن يفعلوه، ولكن لا بد أن يتواجد أيضاً من لا ينظرون إلى هذا أو ذاك وسيقولون أقاويل كثيرة.. يدينون إياه والعجيب أن بعض دائنيه قد فعلوا نفس الخطأ وربما أكثر وأعظم ولكن يحاسبون الآخرين كأنهم آلهة تاركين أنفسهم بغير حساب.. إنهم أشبه بالقاضي الذي يجهر بالعدالة ويُسّر الظلم!!

- دعنى إذن أفتح موضوعاً..

- تفضل هذا ما أبغاه.

- ما رأيك في النوم بعد التعب؟

ولكنك لا تستطيع أن تجزم بأن الإنسان أعلى الكائنات.. سمك القرش مثلاً.. يأكل الأسماك الأخرى الدون قوته بل يهلك الإنسان.. الإنسان ليس قوياً ولكنه يمتلك العقل وبهذا العقل سيطر الإنسان على القرش وأمثاله، الإنسان الآن استطاع أن يضع آخر في سجون ذات مساحات غريبة لا تسمح له بالنوم أو الوقوف.. رأيت.. إنه العقل؟ الإنسان الآن يضع الهلاك في كتلة حديدية أو يورانيومية ثم

يضعها على قمة صاروخ ظريف لطيف لتخرب وتهلك الملايين..
أرأيت؟ أنه العقل.. ولكن أريد أن أعرف من هؤلاء الذين يهبون
حياتهم للهدم والموت لماذا لا تضعون تلك الوسائل المهلكة في منقار
أو مخلب طائر قوى؟!

لماذا يدفعون بهذه الأشياء عبر الصواريخ لا عبر الطيور؟
ربما لأن الطيور لا تملك نفساً عدوانية مثل الإنسان؟ ربما لأن
الطيور لا تستطيع أن تسيطر على مخها الذى تحويه عظام جماجمها،
ولكن الغريب يستطيع أن يتحكم في حركة الطائر كله.. يستطيع أن
يضعه في أقفاص حديدية ويحدد موقعه ولكن من المستحيل أن
يجبره على تغيير رغبته.

أنظر إن هناك مستحيلاً كهذا، أراك وهو لم تكونا تلتفتان إليه..
شئ غريب.. ربما لو وضع بين مخلبيه أداة الهلاك لطار إلى فراسخ
ثم يهوى بها إلى من سلطوه بها على آخرين.. إن كل الكائنات بريئة
تعيش بفطرتها حياة هادئة رغم حياة الافتراس ولكن هذه الحياة
هى التى تجعلها مفترسة أو قل انها مسيرة، ولكن نحن بنى الإنسان..
نحن اللذين نتحكم في مجريات الأمور، ماذا حدث؟ لقد أهلكنا

كل شيء وتصورنا أن هذا التحكم مطلوب.. مسكين أنت يا عزيزي
الإنسان.. كم أنت تافه حقير وأيضاً عظيم!

- ماذا تقول؟ لقد جعلتني أتوه بين أسماك القرش والطيور
والموت.. هل هذا كل ماتريد؟.

أنت يا عزيزي آبله.. لقد أخطأتُ المجيء إلى هنا.

- يا سيدى الحمد لله أنك قررت ذلك والأجدر إذن أن تمشى.
- هل تريدني أن أرى خطأ وأسكت.. لابد ان نتناقش حتى النهاية.
- نهاية.. أى نهاية.. اننى أكاد أموت.
- إذا كنت قلق أو متعب فلتذهب إلى حيث تريد.. هل لديك مسرة؟
- كلا.. لماذا؟

- كنت سأتصل بأحد الأصدقاء ليجيئ إلى هنا وتذهب أنت إلى
حيث تشاء.. إلى النوم أو... أو...
- هل تعلم أننى أكاد أبكى.

- من المؤكد أنك ستستريح بعد البكاء، نصحتي لك.. والمرأة..
المرأة يا عزيزي لقد نسيت أن أتحدث معك بشأنها.. يا الغبائي كيف لم
أتحدث مع رجل عن امرأة.

- ألم تتحدث عن حبك الوحيد؟
- كلا.. هذا كان كلام تحت كلمة الحب لا تحت كلمة المرأة..
- والحب في بعض الأحيان شيء والمرأة شيء.
- ماذا تقول؟
- نعم.. نعم.. الحب شيء والمرأة شيء، المرأة في بعض الأحيان
تكره من يحبها.. وفي بعض الأحيان تحب من يكرهها؟
- الرجل أيضاً كذلك؟
- ولكن المرأة أكثر لأنها مخلوق يعيش تحت لواء العاطفة، قابلت
امرأة مرة كل مشكلتها أنها تحب.. كانت كل المشكلة أن الرجل لا
يبادلها الحب وتحت أقدامها رجل آخر، ولكن ليت الأمر اقتصر إلى
هذا الحد فالرجل الأول أيضاً يحب ولكن من يحبها لا تحبه.
- تصور موقف كهذا.. إنها متوالية.. متوالية غريبة قد تبدو
ساذجة تافهة ولكن لن يتذوق مرارتها وآلامها الا من فيها والدليل..
تصور مثلاً أنك تحب بكل ذرة في كيانك ثم تعقد العزم أن تتحدث
بهذا الحب الذي من أجله قرأت كل روايات الرومانسية العاطفية
وجعلت تنظر للقمر والشمس حتى تورمت عيناك، فعلت كل هذا

ثم في النهاية تقول لك كلا.. ولكن الجنون والاستغراب سيملانك عندما تعلم أنها أيضاً رُفضت وأن كل منكما سيظل كما هو مرفوض..
شيء غريب.. غريب ولكن لا غريب مع القلوب.. أليس كذلك؟
والاقتصاد يا عزيزي.. ما رأيك في الاقتصاد؟ ولكن السؤال الأقوى
من يملك الآخر أنا أم هو؟

- هو؟ من هو؟

- العملة.. النقود.. المال.

- ماذا تقصد؟

- أريد أن أعرف شيئاً بسيطاً.. لما كان المال هو كل الأشياء الآن..
المريض لا تُشفى إلا إذا باع مرضه واشترى الشفاء.. لاحظ أن الشفاء لا
يُشترى ولكن الأطباء في العالم لابد لهم أن يوهموا أنهم يبيعون الشفاء.
الحياة كلها الآن مقامرة.. بورصة.. أود أن أرى بعض الأشياء..
لا تعتقد فيما سأقول إنني كافر أو ملحد ولكنها الحقيقة.. إذا كان
الجميع قد باعوا ذواتهم إلى ما في جيوبهم وإذا كان الجميع يقدسون
الثراء وإذا كانت كلمة المال هي كلمة الحق مهما كان خطأها.. إذا
كان كل ذلك وأكثر.. فلماذا؟

لماذا لا يحولون العُملة إلى إله؟! أراه اقتراح ظريف.. لا بد أن يُسخر الفنانون أنفسهم في عمل لوح وثمانيل لعملة كل بلد مادي لا يعتقد إلا في المادة ولكن.. لا.. لا.. ان هذا سيجعل العبادة في يد الفنانين لأنهم وحدهم سيكونون صانعي الآلهة الجديدة.. لا بد من عمل آلهة لأن من سيعبد أولئك الآلهة لا يعتقدون إلا فيما بين الأنامل. أرى أن يصنع كل إنسان إلهة من عملته التي يحبها والتي ينفق منها وبهذا لا نضع الآلهة الجديدة في أياد لا تعرف الرحمة، أياد من يقولون إنهم فنانون، ولكن ماذا تتحير من الأماكن لتكون مكان العبادة؟ أرى أن هناك مكاناً عاماً ظريفاً.. وهذا المكان سيكون بمثابة المكان الأكبر لكل بلد أو فئة إنه البورصة.. وسيصلى فيها ويتعبد بها أثرى الناس فقط، أما البنوك فستكون موالية للبورصة بالطبع ولكن أقل شأنًا منها، واعتقد أن كثيراً من الناس سيحجون إلى تلك البورصة في يوم من الأيام.. وما هذا أنك قد نمت تماماً.. إنك لا تصلح لكي تكون أذنًا صاغية.. سأبحث عن آخر يستمع إلي.. لا يعد فائدة.. في أحد.. وبعد دقائق استفاق صاحبنا وقد أحس أن مطارق تهوى على رأسه وصمم أن يكتشف ما حدث ولكنه علم أن الرجل قد مشى إلى

غير مكان معروف.

أخيراً أغلق النور، وولج إلى حجرته ولكن النوم جافاه فقرر أن يسمع بعض الموسيقى الهادئة ليضيّع قلقه مع ذاك الرجل الذى أتى وذهب ولم يدرى ماذا يفعل معه، فتح المذياع وبعد عدة حركات فى المؤشر سمع صوت مذياع يلقى أوصاف نفس الرجل الذى كان معه منذ ربع ساعة وقد علم أنه مجنون هارب وامتقع صاحبنا وهو يعيد الذاكرة ويتصور أنه كان مع مجنون ولكن لما أعاد ما سمعه شك فى ذلك، وتذكر أنه قال له انه مخبول.. فحمد الله أنه لم يغضب ولم يحطم مجتمته ثم أغلق المذياع وولج إلى ماتحت الفراش..

جمصة

الثلاثاء / الثانية صباحاً

١٩٨٨/٩/٦

(٢١)

عزيزى.. إننى أكرهك!!

كان ساعتها يقف هو وأحد زملائه فى أحد الأركان التى اعتاد أن يقف فيها وقد أخذ يقرأ له إحدى صفحات قصة قصيرة قد سطرها بالأمس.. كان يقرأ بحرارة واضحة فقد أخذت نبرات صوته تعتنق صوت الناي الذى يصدر صوته أيان السحر.. وكأنه يتحدث عن نفسه والحقيقة أنه كان بالفعل يتحدث عن نفسه.. وقد قال زميل له هذا مقاطعاً إياه اذ تحدث بلغة الواثق.. أنت تتحدث عن نفسك.. وبطل قصتك هو أنت فرد القصص العادى.. لم أكن أحب أن يعلم أحد ذلك.

- كيف ذلك وكل من ينظر إلى عينيك يعلم؟ وكيف ذلك وكل من يسمع نبرة صوتك يعلم؟ - إنك يا عزيزى البطل الحقيقى وكانت قصتك حلمك الذى لم يتحقق.

- إنك لم تقرأها بعد.. فإذا ما فعلت ستجد أن نهايتها الفراق.
- لم؟
- لأن الفراق كتب عليّ.. كل من خاللت فارقته وكل من أحببت باعدته وافتقدته ربما تكون سنة حياتي أن أفارق من أحب وأن أفقد من أرجو.
- لماذا الفراق؟ إن رومانسيّتك تجعلني أشعر أنك تستعذب الألم.
- لو كنت أستعذب الألم لوجدت شفّتي مصاحبتين بابتسامة واسعة ولم تكن لتجد مسحة الألم بالعين.. والعين هي الصوت الوحيد الى يقول في صمت كل الحقيقة.. انها أداة التعبير الوحيدة.
- ولسانك؟!
- قد يكذب اللسان ولكن تبقى العين صادقة.
- ولماذا آثرت النهاية الحزينة؟
- لأنني أعلم أن النهاية ستكون كذلك.
- أمن أجلها؟
- بالطبع نعم.
- وهل طلبت منك النهاية الحزينة.

- ليس من اللازم أن تطلب.. يكفي أن تفصح العيون.
- وماذا قالت عيناها؟
- قالت إنها تريده.
- من؟
- هو؟!
- من هو؟
- هو ذاك المحب الذي يستحقها.
- وأنت؟
- المهم أنها تحبه.
- وأنت؟
- المهم أنها تحبه.
- وأنت.
- لى ذكرياتها.
- وهل لك معها ذكريات
- بالطبع.
- ما هي؟

- آمالى.
- التى لم تتحقق؟!
- من قال إن الآمال لا تتحقق.
- إن آمالك التى رسمتها تتداعى الآن أليس كذلك؟
- إن الأمل هو العصا السحرية التى تجعلنا نعيش.. قد نعدم الأمل فى الحب ولكن يبقى الأمل فى الله.
- ولكن إذا تحدثنا عن الحب.. فلننحى الدين.
- كيف يا صاحبى والدين حب الله؟
- أتطلب أن يوفقك الله فى حبك.
- ولم لا؟ وفى هذا الصلاح والبر؟
- ولكن؟
- لا لكن.. هل كنت تقصد أن الحب بمنأى عن الله؟
- بالطبع لا.. لم أكن أحبها لكى أنعم بانطلاقها معى.. كنت أحبها لأنى وجدت بأعماقها الصلاح.
- وهو؟
- لا أعلم ماذا وجد فيها ولكن ما وجدته أنه لا يرتقى عليه.

- أنت رومانسى يا عزيزى.
- أنا لا أحب المظهر.. أنا أحب الجوهر
- أتريد أن تقنعنى أنك تسلم بأنها له؟
- ولم لا؟
- أنت عنيد.. الكل يعلم أنك لا تسلم بسهولة.. أنا معك منذ باع طويل حتى أدوار الشطرنج كنت تجاهد بها لآخر بيدق.. تريد الآن أن تقول لى أنك قد أسلمت الأمر إلى.. إلى من يريد لها غيرك.
- القلب ليس قطع شطرنجية يا عزيزى.. قطعة الشطرنج تموت ثم يمكن لها أن تُعاد إلى الساحة من جديد عندما يرتقى أحد البيادق ولكن عندما تموت الشاه ينتهى كل شىء وتقف القطع كلها فى موضعها لأن أهم ما فيها قد مات وما أنا بصدده هو فقد الشاه ولكن ذاك لا يعنى أن تموت بقية روافد حياتى صحيح أن الشاه لا تبعث إلى الرقعة من جديد ولكن ذاك لأنها صماء حمقاء غبية ولكن بقية روافد حياتى تستطيع أن تخلق شاه آخر ومن يدرى قد يهبنى شاه نفسه، ولكن كل هذا لا يعنى النهاية..
- أتؤمن بالاشتراكية فى الحب إذن؟

لست من اتباع ماركس وأنت تعلم ذلك جيداً.. أنا من أتباع الكرامة والعفة لا انطلق حيث انطلق غيرى ولكن بشرط أن يكون ما انطلقنا إليه قد أعطى البريق بدرج غير درجى.

- ولكن أنت تجعل الأمر سهلاً.

- ولماذا أعقد الأمور؟

- الا تبذل المحاولة الأخيرة؟

- هل سمعت من قبل عن شخص يذهب إلى الصحراء من أجل الماء.

- من الممكن أن تجد بها بئراً وماء الجوف أنقى من مياه كثيرة.

- ربما ولكننى فى الحفر ومائى بين يدى.

- لا أفهم.

- مائى ألا أذهب إلى مصدر آخر للماء.

- ماذا تعنى؟

- مائى هو العطش عن شرب ماء الغير.

- ولكن الحب حب.

- والأعماق اعماق والمبادئ مبادئ والحق حق.

- وأنت؟

- كنت مستعد أن أقتحم كل الأخطار وأن أصرع كلمات الثثرة التافهة ولكن هل ينكر أحد أن لنفسى مصلحة في ذلك؟
- بالطبع لا.. إن لنفسى رغبة في إفساد ما بينهما ولكن ضميرى يا عزيزى، ضميرى ذاك القاضى الذى ألبسته من قبل زى الفضيلة.. أين سأتجه به؟ أنا ذلك العبد الذى عودته أن يسألنى لماذا؟ أنا الذى علمته حروف هجاء العدل والحق.. أأتصل الآن من عهدى السالفة؟! أردته إلى هوية الجهل والظلم والتناسى؟
- كلا.. كلا يا عزيزى.. إن تنازلاً واحداً فقط يكفى ليهز بل يحطم معبد الضمير ويحطم مثاليات العدالة والحق.
- ولكن فلتنقذها منه..
- كلا.. ربما لأول مرة لا أتجه إلى الخير.. لأن هذا الخير يعنى طعننا لآخر.
- وهل تخاف عليه؟
- بالطبع.. أتسى أنه وسيلة سعادتها.
- أنت غريب.. أتخاف على من سبب تعاستك؟
- أولاً أنا غير تعيس، ثانياً لا بد أن تدرك أننا وسائل وأنه لا يُفرق عنى فى شىء.. قد تختلف فى أشياء عديدة ولكن يبقى هو إنسان وأنا

إنسان يبقى هو الحب وأنا الدخيل.. وليس من حقى أن أحقد أو
أكره وسيلة إسعادها هو مثلى تماماً ولكن هى مثله تماماً واختلف أنا
عنهما أننى غير مُراد.

- أنت غريب.

- أنا رجل مبادئ- طريقى هو أن أحقق جزء من المثالية.. هدفى

إخضاع نفسى ونجاحى هو السعادة.

- وسعادتك؟

- عندما نحب نريد السعادة لمن نحب.. عندما نحب تذب

الذات فى ذات المحبوب..

- أنت بذلك تثير حقدى.

- أنا أعلم أن هذا سلوك غريب ولكن ليس معنى تفشى الأنانية

أن أكون أنانياً ليس معنى سيادة المأساة أن أكون حزيناً.. إن أجمل

الابتسامات تلك التى نستدرجها من أعماق مآساتنا وأقساها تلك

التي تتبع من قلب حزين دون أن تغير ما بالأعماق.

وهنا ظهر هو.. وهو ذاك الشخص الثالث بين صاحبنا وهى.. وقد

رآه الجميع.. وساد الوجوم وهو يقول: السلام عليكم وردا السلام عليكم.

لقد سمعت كلامكما كله وأنا خلف هذا العمود الرخامي دون أن تشعرنا.

- كان حديثاً عابراً لا تهتم به.

- كيف لا أهتم به وهو يدور عني؟

صاحبنا: عنك؟! ولم تعتقد ذلك؟

لا تنزعج لقد قلتما ذلك؟

الصديق: أستاذن أنا الآن ثم يمشي كان الصديق يعلم أن الأمر

قد ينفجر في أي لحظة وهو لا يريد إحراج أحد لأن هذا الأمر في

كنف السر.

صاحبنا: يبدو أنك منفعلي.

- أنا؟! لا أبداً ولكني متعجباً.

- من أي شيء؟

- منك؟

- لماذا؟

- أنت غريب جداً.

- هكذا دائماً يقولون.

- أنت تشبه تلك الجوهرة التي وجدها الباحثون بالطين.
- أنا جوهرة؟ هذا كرم منك.
- صدقنى أنا أعلم كل شىء.
- ماذا تقصد؟
- أعلم الأمر الذى بينى وبينك وبينها.
- لا أمر بيننا.
- لا تحاول أن تتخلص من الموقف.
- أنا أحاول أن أفهم فقط.
- أنت على حق.
- وما حقى؟
- أنت الذى يستحقها.
- ماذا تقول؟
- أنت الذى تحبها حقاً.
- أنا لا أحب أحداً.
- أنت تحبها.
- ماذا تريد؟

- أريد أن أurd كل شيء إلى موضعه الصحيح.. أريد أن أجعلك أنت صاحب قلبها.. أنت الجوهرة التي لا بد أن تستميل الجواهر الأخرى، لقد وجدت فيها من قبل مصدراً للتسلية في البداية.. تلاعبت بقلبها ولو إلى حين.. كانت بالنسبة لي الجمال الذي يجب أن يخضع لي.. كانت الجمال ولا شيء سوى الجمال.. عرفت كيف أخذت حبها وأسحبه بلا استحوذ عليه.. أنا أعلم أن ثمة ما يدور بصدرك الآن ولكن صدقني كنت كلما حاولت أن أعبت بها بأعماقى تجذبني هي إليها. أنا مغرور يا سيدى وكنت أريد أن استحوذ على الزهرة الجميلة في إصيص الزهور ولكن لم أكن أتوقع أن أجرح بشوكها الرقيق.. وعندما عرفت هي أن نيتى كانت عبث نفرت منى.. ربما اتجهت إليك بعدها ولكن كنت أشعر في كل نظرة منها إليك بخنجر يمزق قلبى الذى لطالما عذب قلوب.. وشعرت أن كل شيء يضيع من يدي ولهذا أثرت أن أخذها مرة أخرى.. اننى كنت أكرهك كرهاً عميقاً.. ولكن هل لك أنت تفهمنى؟ لقد أحببتها.. نعم لقد أحببتها. كانت مدة غيابها عن أعماقى.. كاللهب الذى يحرق قلبى.. كلما رأيتها بين عينيك أزداد كراهيةً لك وشغفاً إليها، قالوا: إنك تحب ولكن ليس

أى حب، حب ذو معنى لا ذو كلمة.. واتعجب أما زال على الأرض مثل هذا الرجل.. لابد أنه كاذب.. وكان هذا ما جعلنى أزيد جهدى لآخذها مرة أخرى.. إننى أحبها.. والآن وقد عرفت انسانيك وعرفت أنك لا تكرهنى.. لا أعلم لماذا أكرهك.. كان هذا بالماضى ولكن الآن عزيزى اننى أحبك ولن أكون أقل منك.. سأعطى لك مفتاح سعادتى سأتخلى عنها لك.

- أتحسب أن هذه تضحية؟ أتحسب أن شعورك بالذنب سيمحى بأن تتركها.. بل ترشدها إلى من تحبه.. كلا يا سيدى.. إن الحب والمثالية والمبادئ تحتم عليّ أن أقول لك.. إن التكفير عن ذنبك لابد أن يتم بالمصارحة، نعم يجب أن تصارحها بكل شىء وأن تدعها هى تحكم بنفسها ويجب أن تعرف أن كبرياء حواء الكامن بأعماقها قد يقول على لسانها.. أن كل شىء قد انتهى.. إن كبرياء حواء يا سيدى أعظم من أى كبرياء وكرامتها قاسية لا تقبل الإهانة، أما أنا فقد انتهى الأمر لى.. وأنا أقول الصدق.. لقد مضى الأمر عن قلبى تماماً ولم أعد أفكر إلا فى عظمتة لافى جوهره، إننى لا أكرهك ولا أكرهها.. إننى فقط حكم بين كل المواقف حكم بين نفسى والواقع وقررت أن أمزق جزء

القلب الضعيف وأنا الان أحكم بينك وبينها وأقولها لك.. إن أردت أن تتحدث عن الحقيقة فلتتحدث وان أردت أن تخفها فلتخفها.

- والضمير؟

- إن الأمر ليس بهذا السوء.. كلنا نخطئ.

- أذدافع عنى؟

- أنا أذافع عن الإنسان لا أذافع عن الشخص.

- ونفسك ورغبتك وحبك لها.. حتى لو كان بالماضى؟

ألا تريد عينها تدمع لأنها لم تستجب لك؟ الا تحب أن تراها حزينة ألا تريد نفسك أن تراها نادمة؟.

- كل هذا لا يعينى.. إن استطعت أن تنفذ الحق لو على نفسك

فقد فزت.. فزت بالضمير اليقظ والسعادة، وما الحياة؟ أليست

السعادة؟ وما السعادة أليست راحة الضمير وهدوء القلب وراحة

النفس.. وهى كانت لى الحلم الجميل وأنا الآن لا أريد أن أقضى على

هذا الحلم.

- ولكنى سأقول لها.

- تذكر أن هذا قد يعنى نهاية الحب.

إن كان فليكن حبي هو الثمن لكل أخطائي.
إذن فلتذب.. إن هذا الحديث آخر عهدى بهذا الأمر.
عزيزى اننى أحبك.

ولم يندهش صاحبنا عندما جاءته مكاملة تليفونية من ذلك
الحبيب تقول له لقد قالت لى إننى أنانى.. وهكذا كان لابد أن يسدل
الستار وأن يبدأ الجميع من جديد.. من وهبت قلبها بدرب خاطئ
ومن وجد فى الأنانية السعادة وأن يستمر المشاهد يشاهد الدنيا من
وراء نظارته الطبية التى لطالما رأيتها بها.

١٩٨٨/٣/١٢

(٢٢)

"شاعرة البيت الواحد"

لم يكن أحد يتوقع ذلك.. نعم لقد كان أمراً مفاجئاً.. حتى إن البعض أخذ يردد.. أهذا معقول؟! كان يومها يوماً جميلاً يحمل بثناياه طيف المأساة.. كانت الشمس تبعث بأشعتها إلى الجميع وكأنها تشرق في هذا اليوم بالذات لتعطي إحساساً أنها ليست ضده كما هي حالة الجميع.. كان المكان معروفاً فقد تحدثت عنه كل كلمات الحب وكان الزمان مشهوراً حين يموت لهيب الشمس وتبدأ أشعتها الصفراء الشاحبة في الظهور.. كان كل شيء معد.. ورغم أن الموعد كان عند موت الشمس إلا أن كل مرة كانت تعنى ميلاد لشمس جديدة، شمس بداخلهم تبعث في نفوسهم الضوء الذي لا يخبو والدفع الذي لا يموت.. كانت الشمس التي تبتث العاطفة في الأعماق فتندفق الكلمات.. كانت الشمس التي تهب للعيون نظراتها الرومانسية الجارحة الرقيقة.. كانت الشمس التي تجمع الروحين

قبل العينين والقلبين قبيل الجسدين.. كانت شمس من نوع جديد.. ضيائها ذاك الشيء الساحر الذى يسمى الحب وأصلها غير معروف هويته.. إنها شمس الأعماق.. تلك الشمس التى تبزغ آناء الليل وتشرق بدروس الظلام.. وتدفع القلوب أيان الجفاء ولكن هل يمكن لهذه الشمس أن تخبو؟! أن تموت بالقلوب؟!

كيف.. كيف يموت الدفء ولا حياة بدون دفء.. بل كيف نعيش بلا حب، يبدو أن الحياة لا تعترف بالمعنويات.. أجد أن هذا تضاد.. ولكن عندما نياس نقول ما يبرر لأنفسنا اليأس عندما نوشك على الموت نتغزل فى التراب ونمقت الحياة، هكذا الإنسان مغرور لا يحب الاعتراف بالأخطاء أو الهزيمة.

كل ذاك كان بخاطره عندما وقف بالمكان فى الزمان المحدد ونظر إلى نهر النيل الذهبى وابتسم.. سرعان ما أحس بالوحشة فقد أخذت الثوانى تمر كأنها قرون ومازالت شمسه بمنأى عن عينيه رغم أنها بأعماقه ولكنه محب أنانى.. ولم لا والحب أنانية؟ فالحب موت ذات لذاتين لأن الذاتين أصبحتا واحداً.. الحب عنف وقوة ورحمة وإنسانية الحب وحشية فى الأنانية لا يطيق الشريك إن الحب هو كلمة أنا لا هو.. وبعد برهة جاءت تنهادى.. كانت كعادتها.. جميلة

صافية نقية.. كان الهواء يداعب شعرها الحريري ولكنها استطاعت أن تسيطر عليه كان الثرى يداعب العيون ولكن لم تحرم العالم من آثرتها فلم تغمض الجفون حتى لا تموت الشمس وأخيراً وصلت.. فشيحها بنظرته الهادئة الثائرة المريدة العاتبة الملهوفة الحائرة ولم يعلم كيف يفعل عندما وجد أعين صافية بلا أدنى استجابة.. كانت عيناها من قبل نهر هادئ في لون شطر الزمان بغياب الشمس الكونية، أما الآن فهي نهر هادئ أيضاً ولكن بلا أمواج مجرد مياه صافية غير منفصلة.

تعجب ولم يتحدث فقد خاف أن تجرحها كلماته.. ولكن أراد أن يتحدث فخانتته الكلمات.. أحس أن كل ما قرأه قد تهاوى وأن كل ما سمعه قد نُسى وأن كل ثقافته اختفت، كان هو كذلك دائماً فهو يشعر أن عينيها سر المعلومات.. ولكن ليست أى معلومات بل أثنى معلومات لهذا كان يكتب دائماً فيهبط الوحي الشعري إليه عنها.

تسألين عن حبي لماذا؟ قدرى يتيم الأسباب

ضل هويته عن رغبة فما أروع درب الأحباب

إنه يقدر روعة عينيها ولكن هي.. ربما لا تدري بذلك!!

وأخيراً تحدث ولكن بصوت كأنه قيثارة أو ناى حزين يريد أن

يفرح ولكن هيهات فالناى أداة الحزن الموسيقية وهو رومانسى شهير
يغرق فى الموسيقى المعبرة عن أعماق.. انطلق ناى حنجرته.. أنت!..
أين أنت؟ لقد مضت ثوانى كانت لى سنوات طويلة، لقد افتقدت..
بل أفتقدك الآن.. إن أعماقى تبحث عنك فى ثناياها ولن.. وقاطعته..
ولكن.. لا لكن.. اننا نفتقد أشياء كثيرة

وانزعج.. عما تتحدثين؟

هى ألا تعلم عما أحدث.. يا لك من مثقف؟ كيف إذن تدعى

أنك مرهف الحس؟

وظلت نظراته الحائرة ولكنه قال:

أنا أدعى؟! وماذا أدعى؟ أنت تعلمين جيداً أعماقى

- لا تتحدث عن الأعماق لقد سئمت هذه الكلمة

- سئمت هذه الكلمة! كيف؟ إن الحب من الأعماق هل تسأمين الحب؟

- الحب.. أخيراً تلفظت بهذه الكلمة..

- أنت تعلمين أننى أحب هذه الكلمة.

- ولكن كم مرة قلتها؟

- ملايين المرات.. لقد قلتها بالدم والقلب والنظرات.

- أنا أريدها باللسان.. أريدك أن تشعرنى أننى حبيبة لا حبيبة عاقلة.

- أنت تريدين جنون الحب؟
- نعم أريده.. لأريد أن أعتنق العقل وأنا أحب..
- ولكن الحب موطنه العقل.
- أنت تتحدث هكذا طوال العمر..
- العمر؟ أى عمر؟ إنك تهدين عمرى.
- أنت الذى تهدر كل شىء.. كل الناس عقلاء ولكن أنت مدعى.
- أنا أدعى؟ والعقل ادعى؟ كيف؟
- وتصمت لحظات ثم تقول: أسفة.. لم أرد أن يتطرق الحديث إلى هذا الأمر.

- بل لابد أن نتفاهم.. يبدو أنك تريدين شيئاً.
- أريد أن أكسر قيودى.
- نظر إليها سريعاً وبعمق وقال فى لغة حادة: أنا قيد؟
- ولكنها لم تتحدث وآثرت الصمت، ولكنه استطاع أن ينفذ إلى عينيها: أنا قيد؟

- أنت لا تفهمنى؟
- بل أفهمك جيداً.
- .. لابد أن تفهمنى الآن.

إننى شعر بك الآن جيداً، وأعرف أنك تخبئين فى جعبتك الأم.
صدقنى أنا لا أصلح لك.

- ماذا؟! -

- هذه هى الحقيقة.

- أى حقيقة؟

- حقيقة العلاقة بينى وبينك- أنت معلمى ولست حبيبى.

- معلمك.. كيف؟

- إنك عاقل جداً ولكن المطلوب أن تكون عاقلاً فقط.. انك

فيلسوف كبير تريد أن تسبر غور كل دقيقة ولكنى لا أريد الفلسفة
أريد التدفق.. أريد الحب.

- أنا أحبك أكثر من أى شىء فى هذه الدنيا.

- أنت تحبنى بعقلك وأنا أريد حب القلب.. أريد العاطفة

المجنونة الملهبة، أريد الانطلاق المحدد الأخلاقى فى عالم الحب
الكبير، لا أريد أن يتدخل العقل هنا أريد أن يكون درب حبى من
صميم قلبى.

إن القلب مخلوق للحب والعقل لأى شىء غير الحب.

- أنت تهذين.. إن الله خلق العقل لإدراك الأمور والحب يحتاج

- للعقل، أنت بها تسيئين للحب أنت بهذا تركيبين مهراً عصياً على صاحبه وانطلق في البرارى وأول من سيؤذى هو أنت.
- حتى تشبيهاك عاقلة منطقية.. صدقنى اننى أعشق بك عقلك ولكن الحب غير هذا.. إن الإعجاب بالعقل ليس الحب.
- إن الحب هو العقل أو الحب العقلانى.. المثلالى..
- أيتها الفيلسوف الكبير.. اننى فتاة فى بداية حياتى قلبى مازال صغيراً يريد أن يركب هذا المهر العاصى على صاحبه.. يريد المغامرة والمتعة والحب.. لا يريد من يحكم الحب بالعقل.. أنا أعلم أن هذه فضيلة ولكن ليس كل الناس متمسكين بالفضيلة.. إن هناك من البشر من ينعمون بالخطأ.. وخطأى ليس فاحشة إنه مجرد تنحية العقل وإقصائه عن درب الحب.
- أنت بذلك جد تغامرین.. ولكن ليس بقلبك أنت بل بكل حياتى.
- لك عقل تستطيع به أن تميت حبك.
- وقلبى.. أتحسين إننى آله.
- أنت عاقل
- إنك تتحدثين وكأن العقل خطأ..
- أنت تفعل أشياء تدل أنك من عالم آخر.. عش على الأرض ولا

تحلق بين السحاب.

- السحاب هو عالمى.. الأحلام واقعى.. المثالية مطلبى وأنت حياتى.

- يا لها من كلمات متأخرة.

- لكم تحدثت بها إليك.

- بالعينين أليس كذلك؟.

- بالعينين والشعر والأدب.

- أنا لا أريد الشعر ولا أفهمه ولا أريد أن أتذوقه.. إننى أريد

كلمة واحدة كانت عندى أفضل من رواوين الشعر وكل قصص

الرومانسية.. كنت أريد كلمة (أحبك) بلا عروض وقافية.. كنت

أريدها بلا تورية وإيضاح.. كنت أريد أن أسمع مخارج الفاظها كم

كنت أريدها منك ولكنك لم تقلها.

- لقد تحدثت بها "أمام كل الناس ووسط ووضوح النهار، قلتها فى

كتاباتى التى قرأها العديد من الأشخاص.. كنت تريد أن تسمعها

بأذنك ولكنى بثتها إليك بدفء عبر عيني.. وجعلت من كل الناس

شهداء عليها.. ليست العبرة بالكلمة ولكن بمعنى الكلمة.. فلتفتحى

المذيع ولتسمعى كلمات إن أردت ولكن أين ستجدى المعنى الذى

تشعرين به.. أين ستجدين نظرتى التى تغلفك ولا تطيق حتى الهواء

أن يتسلل إلى أعماقك.. ليتنى كنت الهواء حتى أكون من يلفك في حنان ليتنى كنت الهواء حتى ألمس قلبك وأعماقك.. إننى أتوق إلى حبك.. ولكن لا بأس..

- مازلت تملك المنطق..

- لأننى على حق.. كنت أريدك أن تنهض من سبات الإعادة إلى عمق المعنى.. كنت أريد أن تعانقيني روحياً.

- قد يحتاج المرء أحياناً أن يقبل من يحب بعد الميثاق الغليظ.

- إن الجسد له حق وأنا لا أنكر الحقوق ولكن السعادة تبدأ

قبل المادة، إن اللذة التى يدعيها الزناه مرفوضة مطلقاً ولكن سعادتي عندما أكون معك تفوق لذة تقابل الأجساد وتفوق لذة الإنسان العادية.. لأن حبي إليك أعمق وأخلد من أن يكون مجرد لذة طارئة.. إن الخطوط الغائرة بالقلب لا يمكن أن تموت وأنت أغور خط بقلبي.

- ألم أقل لك من قبل أيها الفليسوف إنك عاشق الحكمة.

- إننى أحبك قبل أن أحب الحكمة.

- وما بال لحيتك؟

- ليس لك الحق في الحديث عنها.

- لماذا؟

- إن العلاقة بين العبد وربّه لا تقبل النقاش.
- الله؟!
- أتتعجبين من هذه الكلمة.. إنك على شفا الإلحاد إذن، فقد كفرت بالمعنى الآن.
- إننى أوّمن بالله أيها الفليسوف ولكنى أتعجب منك، ألا يأمرك الإيمان بعدم معصية الله؟
- بلى.
- إذن كيف أنت معى الآن؟
- ويصمت ويقول: دعى هذا لأننى أريد أن أقول لك شيئاً ما.. وهو أن هذا اللقاء آخر لقاء، لى معك لأننى سأتجه غداً إلى والدك.
- لقد انتهى الأمر أيها الفليسوف.
- ماذا تعنين؟
- لقد انتهى الأمر.. أين إحساسك.. أين مكرك المعنوى؟
- أنت لا تدركين الأمر؟ أنت بذلك تقضين علىّ؟
- أنا الان أتخلص من قيد علىّ.
- لأول مرة أشعر أننى قيد.. ولكن ما يجعلنى صابراً أننى على حق.
- نعم أنت على حق، ولكن ستفقدنى إلى الأبد.

- إذن ستموتين كما ستموت هذه الشمس.
- الشمس تموت بالنسبة لك ولكنها تبعث إلى آخر.
- آخر!! فهمت الآن كل شيء.
- لا أنت لا تفهم شيئاً.
- لقد تحججت بالفكر والفلسفة والعقل لتروى الخيانة.
- أقسم اننى لا أخون ولكن كان رغباً عنى.
- أنا أحب يا آنستى وأعلم جيداً أن الحب بلا سبب ولكنه أبداً كان تفاهم.
- أنت الآن تهيننى.
- أنا لا أهين أحد إنها الحقيقة.
- الحقيقة أنك انسقت الى حيث العيون التى تخدع والكلمات البراقة التى تموت بمجرد أن تخرج إلى الوجود.. إننى أبحث عن الخلود وأنت تبحثين عن الانطلاق ولكن صدقيني قد أخطأتى.. وأنا أعلم اختيارك.
- إنه ذات الشاب الوسيم صاحب الأعين ذات لون من ألوان الطيف.. تشبيه علمى أليس كذلك.. والشعر الحريري الجميل والصوت الجميل الذى يشدو آناء الليل ويتحدث بكلمات تلين

الحجر في الجبل فكيف لا يلين لها قلبك الجميل الرقيق..
يا حبيبتي السالفة لقد اخترت انت بمحض إرادتك دون تدخل..
اخترت آخر عنى اخترت المادة والكلمات وتركت المعنى والعمق..
ربما نتقابل يوماً ما ونتحدث وساعتها سأعرف الحقيقة.. إن الرسالة
التي أنا بصدها الآن رسالة عمر بل تحقيق رأى انساني لقد اخترت
الفكر المادى والكلمات البراقة.. واخترت أنا العمق والمعنى وسيمضى
كل منا في دربه وسأترك للقدر الزمان ليحدده كيف يشاء فهو ماهر
جداً في إحكام المواعيد وسنعرف عندما نلتقى من سيفوز.. اذهبى
عنى الآن.. الوداع أو إلى لقاء بعيد.. ولا يعلم أحد ممن كان يتابع
القصة الغريبة كم من الوقت مضى على ذلك الموقف البعض يقول
خمسة عشر عاماً وأخرون يقولون عشرين ولكن الحقيقة أن المدة
كانت ثلاثة وعشرين عاماً ونصف تماماً والغريب أن الوقت كان نفس
الوقت وأن المكان كان نفس المكان ولم يختلف الموعد عن سابقه إلا
في لون الشعر فقط ولكن لو كان الأمر هكذا لكان هين لأن هناك
أعماقاً جديدة تواجدت ولا بد أن نعرفها.

كانت الشمس تميل إلى الغروب كعادتها الأزلية حين وقف هنا
في نفس المكان يستند بمعصمه على سور حديدي فوق ربوة معروفة

ولكن كان هذه المرة شارداً عميقاً إلى أقصى درجات العمق أخذ
بصره يذوب في اللاشئ وعندما وصل إلى لا شئ أخذ يتعمق به حتى
أن عينيه كادت أن تدمع.. واستفاق عزيزنا على صوت رقيق كرقعة
الزهرة والتفت ببطء حتى تلاقت العين مرت لحظة طويلة طويلة
طويلة رغم أن عمرها لا يزيد على الثانية الواحدة وقالت:

لم أكن أعلم أن اللقاء سيكون بعيداً هكذا.

- أنت؟.. بعد كل هذه السنوات.. لم أكن أتوقع أن يستجيب

القدر ويبرم معرفته الموعد - ولكن أن يحدث.. كيف ذلك؟

- بل على العكس.. كنت متوقعة أن أراك ولكن لا أعلم متى؟

- أنت لم تتغيرين.. شعرك الأسود الرائع تخللته فقط شعيرات

بيضاء زادت جمالك حتى وجهك لم تفسده التجاعيد الرقيقة، وعيناك

مازالت تشع فيض من الرقة والعدوبة وكلماتك مازالت قيثارة العاطفة.

- وأنت مازال صوتك ناى الحياة.

- ولكنى لست حزيناً.

- أنت وصوتك لا تعبران عن نفسيكما.. إنك تعبر عن آلام

الجميع.. لأن تحس الجميع وتشعر بالجميع ولكن أنت حزين.

- لا أخفى عليك نعم..

- أولاً لماذا أصاب الشيب رأسك.
- السنوات يا.. (يصمت).. السنوات قادرة على كل شيء.
- لا.. السنوات ليست قادرة على كل شيء.
- ولماذا أراك مسناً؟
- من يفكر لابد أن يكون هكذا؟
- ولماذا أنت هنا؟
- شيء لا يخطر لك على بال.
- المفروض أنك بالقاهرة.. مع زمرة الأدباء والشعراء.. من أتى بك إلى هنا حيث الاقليم.
- - كيف أنسى موطنى الحبيب ونيلى العظيم، إن هذه الأشياء ليست جماداً بل كائنات تبعث في نفسى الحياة لكم تحدثت معها وتحدثت معى.. حتى لو لم أكن معها.
- عرفت الآن إلى من كنت تتحدث في قصة (المواجهة) بل عرفت أنك لم تصف سوى ذاك المكان.
- تماماً اننى أحب الذكريات.. بل أصنع الذكريات فالإنسان ذكرى.
- بل عرفت أشياء أخرى عديدة..
- الإنسان لابد أن يعرف.. وسيظل يعرف إلى أن يموت ولكن

الهام أن يعرف أن كل معرفته ماهى إلى سطرمن مجلدات المعرفة.
- ولكن هناك حقائق صغيرة ولكنها كبيرة تكفى الإنسان لكي
يعرف كل شىء.

- أنت تتحدثين جيداً ومنطق قوى.

- ولكنى سأكرر لماذا أنت هنا؟

- أنا لم أنس المكان مطلقاً.

- ولا أنا

- إنه بكل قصصى أو على الأقل جزء منه بكل قصصى.

- لقد قرأت كل قصصك.

- تافهة أليس كذلك؟

- لماذا تقول ذلك؟

- إنها قصص معنوية إنسانية عاقلة ليس لها معنى أليس كذلك؟

- إن هذه الكلمات عقاب لى أليس كذلك؟

- إنها حقائق.. أو الحقائق التى ذكرتها وبدونها لا يعرف

الإنسان شىء.

- إنك تتحدث بمنطق قوى.

- أعلم أن ذلك بالنسبة لك خطأ.

- إننى أتحمل لأننى لم أحدثك عن الماضى بعد.

- الماضى!؟

- ا تسخر منى.. إننى مازلت أعيش فى الماضى.. مازلت أعيش

على أنغام سميفونية صباى على أنغام حبى معك.

..(تقاطعها)

- لا تتحدث أرجوك دعنى أتحدث.. إننى فى السنوات الغابرة

تعلمت أشياء عديدة.. تعلمت كيف أعيش وكيف أفكر وكيف أحب..

تعلمت شيئاً واحداً فقط.. تعلمت أن المعنى أثن من المادة.. لقد

تزوجته ولن أطيل الحديث معك عنه لأن رأيك كان صائباً.. إنه أحب

فى ما يحبه الرجل فى المرأة لا أكثر لم يشعرنى أبداً بعد الزواج اننى

ذات أعماق فقد كان الحب بالنسبة إليه لحظات ولم أكن أستطيع

أن أتحمل هذا الموقف.. فى ذاك الوقت كان نجمك أنت بدأ يصعد

ويتحول إلى شمس كبيرة تضى الطريق.. ساعتها كانت الفجوة بينى

وبينه تزداد رغم أن الاجساد متقاربة فقد كنت بجانبه طوال الوقت

ولكن مادياً فقط أما روحه وقلبه أحسست أنهما يهلقان بعيداً فى

عالم آخر.. ولا تنزعج عندما تعلم أنه كان يعلم كل شىء عنى وعنك

وقد صارحته بأن كل شىء قد انتهى بينى وبينك ولكن كانت الفجوة

التي خلقها هو تزيد من حبك في قلبي.. كان حبك شرارة بسيطة أشعلت بي نار الحب لسنوات عديدة ولكن خبت لفترة ما وكان هو مادة الاخمد وبدأت أفهم أن النار الأصيلة التي لا تضر إلا الشر لا تلقى الموت وأتت بعض الرياح وزال الرماد وأخذت النار تتصاعد.. كان كل يوم يزيد من إشعال النار، لقد قرأت كل قصصك وكانت كل بطالتها أنا أحسست ذلك من شكلهن المطابق لشكلي تماماً ولكن بعد فترة ما أحسست أن الشكل قد اختلف والملامح تحولت إلى أخرى وكانت هذه مع بداية قصة (حياة جديدة) حتى عنوانها كان يدل على أن لها حياة جديدة تتطلع إليها.

كان غرور حواء يسيطر عليّ عندما اقرأ قصصك الأولى ولكن ما أن أحسست بأن هناك بطلة جديدة حتى بدأت أكره نفسي.. كان يغار منك عن طريق قصصك.. كان يمزق كلماتك أمام عيني ولكن لم يكن يعلم أنني قد حفظتها عن ظهر قلب وأنه لكي يحوها من الوجود لابد أن يهتك التامور ويدلف بغليظ أنامله إلى القلب فيهتك حبي وكلماتك ولكنه لم يستطع حتى جاء اليوم الذي واجهني بالحقيقة كلها.. وهي أنني لم أعد أعنى إلا امرأة وهذا يتنافى مع الحب.. سألته عن حبه المذبوح وحبي المييت ولكنه ضحك وقال: إنني

لم أحب إلا جمالك.. ولكن لم يعد ذلك الجمال يبيت في قلبي الدفاء لهذا لم يعد لك موضع في قلبي.. وأصبحت المشكلة هي ولدى أين سيعيش؟ ولم تختلف ولكن هو وولدى الآن في أمريكا فقد هاجرا إلى حيث الا عودة ويكتفى ولدى بأن يبعث لى كلمات كل عيد وبقيت أنت بكلماتك تبث في قلبي الحزن كلما أعطيت الأمل لكل حب جديد كانت كلماتك ضياء في درب مظلم ولكن لم يكن ضياء لمن هن أمثالى لأننى من قبل تنحيت أصلاً عن الطريق وأخترت طريقاً آخر بمنأى عن الضياء، ما أشقانى.. كانت السعادة بيدي والان لا أشعر الا بطيفها كانت الابتسامة بين شفتي والآن لا أتذوق إلا ذكرياتها حتى الموسيقى الحاملة أصبحت أكرهها فهي تذكرنى بأننى أنا البائعة.. أنا التى تركت كنزى وذهبت إذن فلا أدعى الفقر ولا أدعى الأمل لأننى من قبل أردت الفقر وذبحت الحب.

- يا لها من رحلة ولكن عليك أن تتحملها لأنك أنت التى أردتها.. كنت حرة فى اختيارك لهذا لابد أن تكونى قوية فى تحمل التبعة والمسئولية.

- لكن رغم اعترافى فإنى لأتساءل: لماذا أنت هنا الآن؟

- إنك تريدن قصتى إذن؟

- بالطبع.

- مرعلى لقائى الأخير بك خمس سنوات كنت أنت فيها بطلة
قصصى إلى أن رأيتها نعم رأيتها.. كانت كالطيف الجميل وبدأت أتجه
إليها ومن عينيها أو حتى ابتسامتها كانت الأفكار تتلاحق.. صدقيني
كنا نقف هنا سوياً لأننى رأيتها هنا وكنا نتحدث قليلاً ونتناجى كثيراً
لكم تعمقنا فى أعيننا فقد كانت عينيها فى لون زرقاة النيل صافية
مثل أعماق طاهرة مثل كائناته طيبة مثل أمواجه نقيه مثل مياهه
أحسست أن هذه الأعين تقول لى عمقها الطاهر وعرفت كيف أحبها
نعم كيف أحبها؟ فالملخوقة النورانية هذه كانت تختلف عن كل
البشر لهذا كان لابد أن أعاملها بطريقة أهدى فيها قلبى وفزت بها
فى النهاية.

وفازت بي هى أيضاً.. كانت كلمة حبي لها نظرة واحدة اختلفت
عن الآخريات وكانت تطرتها إليّ تذوب فى نظركى وعندما امتزجنا
عرفت منها دون كلام وعرفت منى دون كلام حتى لمسة يدي كانت
تقول: أنفاسى الحائرة كانت تتحدث بفصاحة وتبقى عيناى تقول
لأنها أداة التعبير المعنوى الوحيدة عندى صدقيني لم أقل لها الكلمة
الامرة واحدة وعشت على ذكرها كل السنوات لا تعتقدى أن كلمة

ذكرها تعنى أنها لم تقال إلا مرة واحدة ولكن كانت أول مرة أقوى مرة وأعظم وأخلد مرة وأطهر مرة وأعمق مرة، نعم أعمق مرة بعدها كانت الأعين تتلاقى تتحدث في فصاحة ورقة ولم يكن ترحالي يعنى بُعدى عنها لأن الأجساد لها لغة تتخاطب بها وهى لغة فقيرة مادية ولكن أرواحنا تتواءم في السماء وأنفسنا تتعانق بين السحب وقلوبنا تمتزج عبر الطرق حتى ذكرياتنا كانت طريق للوجود وتبقى الأجساد في النهاية لتثبت فقط أننا بشر.

وكانت وفاء هى زهرتى المولودة.. هى الآن مع زوجها الذى يدرس الدكتوراه وأنا سعيد.. سعيد بكل هذا ولا يعنى أن توأم الروح قد ماتت اننى أفتقدها أننى أراها.. ألا تريها؟ إنها هناك.. ألا تريها؟ ربما لا تريها ولكن أنا أراها جيداً أنها تنظر لى كعادتها نظرة العناب الرقيق أو نظرة الحلم الجميل أو نظرة الحب المضطرم أو نظرة الغيرة الملتهبة.

قالت كلمات عشر قد يزيد أو يقل ولكنها لا تتذكر تماماً ماذا قالت وهنا أدركت كل شىء.. لم ينظر إليها وبعد كلمة من كلماتها أخذ طفل يمسك يده ويقوده إلى سيارة، ومرة أخرى ضحكت مرآتها وهتفت نفسها.. أنا قبيحة.. كانت ليلة ليلاء.. أدركت فيها أن كل

شئ أشلاء ورفات فكل أحلامها تهاوت وفلك الأمانى غرقت فى يم
ا لقبح والواقع.. ورغم كل هذا إلا أنها صممت أن تذهب فى يوم
أخير.. لترى النهاية وقد يوافقها فى أن تراه النظرة الأخيرة، وقفت
أمامه.. ساعها شعرت بأن يداً تجذب يدها وعندما نظرت وجدت
ذلك الطفل الصغير الذى قاد صاحب العينين الآسرتين.. قال لها فى
صوت رقيق طفولى: عمو عاوز يكلمك.. لم تكن تدركها كل سعادة
الأرض.. أن هذا الطفل الان هو رسالة السماء، تساءلت كيف يريد
وهو لم يرى؟

ذهبت ووقفت أمامه.. ومرة أخرى وقف الطفل يهز يد الرجل
وهو يقول.. عمو.. هى دى.. ورغم أنه لم يرها إلا أن وجهه تخصب
بُجمرة الدماء فقد خجل الرجل ورفع يديه بغير هدى وامتد بصره
المنتهى إلى ضباب كثيف وكأنه يتخيل مرآها.. أحد يتحدث ويتعثر فى
ألفاظه.. ولكن كل ما علمته أنه أحبها.. قبل أن تتساءل أردف.. انه
صوتها.. ذلك الرزين الوحيد الذى اخترق حاجز نفسه وهزها.

استطرد: لم أنم ليتها، كانت كلماتك التسع هم أنفاسى.. أريد أن
أقول أننى أحببتك ولكن هى..

وتحبا ما.. ساعتها لم تنظر إلى المرأة.
فقد رأت في عينيه أنها أجمل الجميلات ووجد في صوتها روعة المرأة.
تذكرت زوجه، واليوم هو ذكرى عفاؤها الجسدى الأول فالجسد
قد تهاوى واندثر وتحول إلى تراب كما جاء ولكن بقت ذكرياتها
وروحها تلك الروح العطرة التى أحبها وسأحبها الى الممات فإذا ماتت
تلاقت الأرواح.. إن روحى الآن وحيدة حبيسة جسدى الفانى البالى
تتمنى الإنطلاق فهى أولاً تريد أن تنطلق فى عالم الروح عالم الله
الطاهر المقدس ثانياً تريد أن تعانق روحها كما كانت تفعل من قبل
إن من يقول أنه مادي فليتنظر إلى الإنسان، فمادته تموت ويتحول
إلى ثرى ويتحول هو إلى ذكرى، أرأيت- ذكرى- مجرد ذكرى- وما
الذكرى- أليست معنويات، أليست الذكريات عمق إنسانى؟
إن من يعتقد أن الموت نهاية كل شىء فليتحدث معى.. اننى
مازلت أحبها حتى الآن لأن فكرنا هو فكر العمق الإنسانى.. فكر
الحب الروحانى لا حب المادة ولا حب الجسد لقد آثرنا إن نهتم
بالمادة والمعنى ولكن كان للمعنى نصيب الأسد.
- لقد زرت قبرها اليوم ووضعت عليه زهر البنفسج فقد كانت

تحبه وتركت بقاياها الجسدية وجئت إلى هنا حيث أول لقاء كان بيني وبينها أتابع ذكرياتي معها..
يا لها من قصة.. ليتنى كنت رأيته حتى أقبل يدها فقد عرفت تحافظ عليك.

أنت تعرفيها من قصصي.

- نعم قصصك التي تتحدث بفصاحة عنك وعني وعنهما.
- الكاتب أو الشاعر يعرض حياته أمام الناس من خلال السطور..
- إن حياة الكاتب قصص ولكن الناس لا يدرون يعتقدون أنهم يقرأون مخاض الخيال ولا يعلمون أن هذا الإفراز صراع الأعماق.
- نعم الآن أصبحت أفهم جيداً الشعر.
- كنت لا تتذوقيه.
- الآن فقط أتذوقه وأنت معلمى.
- لقد قلتى لى من قبل انى معلمك.
- ولكن هذه المرة أقول أنت معلمى فى الحب والشعر.
- الشعر.. ماذا كتبت؟
- كتبت بيتاً واحداً.

- بيت واحد فقط؟
- نعم بيت واحد فقط.
- إذن أنت شاعرة البيت الواحد.
- أنا شاعرة المعنى الواحد.
- أريد أن أجمع البيت.
- ولكن أنت لا تسأل متى كتبته.
- ربما الآن.
- نعم الآن.. سيكون هذا البيت هو الأول والأخير في لحظة واحدة.
- إذن فلتقوليه.
- كلمتى صمت فأفصح كلمة ما بخل اللسان وأوجزت الأنظار.
- عظيم.. عظيم.
- الآن سأمشى.
- تمشين؟ بل يجب أن أمشى أنا.
- لقد طالبتنى مرة أن أمشى ولن أسمح أن أسمعها مرة أخرى
- لأننى أشعر بها إن إحساسى يقول إنك تريد أن تختلى بالذكري
- الحبيبة وأنا ذكرى ماتت وانتهت، ولكنى مازلت أحبك ولا أقول ذلك

إلا لكي اثبت لك أنني كنت على حق وأنتى على خطأ ولكى أثبت ذلك
فأنا لا أطمع إلا فى صورة منك.. لا تتسرع ليست صورة فوتوغرافية
بل صورة ذهنية فلتقل لى شعراً أخيراً..
- سأبقى بدرى أحبك صامتاً ولكن ما أقسى وحشة الدروب،
لاتظنى أنى وحدى فمازال قلبك أنيس القلوب وتمشى.. تكفكف
دمعها بينما يقف هو وقد اطلق زفرة أسى.

الاثنين ١٩٨٨/٨/٧

الساعة الواحدة صباحاً

(٢٣)

"السقوط"

هو هكذا دائماً.. لا نراه إلا عند حافة النهر يحدق بمياهه القائمة المريدة.. هناك حيث المكان الذي اعتاده جلس على صخرته المعهودة.. تلك الصخرة التي شاركته كل شيء.. هناك حيث الشجر التي طالما ظللته وصاحبته.. هناك حيث الوحدة التي أنست به وأنس بها ولا يعرفان الوحدة مع بعضهما وكعادته أيضاً ظل يحدق في لاشيئه أخذ يتذكر ويراجع ويتحدث وهذا المكان رغم جماله إلا أنه لم يعد يشعر به.. وكأنه قد خاصم المكان وودع الزمان لأول مرة يأتي إلى هنا تائهاً شديداً.. معذباً.. ها هي عيناه تلتقى بالمياه ولكن لا تهتز أوتار أعماقه فلا تفيض سيمفونية مثاليته وقوته ها هي عيناه تلتقى بالقمر الذي صار بديراً والذي تعود أن يحدثه ويصاحبه ويحبه بديراً ولكن الآن لا يشعر حتى بوجوده.. لا يكثرث بذلك الضوء الذي صهر المياه ليحيلها إلى بحر من الفضة الذائبة.

أليس هذا بعالمه الجميل؟ أين هو الآن، أين هو منه وأين العالم منه؟
كان دائماً يحب الأصدقاء ولكن لم يحبه الأصدقاء.. وتساءل يوماً
ما.. لماذا؟

وأدرك الكلمات لتقول له: أنت يا عزيزي الذى فعلت ذلك..
أنت الذى أحببت العقل والتريث أنت الذى كنت حد العقاب لكل
مستهتر.. الإنسان لا يحب من يذكره بأخطائه، الشباب لا يحب
سدود العقل.. إنهم هم الخاسرون ولكن أنت أيضاً خاسر لقد خسرت
الجماعة ولكن كسبت نفسك.

أيها لعقل كم أحبك وكم أكرهك؟ أنت ذاك الفنان الذى يرسم
طريقى المعبد بالزهور ولكن هم أيضاً لا يريدون ذاك الدرب.. هم
يريدون الانطلاق ولكن طائرين غير سائرين أنت تذكر جيداً كلماتك
عنهم ولهم.. كم كنت تواجه الكثير بأخطائهم تردعهم وتوجههم ولكن
هم لا يريدون فماذا فعلوا.. كرهوا العقل ونبذوك، ولكن هل أنا
الخاسر؟ هل أنا الذى سأندم! كلا.. سأظل إلى الهدف، ولأن العقل
كان قرين صاحبنا لهذا يأنس بالطبيعة هو يوماً لم يكن رومانسياً
ولكن الحياة أجبرته أن يكون وحيداً.. الحياة حددت له الطريق ولكن
طريق وعر.. ولأنه وعرفنهايته جميلة.. فالميزان لا يختل والحق لا

يخطئ.. لقد صادق العقل والحكمة إذن فعليه أن يدافع عن صديقه وأن يسافرا معاً في غياهب الحياة.. سيتعبان سيتعبان ولكن في النهاية سيكسبان.

هكذا عرفنا لماذا هنا وحيداً.. فكأنه صاحب الصخرة والقمر والنهر والمكان ولكن اليوم لم يعد صديقاً وفيماً لهذا المكان.. اليوم جاء في غياهب المساء.. لم يحضر كعادته ولكن حضر كمذنب.. نعم كمذنب.. وكان ذاك المكان قد تحول فجأة إلى محكمة.. أذاك القمر؟ كلا.. انه القاضي.. أهذه السحب، كلا انسها المستشار ون أهذا نهر، كلا بل الحُكم!!

لأول مرة يشعر أنه غريب في مكان هويته.. لأول مرة يشعر أنه بلا كلمة وبلا عقل.. نظر إلى القمر في عيون خاشعة وقال في نفسه: أعرف لماذا تحتقرني؟ أعلم أنني أعيش تحت سقفك الآن رغماً عنك.. ولكن.. أنت لم تشعر بما شعرت.. أنت لم تحس بما أحسست هل جرّبت أن تكون مصدرراً لشيء لا تملكه؟، هل جرّبت أن تضحي بكل شيء طوال عمرك، هل جرّبت أن تعيش وحيداً وأنت من تعشق الجماعة، هل جرّبت ان تصادق الوحدة وحولك الجميع؟ كل القلوب قد تكون حولك ولكن أين تلك التي تحبك وتعطف

عليك، كل الأيادي قد تصافحك ولكن أين تلك التي تحنو عليك، كل العيون قد تنظر إليك ولكن أين تلك التي لا تحقد عليك وأين تلك التي تحبك؟.

عزيزي القمر..

أنت تعلم أنني كنت إلى زمان قصير بلا دنس ولا خطيئة.. كنت متوقفاً في حصن العقل أصد كل غاز وأقهر كل عدو ولكن يبدو أن توقعتي قد شرخت.. وخرجت ممزق الجسد إلى حياة الأشواك، هل رأيت من قبل.. إنساناً لا يعرف الخطيئة.. أعرف أن كل بني آدم بدرب الخطأ ولكن ليت خطيئتي مثلهم.. ليت صوتي أدرك الفناء وعقلي أدرك الموت.

أنت تعلم الحقيقة كلها ولكن أن أردت سأقولها عليك ان صوتي كالنای لا يُصدر إلا حزين النغم.. وكلمات رثاء لكل الكلم واقصوصتي فناء لكل القيم رغم أنني كنت رجل العقل المفكر رجل المثل.

أنت تعلم أنني الأخ الأكبر لشقيق وحيد.. أنت تعلم أيضاً أن شقيقي قد انجرف في طيات الهزيمة وأصبح بلا عقل.. دراسة لم تعد له طريق فلسفته أن ينطلق إلى الدنيا ولكن الا يمارس فواحش الذنوب.. أخی هو الانطلاق وأنا كنت السد.. إنك تذكر جيداً

مناقشاتي معه.. انت تذكر جيداً كم نهفته وكم ضربته ولكن كان العقل كما هو.. لا يلين.. ولا يحمي عما هو فيه.. كل العائلة تعرف مستقبله.. كل العائلة تعلم أن أخی لن يلقي النفع وأن نهاية شقاوته الضياع.. كنت أتوقع منه كل شيء ولكن كم كانت مفاجآتي أن قال لي: أتحسبني بلا ضمير.. أنا نعم لا أريد الدراسة أر يد التدفق.. أنا مستهتر نعم ولكن لدى بعض الحواجز التي تمنعني من الاندحار.. أكنت تعتقد أن الدراسة كل شيء؟ وأن الثقافة كل شيء وأن العقل كل شيء فهذا خطأ.. هناك بأعماقی إنسان أيضاً لا يريد أن يهزم.. أنا اعترف بابتعادي عن الله، أنا لا أصلي.. وأنت تصلي، أنت تقرأ القرآن وأنا لا أفعل أنت الأخ الأكبر والقائد وأنا الأخ الصغير المتدقق.. لك الحق أن تمنعني ولكن أنتم لا تعلمون أنني اتعذب.. ليس ذنبي أنني أكره العلم.. ليس ذنبي أنني لا أريد الكتب، إن الحياة الجميلة تنتظرنی.. لقد رسبت نعم ولكن ظللت نقي الجوهر.. سأعمل ولن أكّل عن العمل وليعتقد الجميع أنني فاشل، الفشل نسبي يا أخی أليس كذلك؟

الفشل لكم أن أرسب وأن يعلو صوتي وأن أسهر وأن.... ولكن الفشل لي أن أظل أحافظ على نظافة وطهارة قلبي.. صدقتي قد يعلم

الجميع أننى ضائع ولكن يوماً لم ارتكب فاحشة أو أصادق الشيطان لم يعرف أحد بهذه المناقشة وعرفت أن أخى فيلسوف كبير ينقصه الاهتداء إلى الله وكللت الجهود لكي أجعله يعود إلى الله.

وظلت الحياة هكذا لي نجاح وأدب ووحدة ونصحية كنت أحضر هنا لكي أصلى بمحراب الطبيعة فإذا ما جاء الوحي تدفقت كلمات الإنسان الذى بداخلى.. كم كتبت هنا وكم عقلت وكم قررت كتبت هنا مأساة الإنسان فقلت:

فكل الصدور بلا ضلوع وكل القلوب توائم القهر
وكأن القلم قد غُمس طرفه في قلبى وكأن مداده دمي وكأن
كلماتي نبضى، الطب قد اخترع جهاز رسم القلب أليس كذلك؟ ولكن
ذاك القلم الذى أضعه الآن بين أصابع القلب هو المقياس الحقيقى
للقلب وكلما زاد نبضه كلما زادت كلماتي ولكن لن أتحوّل يوماً إلى
من قلت عنهم:

فكم مررنا على قلوب كل أصواتها تعنى الصمم
أنا أذكر الآن نقطة التحول.. ساعتها كتبت قلت:

تأتين لي حبي لماذا إنه قدرى يتيم الأسباب
ضل هويته عن رغبة فما أروع درب الأحباب

ليس بتافه فأثرتك علمته ما بأثمن كتاب
ولا تنزعج أن أحب أيها القمر.. ألسنت إنساناً.. أليس لي قلب.. ألا
يحل لي الحب؟، إن حياتي كلها حب.. حب الله.. حب الأم.. ثم حبها..
كانت بداية يوم أن رأيته تتهاوى على سلم المنزل.. لا أعلم ماذا
حدث لي، القلب أخذ ينبض بشدة لم أعدها.. لا أعلم لماذا، أخذت
أحدق بعينها عليّ أجد السبب ولكن زادت نبضات القلب، هذه
النبضات لا تعنى زيادة النبض يا قمرى العزيزى إنها تعنى أن قلمى
سيكتب فكان الشعر العاطفى من قصص الزملاء أيان أن كانوا زملاء
ولكن لأول مرة أحسست أن الكلمات أقل بكثير من الذى أريد أن
أقوله، أحسست أننى أغوص بالأرض.. تمنيت أن تطول لحظة معيتى
معها حتى تأخذ كل الدهر تمنيت لو أرسم عينيها لا لى أحتفظ
بها فقد حفظتها عن ظهر قلب ولكن لأرى العالم كله حُسن عينيها
وروعة إلهامها.. ومرت الأسابيع والحقائق تتوالى فهى جارتنا الحديثة
وكان القمر- أى أنت- ابتسم لى عندما بدأت أتحدث معها أثناء
زيارتها لدينا.. أنت تعلم يا سيدى القمر أننى طيب لهذا أكثر
الحديث عن الطب ولكن لا تعلم أن أمهر الأطباء أمام أمراض الحب
بلا دواء وأنا أولهم.

وبالتدرج تحولت رؤيتها لى كل يوم إلى أكسير اليوم وشعر
الشاعر.. تحولت كلماتي معها إلى صلاة في محراب الحب الجميل..
أى هنا كم كنت أقطع المسافات لكي أراها ولكن لا تراني هي.. كان
كبريائي لا يرضى لى أن أظهر أمامها في مشهد المحب لكيانها رغم أن
ذلك حقيقة، وهامى تبنى إعجابها بي وكأن ذلك شيء غريب لقد
أعجبها بي ثقافتى وعلمى وعقلى ودينى ذاك العقل الذى كان منارى
وعلمنى ورايتى، وبعد عدة أيام جاءنى أخى وقد ارتسمت الابتسامة
على وجهه وهامو الأمل يتوهج بعينيه قائلاً:

- أخى لن أرسب بعد اليوم.

- لماذا؟

- لا أعرف أولاً أريد أن أعرف.. ربما لأن هناك شيئاً ما قد حدث،
وكانت هذه مفاجأة أخرى من أخى القريب ولكن لم أُصدم فقد اعتدت
من المفاجآت الكثر وما هو اليوم يحضر.. ذاك اليوم أصبح وصمة عار
في جبين عقلى إلى الأبد القصير ليلتها كان أخى خارج المنزل.. الساعة
تقترب من العاشرة مساء.. الباب يُفتح وفتحت لأجدها.. تتوسل أن
أحضر لأرى أمها المريضة وكأى طبيب أحضرت حقيبتى واتجهت الى
حيث الشقة المقابلة، حيث هى وأمها ها أنا ذا أسعف الأم التى تذهب

في سبات عميق اثر حقنها بحقنة مهدئة ووقفت معها بالردهة المنزلية
ثم جلست.. لم أكن أريد أن أمشي فقد أحببت أن أصارحها بكل شيء.
- ماذا تفعلين في دراستك..

كان لابد عليّ أن أفتح أى موضوع حتى جاءت اللحظة المناسبة.
الطيب فنان أيضاً.. بل فنان جداً.. بل عاشق.
عاشق؟

- بالطبع.. أنا أحب الطب و...

وأحب الجمال..

- الجمال؟

- بالطبع.. منّ من البشر لا يحب الجمال؟

- الكل يحب الجمال.

- أنت تحبين الجمال؟

- بالطبع.

- الحب لا يسأل عنه سبب.

- صدقت.. انك قد تصلح لكتابة الشعر.

- الشعر؟

واستطرد الطيب:

- نعم.. أنا أكتب الشعر.

- أنت؟

- نعم.. أهذا غريب؟

- كلا.. ولكن اتجاهك علمي بحت.

- أتحبين أن تسمعين.

- بالطبع.

ولم أعد أذكر ماذا قلت.. فقد قلت كل ما كان بأعماقى فى قصيدة واحدة ولكن ليس هذا هو المهم لأن عينى قالت كل شىء.

- ويا تُرى من مصدر الإلهام؟

- ألا تعرفيها؟

- بالطبع لا..

وهنا لا أعلم لماذا فعلت ذلك أمسكت يدها بقوة وقلت: أنت.. أنت التى أحببتك.. أنت التى لا أستطيع أن أبتعد عنها.. كل الكلمات قد تاهت.. كل العبارات قد فُتيت ولكن بقيت أنت بإلهامك وانتفضت الفتاة.. أنا.. كيف؟ مستحيل؟

وقمت قائلاً: بلا يجب أن تكونى أنت.. يجب أن تكونى أنت

- يجب أن تكون عيناك هما مصدر الإلهام وحبك أكسير حياتى

- أنا.؟.

- لا تتحدثي.. قولي نعم..

- نعم؟

- لا بد أن تقولي نعم.. أليس كذلك؟

لا بد أن تقولي انك تحبيني.. لا بد أن تتدفق الروح وأن تذوي في
روحي لا بد أن نتحاب.. لا أتصور الفراق.. انك لي.. لي.. لي.

- أرجوك..

- لا..

أنا الذي أرجوك يا فتاتي الجميلة.. كم سهرت معك الليالي.. كم
كتبت في عينيك القصائد.. ولكن كل شيء يذوب الآن العقل ينتحر
أمام عينيك.. الرفض يموت أمام يديك، أنت وأنا لك.

- ماذا تقول؟

- لا بد أن تحبيني.. أنت لا تعلمين كم حبي لك.. الجبال لتزول له

والأرض لصلابته تخشع كل شيء سبيلك يهون.. أنت الهواء..

ولا حياة بدون هواء

أنت الماء.. وكل الخلق من الماء

وأخذتُ أمسك كتفيها وأهزها بعنف غريب.. وصحت.. أحبك..

أحبك لبيتك تعرفين كنى أحبك؟

ليتك تعلمين ماذا أنت لى؟

هل وجدت من قبل كون بلا إله.. أنت إله كون الحب بداخلى..
كل مشاعرى تعبدك.. كل أحساسيسى تسهر آناء الليل تسبح لك..
أنت من أحب وأنت من ستكون لى.. أنت الأنوثة والمرأة لى.. أنت
كل شىء الحب والمرأة.

لا أعلم بعدها يا قاضى المكان ماذا حدث.. كانت كلماتي تنطلق
وأيدينا تتلاقى العيون تتعجب وتريد والنهية الأليمة حدثت، لا أعلم
ماذا حدث واستففت بعد الألم بلحظات وأنا شريد.. لست أنا ذاك
الذى فعلها.. أنه الحيوان الذى كان يرقد بداخلى.

علمت الآن كل شىء لقد برر الحيوان أما الضمير الآثم عن
طريق الحب، أيها الحب كم من الجرائم ترتكب باسمك.. وأخذت
أدمع.. أنا ذاك الإنسان؟

وهى.. أهذه الدموع دموعها؟.. تحدثت معها..

ماذا حدث؟

لم تتحدث.. كانت نظرتها تعنى كل شىء.. لم تكن تنظر لى
كإنسان فقد كان الحيوان هو سيد الموقف.. كانت نظرة الاحتقار

تعتلى الموقف.. النوم كان المسيطر على العقول.
الحيوان قد ارتوى بدماء الأثم والعار والعقل.. عقلى.. قد انتحر.
كانت لحظة طويلة.. تكشف فيها كل الأشياء، عقلى ودينى قد
ماتا بنفسى.. العقل قد مات بسهم من سهام الحيوان، نفسى وإبليس
صادقانى.. كل شيء صار لذة.. وارتفعت على الأقدام ولكن ظللت إلى
الأقدام.. لقد سقطت وعندما مرت لحظات أخرى.. انفجرت باكية
تحطم ضلوعى بكلمات قاسية.

أنت.. أنت أيها القديس.. ماذا فعلت؟
لقد قتلتنى شر قتلة.. أنت شاعر؟
أنتك شاعر الخطيئة والأثم.. شاعرت الفسوق والموبقات.
كيف تتكلم عن العمق وأنت ضحل أيها الحيوان؟
إن العقل ليتبرأ منك، والطب يبتعد عنك.
كل شيء قد ذهب إلى إدراج الرياح، ولكن حيوانك فقط هو
الذى عاش.

ما ذنبى أن أموت لحياة الحيوان.

- أنا أحبك؟

- أى حب؟ أى عشق؟

هل الحب يتلو عليك آيات الفاحشة، أنتم أيها الخاطئين تتهمون
الحب بالذنوب.. والحب برئ منكم ومن الأخطاء، كلكم تدعون أن
القدر قد أجبركم ولكن الحقيقة أنكم من تصنعون الدرب إلى الأثم
أيها المدعى.. أنت حيوان فارق إنسانيته.

- أنا أحبك؟

ستظل تقولها حتى تموت الكلمات على لسانك.

ستظل تقولها حتى يموت الحب من اتهامك.

إنك تحكم على الحب بالموت الآن ولكن لن أسمح لك أيها الأبله.

- نستطيع..

- أنت فقط الذى ستستطيع.. لا تظن أننى سأكون لك بعد

الآن.. أنت لا تعلم ماذا فعلت؟

لقد قاومتك ولكن.. لا فائدة.. لا فائدة..

وكان تلك المأساة لم تكن الأخيرة.. إذ دخل عليّ أخى وقد اختلينا

بالحجرة.. وقف أمامى وفي عينيه نظرة غريبة نظرة انتقام وعتاب

واحتقار، ثم صفعنى.. نعم.. صفعنى ولكن المسكين لم يكن يعلم أن

مطارق الضمير كانت تفعل أكثر من ذلك.

قال لى: ماذا فعلت؟

تجرت الدموع في عيني.. وتجمدت دماء شراييني، لقد علمت أنه علم، كان من القاسى عليّ جداً أن أتحدث، أنا ذاك القديس العاقل الذى نادى إلى الحقيقة والحق والعدل ولطالما أراد أن يصلح أخيه أنا ذاك الشخص يقف أمام الحقيقة والحق مذنباً ويقف أمام أخيه متهماً.

كلا.. لن يحدث.. لا أطيق أن أكون متهماً بعد أن كنت القاضى، لا أستطيع أن أكون حيواناً بعد أن كنت إنساناً، لا أستطيع أن أموت ملحداً بعد أن أدركت نعمة الله..

ودرت على عقبى عليّ أبتعد عن عينيه الثائرتين.. ولكنه لم يتركنى فقد واجهنى من جديد.. كانت عيناه تشتعل بالانتقام والغضب قالها لى:
... المأساة الثالثة...

هل كنت تحسب نفسك من بنى آدم يا أخى؟
كنت تنصحنى.. كنت مقصلة الأخطاء أيها اللعان.
لم تكن تعلم أنك ستتحول يوماً ما إلى المخطئ الأكبر.
إن من قضيت عليها انتحرت يا أخى العزيز.. انتحرت.
انتحرت؟ لماذا؟ لماذا؟ كنت...

تتحدث عن الماضي.. ولكن لا تسألني كيف عرفت؟
ولكنك لا تتحدث.. لقد كنا نتحاب يا أخى العزيز..
وهنا وجدته يدمع..

نعم كنا نتحاب يا أخى الذى كان..
كانت لى زهرتى الجميلة التى تبث لى أريج الحياة.. وكنت لها
الظل الذى تحتى به من كل إنسان ولكن يشاء القدر أن يتمزق
الظل بأقرب البشر إليه.

ماذا ستفعل.. هى ستعيش تحت الشمس؟
أنصحك أن تبتعد عن ذلك المكان لم أعد أريد رؤيتك ولكن تذكر
أنك لن تكون أخى بعد اليوم، لم أعد أريد رؤيتك.. ولا تعد تتحدث
عن الفضيلة بعد أن مزقت ردائها ولا تتحدث عن الإنسانية طالما أنك
قضيت عليها.
ومشى أخى..

الآن قد اكتملت الصورة.. هل تريد أيها القاضى أن تعرف ماذا حدث؟
لقد سُرخت بلورتي التى كانت تهبني الحياة، إن تلك البلورة..
كانت الضمير والإنسانية والعاطفة.. كانت كل شيء والآن ماذا حدث<
كل شيء قد مات بداخلى

البلورة سُرخت وتفتت.. القلب لم يعد ينبض وتحولت إلى بعض
بيتي القائل:

فكم مررنا على قلوب كل أصواتها تعنى الصمم
أنا الآن بلا قلب.. حتى الشعر فارقنى.. كان الشعر صديق
وحدتى ولكن الآن مات وأصبحت وحدى.
ولكن منذ متى وأنا لست وحدى؟
كلكم الآن ضدى.. أليس كذلك؟
ولكن.. كلكم كنتم ضدى.. الكل تخلى عنى.. ليس لكم الحق
أن تحاكمونى.

ولكن هى.. مازالت أحبها.. لا أستطيع أن اتصور أننى أنا الذى
قتلتها.. أن ذاك الإنسان الذى كان يفضلها عن نفسه.. أنا الذى كان
يتمنى أن يكون الهواء حتى يحيطها ويتسلل إلى أعماقها فتحتويه.
كُتب عليّ أن أقتل أعز البشر
وأخى.. أذاك هو الابن الذى اعتقد الجميع أنه ضال
أنا الآن.. الضال.. ولكن فى السر..

انه هو الطاهر.. هو صاحب الجوهرة الثمينة.. هو صاحب
البلورة الزاهية، ولكن ظاهره شقى، أما أنا فبلا قلب وبلا حب وبلا

إنسان ولكن في السر وظاهري ملاك، إننى ملاك ولكن ملاك الشر
إننى الحب طاهراً والعذاب باطناً.

ماذا ظل لى؟

الحب ضاع بل قُتل بيدي

الأخ احتقرنى

الضمير لفظنى

العقل انتحر

الإنسان مات

الدين لم أعد أقدره فقد أهنته

الحيوان صاحبنى

الشیطان قرينى

الموت طريقى

لم يعد شىء.. الذنب يحاصرنى.. العقاب يطاردنى.. الأمل يذوب ويفنى

هكذا أنا الآن.. مذنب.. وهكذا كنت قديساً

ولكن الذنب يختلف للقديس عنه للعادى.. أنا من تذرع بالدين

لا يجب أن أميت الدين بداخلى لقد عرفت الله ولكن نسيته فترديت.

أنا الذى قتلت الحب والأمم.. قتلت الابنة الجميلة والحب الصادق.

قضيت على آمال أخى
يجب أن ينفذ الحكم. من قتل يُقتل
وبعد لحظات شاهدة الجميع يسقط في النهر..
هكذا أراد صاحبنا.. ولكن هو لا يعلم ماذا يريد القدر
وكأن القدر أراد له الحياة وينقذه الجميع.. كل من كان يمر
هبط النهر ليخرجوا لا بصاحبنا بل بجسد أشرف على الموت.
وبعد عدة أسابيع كان الأخ يتحدث معه لأول مرة وقال الأخ الصغير:
«إن الله يغفر الذنوب كلها إلا أن يُشرك به» وأنا لست إلها أنا
أيضاً مذنب واحتضنا ولكن يبقى الجرح لن يندمل والذكريات لن
تنسى والقلوب دامية والخطيئة سهم لعين.

١٩٨٨/٣/٢٧

(٢٤)

«المقتول القاتل»

كان الطريق ممتداً إلى ما لا نهاية.. الأشجار التي تواجدت هنا
كما هي لا تتغير.. السيارات الفارهة تسابق الريح.. لا عجب.. الوجوه
تشابهت ولكنه هو تغير.. وهو صاحب لكل من أحب.. هو نديم
القوة.. ولكن ما الذى أتى به إلى هذا الطريق؟

لابد إذن أن نعرف لماذا جاء وعلى أى شيء ينوى؟
ولماذا تعلق عينيه سحابة الألم والجرح؟.. لماذا نرى الدموع ولكن
لا نجد وجهه مبللاً؟

لماذا نحس بالألم يفوز ويغور بداخله؟
لابد أن شيئاً جلل قد حدث..

هو صاحب الرأى القاطع والنظرة الشامخة.. لا أحد يراه الا
ويلمح به العظمة والكبرياء.. هو رقيق نعم ولكن يعلم جيداً أنه
غير من حوله.. الأصدقاء لطالما أخذوا برأيه.. لطالما جاءوه قائداً لهم

عن طيب خاطر.. حتى تلك المقالات التي يكتبها كان تجد آثارها في نفوس المستمعين، هو لم يكن كاتب ولكنه ذو ثقافة واسعة وعقل راجح، وهذا الشخص غريب.. كان يخوض الصعاب من أجل أن يبرهن لنفسه أنه قوى هو لا يريد أن يكون مدعياً القوة.. بل كان يريد أن يتوج قوياً، حتى أيام مرضه كانت أياماً مفعمة بالعمل والشغل حتى يبرهن لنفسه أنه أقوى من المرض.. الكتب الدراسية لم تكن تعن له شيئاً لأنه يحب أن يقهرها وأن يبرهن أن من توصلوا إلى ما بها ليسوا بأعظم منه.

وقياساً على ذلك كان دائماً ما يقوم بعمل توليفات غريبة بين المعلومات يفشل بعضها وتنجح الأخرى.. إذ ينشد القوة في كل شيء. وها هي أدوار الشطرنج نجده فيها شاه غير تلك التي يحركها.. لقد عشق الشطرنج لأنه لا يقوم إلا على أساس استخدام القوة.. وهو يحب القوة وينشدها شريطة أن يكون مستحقاً لها، هو يريد أن يقهر كل شيء مهما كان.. هكذا كان هو..

وكل من حوله يتذكر هذه الحادثة.. كان يومها يسير مع أصدقائه عندما قابلوا آخراً.. ودارت مناقشة بين صاحبنا وهذا الجديد ولأول

مرة وجد الأصدقاء زميلهم يتقهقر.. وجدوه يضعف.. لقد كان موضوع المناقشة أمراً بكرةً لهذا صاحب وانتهى الأمر ولكن لم يكن ذاك يعنى نهاية الموقف، ومرت الأيام وأصر صاحبنا على مقابلة الصديق الآخر وكم كانت مفاجأة الجميع عندما وجدوه يحمل بحثاً مستفيضاً عن ذاك الأمر..

هكذا هو.. يعشق القوة ويريدها

لا يحب أن يقهره أحد..

وها نحن نجده عندما فُهر صمم أن يكون هو الفائز المرة القادمة وإلى الأبد.. في نظره، كل شيء يمكن أن يكسبه إذا فعل مجهوداً يؤهله لهذا المكسب وكان يعتقد في شيء واحد- لا عن غرور- أنه يستطيع أن يأخذ كل شيء مهما كان.

وفي الشفق كان صاحبنا يسير بهذا الطريق الذي يسير به الآن وهناك.. هناك كانت تقف.. الأمر لم يكن يعنى له أى شيء، كل ما تضايعه لن أهتم به أنها كانت تقف في المكان المفضل له.

وقف أمامها في حيرة.. وردت عليه بأعين متضايقة.. قال: مساء الخير ولم يلق إجابة.. فصمت دون كلمة جانبية وأولادها ظهره، مرت

ثواني.. وأرادت أن تمشى.. ولم يعترض أخذ مكانها عن سعادة.
في اليوم التالي حدث نفس الموقف ولكن بهذه المرة لم تمشى
وانما قالت:

- هل تسمح أن تبتعد؟

ولم يرد وكأنه بذلك يرد عليها صمتها

وكررتها

فقال بأعين متعجبة: هل تحدثيني سيدتي؟

- نعم

- ولكنى لن أمشى

- ألا ترى ذلك غريباً؟

- الغريب ما تفعله أنت

- وماذا فعلت؟

- ولا أحد يعلم للآن ماذا حدث.. كانت الكلمات تدور وتدور

وانتهى الموقف بابتسامة من الفتاة وكأن هذا كان دليلاً على أن

الموقف قد انتهى ولكن هذا أيضاً لا يعنى نهاية الأمر، ونحن الآن لا

نعلم لماذا أتت هي إلى المكان ولماذا أخذت نفس المكان؟

- والإنسان عندما يستعصى عليه الأمر يقول: قدر.. لهذا يمكن أن
نقول إنه القدر وكأن حديثاً جديداً قد بدأ.
- هو: هذه للمرة الأولى التي أنحدث فيها مع فتاة.
- وبماذا تشعر وأنت تخوض التجربة؟
 - لا أشعر بشيء.. أشعر أنني بعالم آخر غير الذى عهدته.
 - لماذا؟
 - ليتنى أعلم.. بماذا تشعرين أنت؟
 - قد تتداخل الأحاسيس ولا يشعر الإنسان بشيء معين.
 - صدقت؟
 - ولكنى للآن لا أعرف اسمك
 - ولكنى أعرف اسمك
 - من عينيك؟
 - عيني.. إن كلامك خطير..
 - سأسميك صفاء
 - ولكن اسمى ليس صفاء
 - أنا لا أعتنى بالأسماء.. فكم من مرة وجدت أسماء وأصحابها

دون معناها وجدت أسماء الطهر والدنس.. أصحابها، وجدت أسماء
السمو والتفاهة والفراغ سمتا لأهلها.

- هل أنت عميق؟

- أنا لا أرضى بالسطحية فقط.

- وماذا وجدت بعيني؟

- وجدت سحر أيان السحر.. وجدت الشفق والفجر.. وجدت

اسمك منقوشاً بالحدقة.. -- وجدت أنين الرحمة المهذرة في الناس
ووجدت العمق..

- أنت غريب

- أنا أشعر هكذا تستطيع أن تقولين.

- وهل هناك أحد ما لا يشعر؟

- معظم البشر لا يشعرون وأتعجب؟

- لماذا؟

- أنهم يعتقدون أن هناك أزمة في الفن.. يعتقدون أن موهبة

التمثيل قليلة.. ولكن الحقيقة غير ذلك.. الحقيقة أن من البشر

الآن يمثلون.. نعم يمثلون.. والمشكلة الكبرى أنهم لا يمثلون إلا على

أنفسهم أولاً ثم على الآخرين ثانياً واللذين لا يستطيعون التمثيل يتحولوا إلى مجانيين.. اللذين هم بلا أعماق مزيفة ينبذون بين سجون الجنون ويعاملهم الجميع كأنهم من مخلوقات أخرى غريبة غير الإنسان، والمسجونون هم اللذين يندمجون أكثر في اللعبة.. هم اللذين يلعبون أكثر من دور هؤلاء كان لابد أن تُحفظوا في مكان أمين يحرسه الخفر.. هؤلاء المواهب لابد لهم أن يخرجوا يوماً ما وساعتها ستزداد انفاعلية المشاهد.

نعم لقد صدق يوسف وهبي: وما الدنيا إلا مسرح كبير.
الأرض كلها مسرح وليس أى مسرح بل مسرح متحرك يدور حول نفسه وكأنه يريد أن يُفقد الجميع وعيهم، والعجيب أن هذا المسرح بلا متفرجين لأن كل من فيه ممثلون عظماء، وقد يحتار موزعوا الإضاءة في توزيع الضوء على بقعة معينة ولكن الأرض كلها مُضاءة بالشفق.

والديكور.. انهم ملائم جداً ولكن لا تدركه العيون.. قد نجد الحب بأغوار البيداء والموت بأعماق النهر، كل شيء يخدم التمثيل البشرى.. كل شيء.. والعجيب الآن كل العجب أن الجميع يمثلون بلا

شعور وينجحون.

- ليتنى ما سألتك؟

- لماذا؟

- لقد أحزنتنى

- لماذا؟

- أحسست بأن كل شىء سىء

- أنا لست متشائماً

- وبماذا تسمى هذا؟

- هذا كله وجهة نظر.. ولكنه حقيقة

- وما دخل كل هذا بالعين؟

- العين هى أداة التعبير الرئيسية فى رأى

أنا لا اعترف بالنبرات الصوتية فكم سمعنا عن كلمات يذوب

الثلج لدفتها الا أنها كاذبة متملقة.. كم سمعنا عن قصائد الغزل

ولكن غزل الجسد تارة وغزل جمال الوجه تارة، كم قرأت كلمات فى

القصص أشعر أنها أشواك تمزق جسد الحب الواقى الآن أين نحن

من الحب الصادق؟

- أين هي الكلمات التي تحب حقاً.. قليل.. قليل.. قليل.
- لهذا فقد اتجهت إلى العين.. لابد أن أنظر إلى أعين محدثي
وسأعرف منها هل ما يقوله صادق أم لا؟
- وأنا ماذا وجدت بعيني مما تقول؟
 - أنت لم تحدثيني في شيء لأعرف مدى صدقك
 - صدقت.. ولكن ما رأيك بالدموع؟
 - الدموع..؟

الدموع.. اننى أكرهها لأنها تنافى في (كثير) من الأحيان مبادئ
القوة ولكن في بعض الأحيان تكون وسيلة الندم للخطأ.. أوتكون
الشيء الوحيد القادر على إزالة تدنيس العيون.. الدموع أيضاً جمال
وروعة.. الدموع أكسير العاطفة، لا عاطفة بلا دموع ولا دموع بلا
عين تشعر بالصح.

- وهل أدمعت من قبل؟
- قليل ولكن قد أدمع عندما أحب
- وهل ستحب؟
- إنه القدر

- ومن ستحب؟

- لا أعلم

- ابحث..

- لن أبحث فقد توصلت إلى المرفأ الأمين

و لا أحد يعلم بعد ذلك كم مرة رآها فيها ولكن علم الجميع الأمر.. لقد تحابا ولن ينسى الطريق هذا ذاك اليوم الذى قالت له فيها الكلمة، لن ينسى الطريق ذاك الهائم ذاك السعيد ذاك الطائر الذى كان يمر به، كان صاحبنا ولكن.. لا.. لا.. ليس هو.

كان سعيداً إلى أقصى الدرجات ولم يجده أحد سعيداً من قبل

هكذا

كانت عيناه تفيض سحراً وجمالاً وأملاً ولم يكن هكذا مطلقاً

من قبل

قصائد الشعر العاطفية لم تعد تساوى شيئاً لما يعتمل في أعماقه
وأى شعر ذاك الذى يعبر عمافيه؟..

أى قصاص يستطيع أن يسطر ما به؟.. استخف بعقول كل

الشعراء»والقصاصين الآن

لقد أدرك أن الحب لا يمكن أن يتحدث عنه كل هؤلاء
ما هذه؟ الزهور.. لا إنها بذور الحياة الجميلة الرقيقة
ما هذه؟ أشجار كلا.. انها جدران المعبد المقدس الذى تحابا به
ما هذه؟ الشمس كلا.. كلا.. لا تغربى بل لابد أن تشرقى حتى
تباركى الحب

وما هذه؟ أرض كلا.. اننى الآن فى السماء فوق السحاب
إننى أحب.. هكذا قال..

ومرت الشهور وصاحبنا يغرق كل يوم فى يم الحب ولكن لا
يموت.. كان يغوص به ويحس بصورة جميلة وهى صورة صفاء.. وكان
ذاك مشهداً من مشاهد الغوص الحبنى الرائع..

- هو. لا تغربين عنى الآن؟

- لابد أن أسير

أكتب عليّ أن أقطع جزءاً من قلبى كلما ودعتك؟

- احفظ قلبك لى

- كله لك.. كله لك

- قل لى كلمة واحدة تودعنى بها اليوم

- أحبك

ثم سارت رغماً عنه وعنهما نحو الطريق
ولا أخفى عليكم لقد صدمت في هذا اللقاء أكثر من أى فرد فقد
كان الأمر جلل جاءت تقول له في كل بساطة.. كل شىء قد انتهى

-وهاهى الحدقة تهتز بشدة.. ماذا؟

- كل شىء قد انتهى

- لماذا؟

- القدر

- القدر؟ أى قدر؟

- ألا تعرف القدر؟

وكان ذاك آخر لقاء بينهما.. ولكن ليكن ذاك نهاية الأمر.. حاول

صاحبنا أن يراها.. ولكن أين؟ وكيف..؟

هو يريد أن يعرف لماذا؟

ثم يلاحق نفسه بالإجابة.. لابد أن أكون قد أخطأت؟

نعم.. لابد..

ولكن ماذا فعلت بهذا الخطأ.

أخذ يتذكر كل كلمة.. ولكن لا كلمة.
وفي مساء يوم من الأيام أصاب الجنون صاحبنا.. كانت الغرفة
ذات الجدران الأربعة سجن حقيقي.. ولأول مرة أدرك أن ببعض
السجون من لا يستحقون دخولها.. أخذ يضرب بقبضة الجدران، كان
صامتاً نعم.. ولكن كل إيماءة.. كل حركة.. كل نظرة تقول: لا.. كلا..
كلا.. كان يصرخ لا كانت لا تمزق سكون أعماقه الراكدة.
كانت اللا.. اعتراض على كل شيء.. إلا عليها.
كانت اللا.. تقول في فصاحة غريبة لماذا؟ ولكن دون أن تجرح
هذه اللا هي، كانت اللا ندم ولكن لا يستطيع كراهية الندم..
ماذا يفعل؟ لقد أحب- وليته ما أحب
وماذا فعل هو ليلقى كل هذا؟
هل القلوب مجرد أدعية تمتلئ وتُفرغ؟
أمعقول هذا؟
نعم ثم لا مطلقة وها هو القدر.. الحامل الذي يحمل الخطايا
هو القدر الوحيد..
وماذا يفعل الإنسان إذا أحس أنه مسجون؟

إنه يحاول الهرب.. وبالفعل أخذ صاحبنا يذهب بعيداً ولكن مهما ابتعد فلن يبتعد عن قلبه... ومهما ذهب فلن يذهب عن خوفه ومهما ومهما.. لا يتخلص من ألمه.

أحس بأنه على وشك الموت.. ولكن قوته. كبريائه تمنعه من أن يموت منتحراً وفوق كل ذلك الله..

ماذا يفعل؟ نعم سيتجه إلى الطريق، هو بعيد نعم ولكن ماذا يفعل.. لا بد أن يفعلها.. لا بد أن يتجه إلى المكان المقدس لا بد أن يتجه إلى المعبد.. كان كل شيء كما هو.. وها نحن نعود إلى بداية الحديث الطريق الممتد..

كان يشعر في كل خطوة أنه يقطع جزء من ذكرياته.. وفجأة تحولت كل المعاني السوداء إلى شعر، هو لم يكن يوماً شاعراً ولم يفكر أن يكون ولكن يبدو أن الوحي الآن يتخير المعذبين ليكونوا شعراء.

هو لا يدري ماذا قال فقد قال كثيراً: ولكن فلنسمع بعض مما قاله أسماها النهاية وهو لا يعمل لماذا أسماها النهاية

ويجيئ اليوم الذي لا بعده يوم

ستنقرض الأيام

ساعتها سنسبح في يم الفناء
سنتشبت بالحاضر وسيصير الحاضر ماضي
سنغمس أناملنا بشقوق الحياة
ولكن ستقطع الشقوق الجباه
ستضمحل الشمس ويفارق البدر ضياه
وسيدوب الضجر ويقتل الشفق الحياة
الأيادي تشير للقبور والبسمة مقبرة الحبور
المقل سوداء قائمة
حتى ألوانها هائمة
تنظر فتصيب القاصمة
وهنا حين الوداع كل شيء صادر وداعاً.
سنخفت كشعاع مات
سنموت بلا ذكريات
ستتمزق العروق
ستتدنس البركات
فالقلوب آثام والتامور حِمام

ذاك أيان قتل الكون حباه
أيان أن مزق الإنسان الرحم
أيان أن ارتضى السفح ونبذ القمم
أيان أن تذوق الدم
ولم يستحِ فاشتهى اللحم
ما هذا؟ هكذا قال فى نفسه.. لا أصدق.. إنها هى..
كان الجو هادئاً والساعة تشير إلى التاسعة مساء
وهى.. هى التى تسير هناك.
ذهب إليها استوقفها وقابلته بنفور
قال لها.. أحبك
قالت له: ماذا تريد؟
أرغمها بقوته على النقاء.. قال لها.. أريد أن أعرف لماذا تبتعدين؟
قالت: أنا أريد ذلك
- لماذا؟
- لا شأن لك بذلك
- كيف تتحدثين عن عمري وتقولين لا شيء يعينيك؟

- أيها المغرور.. لقد وقعت
- مغرور، وقعت؟ عما تتحدثين
- هل تريد القصة؟
- نعم
- سأرويها لك..
- أنا زميلة لأخت إحدى أصدقائك.. عرفت عنك الكثير.. عرفت عنك كل شيء.. اسمك.. وثقافتك وقوتك.. وأردت أن أخضع كل هذا لي.
- الكل يعرف عنك أنك قوى.. ولكن كم كانت سعادتي عندما ضعفت القوة أمامي الكل كان يعلم أنك تقهر الكثير والكثير ولكن لا أحد يعلم أن حبي قهرك.
- أنت تكذبي.. لست أنت التي أحببتك؟ لست أنت ولكن مهما كان الأمر.. لقد قلت لي.. أحبك.
- لماذا لم تنظر إلى عيني أيها الفليسوف وأنا أقولها؟
- لأول مرة أشعر أنني تافه
- وكان هذا هو الهدف.. أن أخرجك من قوتك
- ولكن ضعفى الوحيد لست أنني أحببت.. ضعفى أنني

خُذعت.. ضعفى أن هناك أعيناً تستحق العمى والفقاً وذاك أفضل لها عن أن ترى لأنها عندما ترى تخدع الآخرين، لقد أنهدم صرح قوتي الذى لم يهتز منذ أن خلقت.

تضحك ضحكة رنانة.. لقد ضعفت.. كان هدفي أن أراك ضعيفاً أمامى..

- ألا تخافينى؟-

- أنا لا أخاف أحد

- أذنبت أم لم تذنبى؟

- أنا حرة أفعل ما أشاء

- لقد قصدت أن تخدعيني.. وكذبت

- كل البشر يمثلون أليس كذلك؟

- ولكن هناك أدواراً وضيعة الكلاب الضالة لا ترضى بها؟

- أنت سافل؟

- لا داعى ذلك ولكن السؤال الأخير.. كيف سأستعيد قوتي؟

- لا يمكن أن تستعيد قوتك.. لقد أحببتنى حتى لو كرهتنى بعدها..

فقد كرهتنى أو ستكرهنى لأنك أحببتنى وكلما زادت كراهتتك

لى الآن كان ذاك دليلاً على قوة حبك لى.

- الحل أن تحبيني.. الحل أن يكون قلبك لى
- قلبى داخل صدرى ولن يمكنه أحد سواى
- سأكرر السؤال.. هل أذبت أم لا؟
- ومنّ من البشر لا يذنب؟
- إذن فقد أذبت؟
- نعم.. (متحدية)..
- فى عرفى.. لكل ذنب عقاب وسأعقابك الآن
- وأين القضاة؟
- معك حق.. القضاة هذه الأشجار
- لا تنكرين أنها كائنا حية
- ولكنها بكماء. لا تتحدث
- من قال ذلك؟ إن اهتزاز فروعها يعنى أنها هنا معنا فى نفس الموضع
- القضاة سيكونون ثلاث شجرات وسطاهن تلك التى وجدتك
- عندها وسأكون أنا منفذ الحكم.. ألا تسمعين ماذا تقلن؟
- (تضحك بقوة).. لابد أنك ستكون مجنوناً
- لا.. بل أنا مجنون فأنا لا أجد التمثيل.. انصتى.. نسيتى أنك

لا تعرفين لغتهن؟

- ألا تعرفين ماذا يفعلن؟

- ماذا؟

- إن وسطاهن تقول قلبك هو العقاب

- ما معنى ذلك؟

- معنى ذلك أن قلبك ملكي.. وأنت لم تحييني لهذا يجب أن

أخذه بطريق آخر

- أيها المجنون ماذا ستفعل؟

لم يتحدث فقد أخذت أصابعه تكتم أصواتها..

حاولت يداها عابثة أن تتشبث بالحياة

ولكن الهواء الواهى لم ينجدها

وها هى تسقط على الأرض صريعة

أتى بأول صخرة وكانت كبيرة ورفعها إلى أعلى وأسقطها على

صدرها الذى توقف عن النبض كرر ذلك مرتين، ومزق الملابس المبللة

بالدماء وأدلف يديه نحو الصدر الممزق.. غابت أصابعه داخل صدرها

المهشم ثم صعدت يديه تحملا براحتهما القلب الذى مازال يرتعش..

كانت يدها مخصبتان بالدماء والقلب ينزف من كل مكان.. وأخذ قطعة من القماش وجعل منها مسكناً للقلب المقطوع، كان يفعل كل ذلك وهو يضحك.. ويضحك ثم علق قطع القماش في الشجرة التي قابلها عندها وبعد المشهد الغريب والجثة الغارقة في بحر من الدماء بلا قلب.. والقلب المعلق بالشجرة من جنون.. وأخذ يضحك ويقول:

كنت تمنعني قلبك عنى فأضحى لكل الأعين وكل الناس
كنت تعتقدين أن ثورة قوتي التي لم أشيدها إلا بالجهد لن
تستطيع أن تحصل على قلبك..
أنت مسكينة.. آسف.. أصبحت مسكينة.
أصبحت جثة ممزقة بلا قلب..
(يضحك).
بلا قلب.. أنت أصلاً بلا قلب.
لقد أزلتُ من جسدك اللعين تلك القطعة التي كانت تضخ الدم
وكلما أنا آسف على شيئين هما
أن الشجرة الطيبة ستتحمل مشقة حمل قلبك الدنس

وأن الأرض الطاهرة قد انسخت بدمائك
إن الهواء الآن يتلاعب بقلبك ايتها الملعونة.. ولكن لا بأس لا
بأس لقد أخطأت وكان لابد عليك أن تدفعي ثمن الخطأ فادحاً..
وأنا لم أتعسف في الحكم لقد أخذت منك قلبك ولكن رغماً عنك أنا
أهبتك قلبي وأنت بخلتى لهذا كان لابد أن اعتقله من بين سجن
ضلوعك وقد حدث.. لابد أن تندمين ولكن انت الآن جثة مجرد جثة.
الآن قد استرحت.. لقد انتقمتم لقوتي التي أهدرتها.. وسوف
أواجه العالم كله بكل شيء لا تعتقدي أنني جبان.
الوداع أيتها الشجرة الحبيبة ولا وداع للجثة الحقيرة.
وتوجه صاحبنا إلى قسم الشرطة حيث قال للضابط بكل قوة
وكل جرأة وكل برود:
أنا المقتول القاتل.

الخميس ١٩٨٨/٤/٧

الساعة ٦،٣٠ مساءً

(٢٥)

«البعث الذى أفل»

اليوم هو اليوم الثالث على مجيئه من أوروبا فقد قضى هناك عشرين عاماً.. ارتدى سترته العصرية وخرج إلى الشارع وكأنها أول مرة يرى فيها بلدته وعلى الفور شعر أن ثمة اختلافاً كبيراً قد حدث أثر أن يتجه إلى برارى طفولته.. إنه الآن يشعر بسعادة طاغية وأيضاً قشعريرة خفيفة فقد كان يعلم أنه سيواجه الماضى..

ها هو الطريق الذى اعتاد أن يذهب فيه إلى المدرسة، ها هو بالفعل يلتحم بالسوق أو هذا الرجل مازال موجوداً؟! يا لسنوات الماضى..

لم يكن له فى يوم من الأيام لحية ولكن الآن تغيرت ملامحه تماماً.. عيناه القاسيتان اللتان كانتا دائماً ترعبانه وزملائه قد غاصت فى محجريهما وأصبحا ينضحان بالبوأس والضعف.. وأين عصاته التى ألهمت ظهري حين مرة؟ إنها الآن غير الأخرى فهذه الحاضرة

ليستندعليها.. مستحيل أو هذه الأرجوحة لا تزال تحلق في السماء؟..
إن لها الآن عشرين عاماً وأكثر تحلق في السماء.. إنها تدور كما تدور
الشمس وكما تدور الأرض ووقف أمامها مستطلعاً حالتها.. يا لك من
مسكينة أيتها الأرجوحة الشيباء.. لقد هزلت أسياخ حديدك السوداء
القائمة.. ها هي أماكن الأيادي قد جعلت من المكان أبيضاً.. أما
الباقي فقد أتى عليه الصداً.. كم تحملت هذه الأسياخ وكم لامست
ملايين الأيادي.

عندما دار بعنقه رأى المرأة التي لطالما رآها قبل عشرين عاماً
ولكن أدرك ما حدث فقد علم أن زوجها قد مات.. ذاك الرجل الذي
كان يحرمه دائماً من نصف دقيقة إضافية.. كانت عيناها دامعتين ولم
يشأ أن يزيد آلامها.

(وأخيراً جئت).. توقف عند رجل طاعن في السن يرى بوضوح
فوق عينيه خطوط غائرة تعكس كل ما رآه في سوائف أيامه.

واتباع من عشته الصغيرة التي لم يتغير هيكلها (العسلية) وشيع
الرجل بنظرة الماضي المحتضر والذكريات التي خلفت الشيوخوخة
وذهب يستكمل طريقه.. كان في البداية يريد تجنب نظرات الناس

ولكن لم يعد لهذا أى قيمة الآن فأخرج (العسلية) وأزاح عنها أوراقها الشفافة ثم أخذ يقضم الذكريات.

سار في طريقه الذى لطالما أثرى قارعتة بخطواته الطفولية البريئة واعتقد في البداية أنه قد تناسى كل شيء، ألا أن مجرد ظهور الذكرى تنبعث الذكريات ولكن ما لاحظته تماماً أن ثمة عمران يزحف على هذه المنطقة الغالية من بلاده فقد أزيلت بعض المباني وأتت بعدها أخرى أقوى وأشد مفعمة بالقوة والسيط.

في الربع الأخير من السوق وقف ينحرف إلى حارة ضيقة صغيرة.. في نهايتها مدخل بيت وفي مقدمتها مدخل آخر.

كان كل ما حوله يعود إلى سيرته الأولى هنا هو يرى نفسه يلقي بحقيبته المكدسة بالكتب على الرصيف فتصطمم بأخريات لأصدقائه.. ها هو يقف في منتصف الطريق يعترض الكرة الصغيرة معلناً رغبته في اللعب ثم يستطرد ويتذكر ذلك الهدف المشهور الذى أحرزه بعد أن مرر الكرة من جميع أفراد خصمه.. هو أيضاً لا ينسى الهدف الآخر الذى أحرزه في مرماه وأثار هذا سخط زملائه وفي هذه اللحظة شعر بالبرودة ربما لأن العادة أن يُقذف اللاعبين بالمياه

المسكوبة من المنازل المجاورة فلما أتت الذكرى أتت البرودة، ورفع
بصره إلى منطقة معينة وكم كانت دهشته.. أنه لا ينساها أبداً.
تلك الفتاة التي كان يعاكسها الجميع.. كان شقاوة أطفال ولكن
رغم ذلك فقد كان يشعر أنه يحب هذه الفتاة الصغيرة.. لن ينسى
أبداً يومه الأخير في بلاده يوم أن أتى إلى نفس المكان ليقولها لها ألا أنه
عندما رآها عُقل لسانه واكتفى بأن شيعها بنظرة حزينة راکلاً حجر
تصادف وجوده في مكانه.

الآن قد كبرت وزاد جمالها.. هاهي عينها الرماديان يزدادان
جمالاً فوق جمالها الذي عهدته فيها.. ها هو شعرها الحريري المائل
إلى الصفرة يداعب الهواء ويداعبه هاهي بلامحها البريئة وإيماءاتها
الملائكية.. ولكن ما هذا.. إنها الآن تحدث من يجرى هناك ولكن من
هذا الذي جرى هناك؟

إنه لم يلاحظه فقد كان شيئاً قصيراً بريئاً، قال لها هذا الشيء لفظاً
واحداً جعله يترك كل شيء أي كل الحارة الضيقة.. قال لها (ماما) ولم
يسمع باقي الكلمات.. عندما توقف عند نهاية الحارة كأنه يبعد عينيه
عن الطريق الأسفلتي.. إنه يحاول ألا يرى الدماء.. فالدماء المتخثرة لا

تزال أمامه مهما مرت السنوات، لقد كان زميله الذى تطوع أن يُحضر الكرة الذى ولت إلى الطريق العام.. ورجع إلى الربع الأخير من السوق ووصل إلى النهاية ولكن كم كان فجيعة أين مدرسته؟

لقد ضاعت مدرسته.. أنها ليست هذه الجدران التى نخرها الدوران ليست هذه الأكوام من الحجارة والأخشاب وحتى إذا كانوا يريدون إعادة البناء فكيف إذن يعيدون إعادة الذكرى حية؟!!

من الممكن أن يشعلوا شعلة العمل ويجددوا شباب حقل تعليمى ولكن هل هذا عدل؟

هل من حقهم أن يحطموا مكان ذكرياته.. هذا هو فناء المدرسة الذى شهد لعبهم ولهوهم.. أنه الآن جثة مثقلة الأكوام.. أين عمره وذكرياته؟ لقد أزالوا كل شيء يصله بالماضى.. استدار كاظماً للدموع فوجد الشيء العجيب.. ذاك الكشك الصغير.. الذى دائماً ما كان يختلف إليه فى الوقت العصيب لشراء الأدوات التى يحتاجها.

اتجه إليه فوجد شاباً عرف بعد لحظات أن أبيه قد مات منذ زمن طويل فقال: لم يبق شيء من الماضى، كل أبطال الذكريات قد ماتوا حتى المدرسة هلكت.. ربما السوق هو البطل الوحيد الصامد..

إلا أن الشاب قال: لن يكون بعد أسبوع على الأكثر لقد صدر قرار بتغيير المكان وصرخ في عنف بنفسه: ليس من حقهم أن يغتالوا البقية الباقية من عمرى لقد سُفح طموحة خارج البلاد وعليه الآن أن يبدأ من جديد ولكن بلا ذكريات.. يعود أدراجه مشيعاً ذكرياته لآخر مرة في حياته.

(٢٦) (خطوة)

أخيراً سيأتي اليوم الذي طمح إليه ورغب فيه.. بالطبع لم يكن هذا اليوم هو حصاد القليل وإنما حصاد سنوات طويلة طويلة.. فهو لا يزال يذكر.. وهو على وشك المواجهة- تلك الأمسيات التي كان يطرب فيها بالكلمات.. كان الجميع يأنس عندما يغنى بينهم فشجعه الجميع دون استثناء وتوقعوا له مستقبلاً باهراً..

خرج عن تلك التشجيعات إلى الدراسة فالتحق بقدر استطاعته في التعليم فقد كان يولي اهتماماً خاصاً بالغناء والطرب.

بالطبع لم يعد الطريق مفروشاً بالورود فقد انتقل من حيث يقطن إلى حيث يبزغ قال له البعض إنه لا شيء والآخرين كانوا على نفس الوتيرة ولكن قد يزيد البعض فيقول له إنه أحسن ولكنه لا يزال يحتاج إلى سنوات طويلة.. كل ذلك لم يكن ليفت في عضده

فقد كانت كلمات التبشير بالسقوط والا شيء تُشعل إرادته فيزداد
عزماً وتأكيداً لسعيه راغباً إلى تحقيق حلمه.. ها هي الفكرة تلوح
أمام عينيه.. إن هذا الرجل من القلائل الذين يقدرّون أن يساعدوه
ولا يعلم كيف اقتنص الفرصة ليقابله وفي عجلة سمع نبرات صوته
فأعجب بها وأراد أن يقدمه إلى الجمهور.

ها هو يوم الحفلة.. يوم طال انتظاره إلا أنه جاء بعد أن بذل
كل ما يستطيع من جهدها هو الآن في حجرته ينظر إلى المرأة يحدث
نفسه ويتساءل هل يستطيع أن يواجه الجمهور؟ هل سيخرج صوته
الذي لطالما شدى به من قبل مئات المرات؟ ماذا سيفعلون إزائه؟ هل
سيعجبهم؟ هل سيظربهم؟

هنا دخل الرجل إليه.. كانت عيناه تفيضان بشعور غريب..
الرغبة والشجاعة.. الحب والغيرة.. الأمل والسقوط..

لم يتحدث ولم يحاول هو أن يبحث إلى سبيل نحو عينيه فقد كان
يخشى أن تتلاقى أعينهما فيرى ما لا يريد رؤيته.. وربت الرجل على
منكبه في رفق وابتسم دون أن ينبس بكلمة.. ولعله بذلك قال كل
ما يكن أن يقال في تلك اللحظة.. وكان ذلك بمثابة الثقة التي نبتت

في لحظة في أعماقه فأخذ يطلق زفرة حائرة مترددة في صدرى أطلق معها كل قلقه وتردده وخوفه.. في اللحظة عينها شق رجل الطريق إلى حجرته معلناً له عن مكاملة تطلبه وهى هامة من أخيه.. تذكر ساعتها أن ثمة برداً لعيناً تسلل إلى صدر أبيه وطلب من أخيه أن يمهده بالأخبار قبل التطلع إلى اللحظة المرتقبة حتى يزداد إيمانه بنفسه..

قال له أخوه كلمتان ثم أنهيت المكاملة.. أبوك مات.. عاد مترنحاً إلى حجرته فقد كانت الصدمة قوية.. هل مات عماده وعضده؟!!

لقد تركه مبتسماً داعياً له منذ الساعة.. هل هذا معقول؟
مات أبي.. مات أبي.. هكذا تتمم.. هل سأستطيع أن أعتلى المسرح وأواجه الجمهور وأنشد كلمات الحب والغرام وجثة أبي مسجاة على سريرها وقد اطلق سراح الموت بها؟

هل أستطيع أن أضحك وجثة أبي يمزقها الفناء هناك؟
انحدرت دمعتان وتملكه اليأس فقد أدرك أن هذا قرار بإعدامه وأن القدر دبر بمهارة- كعادته- الموعد واللقاء..

كان يصبو للحياة ويشدو للحب ولكن يوم أن يكون لهذا كله الإعلام والإعلان يكون عضده وصوته هناك.. يكون بصره مسجى

مع تلك الجنة التي لطالما أغرقته بالحنان والحب.. بل كيف يتغنى بالحب ومن علمه الحب في ذات اللحظة يموت ويتلاشى!!؟

إنه يكون بذلك منافق خائن لأبيه ولحبه الكبير..

هذا اليوم ليس يوماً عادياً أنه يوم لن يتكرر مهما عاش لأن الفرصة لن تتكرر بعد اليوم.. وتساءل: كيف سيتحكم في انشاده واطرابه والنحيب يتصاعد رغماً عنه؟

كيف يقاوم البكاء في كلمات غنائه ثم تسحق الدموع مقاومته وتطحن إرادته!!؟

إن الموقف خطير وكالعادة اللانهائية.. اختيار

في هذه اللحظة دخل الرجل الذي هيئ به القدر الاختيار وتقابلت النظرات فتلألأت الدموع في عينيه.. مشى خطوات طويلة وتقهرق الرجل فوصل إلى منتصف المسافة بين باب الخروج وباب الدخول؟

ترأى كل شيء أمامه.. كان نداء حزنه وسنواته السالفة بالخروج فهو لا يستطيع أن يهب السعادة وهو لا يشعر الا بالحزن العميق.. ذاك الرجل الجليل الذي ساعده بكل شيء وجاهد وأوصله إلى هذا اليوم بعد جهد كبير والذي وقف أمامه يمسك بعصاه الرقيقة

ونوته الموسيقية في شموخ الا أن عينيه كانتا مذبوحتين بألم رهيب
تراءى له بعض الجمهور الضاحك الباسم، وسمع هديرهم وتصفيقهم
لإذاعة نبأ اقتراب موعد شموخ النجم الجديد..
تراءات له كل الأشياء وكان عليه أن يبدأ بخطوة نحو ما يعزم
عليه وبالفعل كانت خطوته في سبيل ما أريد له.

(٢٧)

(الورقة الأخيرة)

كان يمتطى الحمار وهو يعرج به عبر الحارات والشوارع الصغيرة
بالقرية النائبة ويد الصغير تقود الحبل الشانق للحمار.. ولكن شيء
غريب تسلل إلى صدره.. كان شيئاً كأنه الخوف من المجهول.. وكيف
لا يخاف من هذا اليوم خاصة؟

مد بصره إلى الأفق فوجد الشمس تخرج من بين السحاب خلف
الأفق كأنها دمعة تتدرج على خد أحمر قاني.. انتقل إلى الحقول
الخضراء التي عاش بينها طوال خمسة وعشرين عاماً متواصلاً..

بعد أن حسر بصره لفح وجهه الهواء المعتاد فأخذت خصلات
شعره تتراقص ولكنه لم يهتم إلا بهذا السجل الذي بين يديه.. كان
أيضاً وبين شقيه أوراق كثيرة قد سُطرت كلها ثم نظر إلى الاسم الذي
يتوسط السجل ثم ضحك ساخراً..

عاد بذكرته إلى الوراء قليلاً جداً.. فوجد أن عمه ينتظر بفارغ

الصبر رجوعه صفر اليدين فهو خصم الأدب الأول.. فعمه لا يعرف من الدنيا سوى الأرض والفلاحة.. وبعد أن مات أبوه فقد وقع تحت سيطرة عمه وكذا أمه وقد كانت الأم والعم متفقين على أن هذه القصة التي يكتبها الابن والتي يذهب بها من آن لآخر إلى القاهرة سوف تنتهي إلى لا شيء.

وقد أقر أن كل هذا ضياع واستهتار.. وهو لا يزال يسمع كلمة من كلمات عمه ترن في أذنه حتى الآن إذ قال:

عاوز تبقى زى بتوع السيما ياخي؟

كان الابن يستطيع أن يتحمل كل شيء إلا السخرية منه أو النيل من مجهوداته أو طموحه لهذا، فقد أخذ الخصام يدب بين عمه وبينه فعمه لا يريد الأدب ويعتقد أن الكتابة مضيعة للوقت وقد مزق له من قبل جزءاً كاملاً من قصة كان يود كتابتها، وقد كلفه ذلك مجهوداً عظيماً حتى يعيد كتابتها من قبل..

ساعتها.. عندما انتهى إلى هذا الجزء من الذكريات.. توقف الحمار فنزل الى أرض المحطة وقال للصغير سأحضر اليوم عند المغرب.. ما أن وقف القطار حتى ابتلع كل من يقف على رصيف المحطة ثم اطلق صفارته الرعدية وانطلق..

ساعتها أخذ القصاص يتابع الذكريات تحت تأثير رج القطار.. تذكر كيف التقى بهذا الشاب القاهري الذي قرأ له قصة قصيرة واعجب بها أشد الإعجاب ونصحه بالذهاب إلى القاهرة.. وذهب القصاص إلى القاهرة مرات ومرات.. دق أبواب كثيرة البعض كان يتحدث معه كأنه يشحذ والآخر يرده دون جواب.. وثالث لا يأمر بأن يراه..

كان كلما يعود يزداد عذابه فقد كانت نظرات عمه لا ترحم وكلمات أصدقائه قاسية.. يذكر تلك المرة الأخيرة التي قرأ لأصدقائه قصيدة من قصائده ووصل إلى هذا البيت.

فالذهب جحيم لدرب الفراق والشوك نعيم بسبيل قلب وساعتها أخذ كل حاقد يبث سخريته فقال أحدهم: أعطنى جراماً من الذهب وأفارقك وأفارق بلدتك وأخر قال: استفق يا شاعر أنت لا شيء.. وقد قابل كل هذا بالصمت ولكنه أقسم أنه سيراهم يوماً سيكون فيه الأعلى منهم.

وذات زيارة لكاتب صحفى.. رأى لأول مرة بوادر الأمل فقد قرأ الرجل له قصة صغيرة أعجب بها وبعدها أخذ رواية (تلك التي بين

يديه الآن).

وقال كلمات أثلجت صدره.. فقد وعده بأن يذهب به إلى من يتبناه وبالفعل ذهب إلى كاتب معروف أنبهر بالأسلوب الرائع وأراد أن يقدمه إلى الناس، فضرب له موعداً اليوم يذهب معه والقصة إلى الناشر. كم كان سعيداً بهذا أشد السعادة.. بالأمس فقط أخذ يتحدث مع أصدقائه اللذين كانوا وأفحمهم بهذه الأخبار وسمع من بين كلماتهم كلمات كان يتوق إلى سماعها ولكنه لم يتحدث وفضل الذهاب عنهم.. ها هو ينظر إلى هذه الأوراق التي بين يديه فقد أدرك وهو يقبض عليها أنها حياته.. أنها الأمل والنور الذي سيصل به إلى الشمس.. شمس المجد.. كل ما كان يقلقه هو هذا القطار المتهالك الذي ينقله الآن إلى القاهرة فقد كان يخاف أن يمر الوقت دون أن يلحق بالموعد وهذا الموعد هو موعد حياته كلها.. حدث ما توقعه من سوء حظ فقد وصل القطار بعد تأخير ساعة كاملة لسبب لا يعرفه.. هكذا كاد الموعد أن يدبر، فاتجه إلى أقرب سيارة أجرة واندس بها وتوسل الى السائق أن يذهب به إلى المكان الذي يريد ولسوف يجزيه خير الجزاء خاصة أن نصف ساعة فقط هي الفيصل.. طلب منه سرعة الذهاب ولكن القصاص نفسه أدرك أن السائق لا

يستطيع.. فقد حشرت العربة التي يستقلها بين حشود العربات..
فقد اصطدمت العربة بالعربات والعربات بالناس..
علا الغبار كل شيء.. تعالت الأصوات.. تبددت ملامح السعادة..
ساد العبوث.. الناس كالخضم المتلاطم الأمواج.. الهواء كالدهماء
يعصف بكل شيء..

ضاقت الأنفاس..

أخيراً نظر إليه نظرة حياة أو موت وأمره بأن يسرع مهما كلفه
الأمر فالموعد موعده مصيرى.. تعاطف السائق معه ورأى كسرة في
جدار الدهماء والسيارات فأراد أن ينفذ منها ولم يفعل شيء سوى أن
ضغط دواسة السرعة.

كان غافلاً عما وراء هذه الكوة فقد جاء بيت الدهماء بكل قوته
ليسحق العربة ولم تمر ثواني حتى كانت الأوراق الملتصقة بصدرة
ملتصقة بدماائه المتجلطة.

لفظ بيت الشعب كل ما فيه وتوجعت القلوب ولا يجد البعض
سوى هذه الأوراق المتناثرة ليغطوا بها الجثتين، بالفعل حدث ولكنهم
لم يستطيعوا أن يكملوا تغطيتهما لأن دارهم تكاد أن تقلع..
تناثرت الأوراق الحمراء وعلى الرصيف الآخر وقف طفل يشاهد

كل شيء وهو يقضم القزمة الأول من رغيف محشى بالفول..
سالت مياهه على يديه ولكنه أثر عدم النظر فقد أعتاد هذه
المشاهد أوصلت الريح إليه ورقة من أوراق القصة.. كانت تحتوى
على أربعة عشر سطرأ وفي النهاية آخر سطر قد كتب عليها (تمت).
لم يكن الطفل الصغير يعرف القراءة ليعلم أن هذه هى الورقة
الأخيرة بالقصة فقد التقط الورقة ودس بها الرغيف وذهب إلى حال
سبيله.

(٢٨)

(ابن الحارة)

صاحبنا غريب الطباع.. في صغره كان يلعب الكرة في حارته وكان يأخذ بالألباب ولكن مع الأيام باعدت الأقدار بينه وبين هوايته المفضلة بعد أن أصاب درجات قليلة في شهادة الإعدادية ترتب عليها أن يلتحق بإحدى المدارس الصناعية الزخرفية ولكن ما لبث الشاب أن وضع يده على شيء آخر في نفسه.

كان منشأ ذلك في أحد الأيام عندما جلس على القهوة الوحيدة بالحارة وراح هو والأصدقاء يتذكرون أحد أفلام السينما التي رآها من قبل وفي خضم المزاح أراد صاحبنا أن يقلد أحد الفنانين وانتفض وإذا به يقلده تماماً وتصادف وجود أحد خبراء القهاوى فأنبرى واقفاً إذ قال: يا بني إنك ستكون مفناً عظيماً في التمثيل.

انتهت الليلة مع الفجر وقد اعتقد اعتقاداً أكيداً أنه نجم السينما

الأوحد المنتظر..

عندما أشرق الصباح أخذ كتبه الدراسية واختلف إلى دور سينما
الحي تاركاً المدرسة.

أحسب بنشوة غريبة إذا أنه عندما كان في خضم الموهبة الأولى
كان يحلم بالشهرة الواسعة والأموال المتدفقة والمعجبين والمعجبات..
هذا الأمل قد طار مع أجنحة الدخان بعد أن فشل في اختبارات
الأندية ولكن عاداته تلك الآمال من جديد.. آمال في تحقيق الأحلام
وما أقسامها أحلام وما أعظمها أحلام تلك التي تجعل من الإنسان
يشعر بالتميز والتفوق على سائر البشر وليس هذا فقط بل أحلام
تحقق الذات وتعوض جوانب عديدة من الحرمان.. فهو مثلاً محروم
من أشياء كثيرة على اعتقاده.. عندما- مثلاً- يقف أمام المرأة يأخذ
في وضع يده على بعض جوانب وجهه ليخفي ما قد يراه قبيحاً في
وجهه.. تارة يبتسم وأخرى يبكي ولا يعرف أي وجه يريده يستطيع
أن يطالع به الناس ويكون راضياً عنه.

كان لتأثير هذه الملامح الكثير على نفسه وعلى حالته العاطفية
والنفسية فقد أحب صاحبنا من دون الفتيات أجملهن وأرقهن.. كان

يتعمد عندما يخرج إلى الحارة أن يوجه وجهه إليها وهى عادة لا تنظر إليه وقد لا تلاحظه ولكنه يذكر ثلاث مرات فى المرة الأولى لمحته وأكد هو ذلك وفى الثانية نظرت إليه نظرة شريفة لم تستقر على عينيه والثالثة كانت هى التى عزف لها أنشودة الحب وحفظ من أجلها كل أغانى الغرام والهيام.. ففى هذه النظرة استقرت العيون فى طريق واحد نعم كانت لحظة واحدة ولكن ما أهمية الوقت هنا طالما أن الحدث قد تحقق وهو نفسه لم يكن يطلب سوى ذلك.. سوى أن يراها ويصدق بعينها..

تصور نفسه نجم من النجوم وشعر بالفخر لذلك لأن هذه الحالة ستصله بقلبه لا محالة فى ذلك.

كان أميناً وصادقاً مع نفسه وقرر أنه عندما يكون نجماً لن يفكر فى غيرها ولن يفضل عليها أحداً ولن يخونوا ولن ولن..

لقد عاهد نفسه أن حبه اليها حب دائم لا يموت مهما حدث.. وبالطبع عندما يصبح نجم لن يقطن بهذا المسكين المكون من طابقين كل طابق من حجرتين.. بل سيشيد قصرًا.. نعم لابد أن يشيد قصرًا، ولكن كم حجرة سيتكون منها القصر؟.. لم يمهله الوقت لذلك فقد

كان وقت عرض الفيلم قد انتهى وخرج الى الشارع العريض ومنها إلى الحارة.. قبل أن يخرج من مبنى السينما وقف أمام صورة الإعلام الضخم احتقر ذلك الرجل الذي ملأت صورته هذه الأمتار وقال: غداً.. ستكون صورتي تملأ كل الأجواء.

عندما مشى إلى حارته وكل الجمرتين اللتين يكونان مرمى الكرة وكأنه يتمرد على الماضي وعلى تلك الموهبة التي لفظته واحتقر الكرة وكيف سترتقى الكرة إلى التمثيل؟! كيف سيرتقى الركل بالفن!!؟
وقف برهة وتصور موقفه وهو يجرى إلى الحارة وقد زفته طبول الانتصار وكاميرات النجومية.. تصور موقف زملائه منه انهم الآن لا يلاحظونه وكل ما يستطيع أن يقوله عنهم أنهم جاهلون بالنسبة له وهو عادى بالنسبة إليهم، ولكن هو لن يرضى بهذا بعد اليوم يجب أن يندم الجميع على عدم جعله قائد لفريق الحارة كلها يجب أن يندموا لأنهم لم يجعلوه القائد الوحيد والمدبر القوى، يجب أن يراه الجميع فيكبره ويتمنى لو تحدث معه ويجب أن يقول أهل الحارة يوماً أن هذا لرجل والنجم المشهور هو أحد أبناء الحارة يجب أن يقول أحدهم: أقسم أنني تحدثت معه أيان أن كان صغيراً وآخر

يقول: أقسم أنى أقرضته منذ سنوات طويلة.. يجب أن يتذكره الجميع
والا ينساه فرد واحد.. ولكن كان هناك سؤال يشغله هو.. من أين
أبدأ؟

في اليوم التالى ترك كتبه الدراسية في حجرته القريبة الشكل
والنظام وراح إلى أماكن لم يعهدها أبداً.

راح إلى رجال ابتزوه وآخرون وعدوه وآخرون احتقروه.. ولكنه
لا يستطيع أن ينسى يوماً في حياته هذا اليوم قد بدأ بزيارة بعد.

سبعة شهور من التعب والمجهود المتواصل وبالطبع رسوب
دراسى ومنازعات منزلية واحتقار من قبل زملائه وترفع من آخرين
وفرحة من حاسدين.. بعد سبع شهور حصل على أول دور له في
حياته وكان هذا الدور هو الوقوف دقيقة واحدة بلا حديث أثناء
تصوير فيلم.. وكما كانت سعادته عندما وصل إلى هذا الأمر لأن هذا
يعنى الكثير من أنه سيصبح وجهاً على الشاشة الكبيرة ويستطيع أحد
المخرجين أو المنتجين إسناد إليه أحد الأدوار الصغيرة ومرة في مرة
يستطيع أن يكون نجماً من النجوم.

ولكن الشيء الذى أسعده أكثر وأكثر هو أن التليفزيون سيعرض

مشاهد من الفيلم وقد تأكد من مصادر واثق منها أن الفترة والمحددة بدقيقة ستكون ضمن مدة العرض التليفزيوني الذي لن يستمر أكثر من نصف ساعة.

عندما اكتمل الفيلم تصويراً كان أسعد رجل في العالم وقد أخذ ما حصّل من مال ولم يصرفه أبداً بل وضعه في أوراق خاصة، وقد كتب عليها تاريخ الحصول عليها.. بقي شيء أخير لابد أن تعلم كل الحارة وقت العرض التليفزيوني لم يكن هذا من اليسير خاصة أنه يريد أن يمد حلقة الاهتمام حتى تشمل حبيبته.. في المساء اختلف إلى منزلها وانتظرها في نهاية السُّلم، ولما كان يعلم موعد حضورها من زيارات الجيران في بعض الأوقات المحددة كان يقف وهو على ثقة من الأمر وجاءت..

وقف وهو يهيئ من نفسه واستقبلها بابتسامة عريضة فاندھشت ملامحها ومنذ تلك اللحظة حتى انتهى من حديثه معها لم يدر ماذا قال وماذا قالت بل لم يعد يتذكر أي شيء.

بقي في ذاكرته شيء واحد هو أنه سيعبر إليها وقلبها بعد أن تراه بالتليفزيون وبالطبع ستكون فرحتها غامرة عندما يحبها المتميز الوحيد

بالحارة ذلك الرجل الذى يطالعه الجميع عبر شاشات التليفزيون.
اتجه إلى أمه باعتبارها أكبر مثيرة للكلام فى الحارة وبث إليها الخبر
وسعدت الأم بعد طول عبوث وخرجت إلى نساء الحارة لتتحدث
اليهن بهذا الخبر، ابني نجم، وكم شعر بالسعادة عندما استيقظ من
النوم فى اليوم التالى وخرج إلى الحارة ليجد أن كل العيون تلتقى فى
عينيه.

قرناؤه قد بدأوا يهتمون بهذا الصبى أو الشاب أو حتى الرجل
النحيف ولكن رغم سعادته القصوى فقد كانت هذه السعادة لا
تقدر بسعادته عندما رفع عينيه إلى نافذة حبيبته ووجدها تحديق
فيه، أخيراً تلاقى العيون فى نقطة من اختيارهما، بقى شئ آخر
هو الانتظار إن البرنامج سيعرض بعد اسبوع كامل.. وانتظر الجميع
الأسبوع.. كان يشعر أن هذا الأسبوع سبعة قرون فحاول أن يضع
الوقت فى شتى الأعمال ولكن كان شيئاً هاماً يتذكره أن هذا البرنامج
هو سبيله الوحيد إلى قلب حبيبته وإكبار الرجال له وتميزه عن سائر
أبناء الحارة.

بعد سبعة قرون جاء الموعد واصطفت الحارة فى صفوف.. من

كان يملك تليفزيوناً يجلس بجانبه من لا يملك أما القهوة فقد امتلأت عن آخرها لأول مرة في تاريخها أمام برنامج ثقافي.. كالعادة ما أن بدأ البرنامج حتى تطلعت إليه العيون.. كان وقت البرنامج نصف ساعة، وبدأت الدقائق تتسرب من خلال أعينهم.. مضى خمس دقائق عشر دقائق، ربع ساعة، ثلث ساعة بل خمسة وعشرون دقيقة تحدث الكثيرون وجاءت فقرات من الفيلم ولكن هذه الدقيقة الملعونة التي قد ظهر بها كأما خصمها الجميع، أخذ العرق البارد يتساقط على جبهته الساخنة الملتهبة أنه يشعر أن النظرات تسأله وتتهمه بل إن رموش العيون قد أضحت سجناً لا يستطيع النفاذ منه.. وانتهى البرنامج.. وقف صاحبنا ولا حول له ولا قوة كان يريد أن يصرخ من أعماقه متمرداً على الظلم ولاعناً المصدر الذي أكد له ظهوره بالبرنامج، كان يريد أن يمثل للجميع الدقيقة بل ما كان بها.. كان يريد أن ينقذ كرامته بل كان يريد أن ينقذ أحلامه.

انفض الجميع من حوله وقد أطلقوا سخريتهم والتي بها كأنهم ينتقمون منه.

مشى خطوات قليلة حتى وصل إلى صحن ا لحارة.. ورفع بصره

اليها، تقابلت العيون، وبعد برهة أوصدت النافذة.. شق طريقه إلى منزله وسط نظرات ود أن يتفادها بكل ما لديه بل ود أن يتفادها بحياته فقد كانت ابتسامات الساخرين وكلمات المتهكمين تنحر صدره وتكاد أن توقف قلبه.. لقد شعر بالإهانة الشديدة ولم يكن لي أي منطق حتى يرد.. عندما مثل أمام والديه كان صامتاً وهما كانا صامتين، ولكن الصمت لم يكن يعنى كل شيء.. لم يكن يعنى الرضا.. كانت ملامحهم تحمل كلمة الفشل، تذوق مرارة الكلمة، بل إن لهيبها أحرق كرامته وطموحه وكبريائه وثقته بنفسه وبعد لحظة واحدة قرر قراراً واحداً.. لقد قرر الهروب.. وهو يعترف أن الهروب سلبية ولكن لم يعد ثمة حل.. لقد انتهى.

عندما كان على وشك الخروج ملح بطرف عينيه الآمال والأحلام وانتزعت دمعة نفسها من بين جفنيه الحمراوين ولكن الحسرة التي صاحبت هذه الدمعة خلقت شيئاً آخر في نفسه. خلقت الطوفان.. فهو لم يعتد أن يبكي ولكن هذه الدمعة قد أشارت في فصاحة على مدى آلام نفسه ومدى ا لضياع الذي شعر به ولكن الأمر برمته كان له جنب آخر كنتيجة مباشرة للضياع الشامل، فبعد عشر سنوات ولج

إلى الحارة لأول مرة بعد تركها ولكن هل كان لهذا أهمية؟ لقد كانت أهمية ولوجه إلى الحارة مرة أخرى منبثقة من ذاته وشعوره بالثقة، فقد كان يريد أن يثبت لهم خاصة كينونته.. نعم عندما ولج كان حبيبته أم لأربعة من الأطفال وقد مات أبوه وتغيرت ملامح الحارة ولكن الزملاء كانوا ما يزالون موجودين، معظم من سخروا منه كانوا موجودين عندما جاء مرة أخرى، نُسي شيء آخر أنه عندما ولج إلى الحارة بعد عشر سنوات كان نجم السينما الأول.

(٢٩)

الجبهة والقاع

كان الطريق يمتد وكأنه بلا نهاية وقد ابتلعه شحوب الغروب فبات المشهد والأشجار تحف الجانبين كأن المكان يجمع آلهة الأوليمب القديمة، ورغم ذلك فقد كانت سعيدة ولم لا ونبض القلب بجانبها وقد اشرفا بابتسامة وردية. وبعد دقائق من الحديث الحلو توقفت العربة وغُلقت الأبواب وولجا إلى ذلك المنزل المنعزل.. كانت تحبه فهو لها تلك القمة التي لا يصلها سواه، فهو الكاتب والروائي هو الفكر والعاطفة أحبت أن تعرف أين تولد الكلمات فاتجها وثالثهما الحب إلى حيث تولد الكلمة، جلست أمام مكتبة عتيقة قد تراصت بحناياها الكتب في صفوف دقيقة وفي وسط الحجرة الرئيسية يقع المكتب الفاخر وعليه تراصت أوراق بيضاء ناصعة وعليها استلقى القلم، بزغت نظرات الانبهار في ملامحها. استرخى في مقعد مكتبه وقد أمسك قلم بين أنامله، قالت: (ما كنت اعتقد أن المكان سيكون

كذلك)، في عدة جمل حسنة الترتيب أخذ يحدثها عن ذلك المكتب وتلك الحجرة وهذا الركن وهذه الكتب.. الخ.

اندهش قائلاً: (لماذا تبتعدين هكذا) فانتقلت إلى المقعد الوحيد الملاصق للمكتب واستطرد: ماكنت أحسب أنني سأحظى بهذا الشرف.. أنت لى حلم..

وردت: إن الفتاة الصغيرة لا يمكن أن تكون حليماً بالنسبة إلى مثل القلم المائل أمامها.

استكانت ملامحه وأفاد بأن حلمه أن يكون معها ولا يكون معها أحد.

انطلق يعزف على أوتار الحب والتقط يدها ولثمها.. وشعرت آنذاك أن ثمة شيئاً يدور ولم تعلم بعد ذلك كيف تسنى لها أن تعرف هذا. انتشلت يدها من بين أنامله التي استعادت الامسك بالقلم وقال: أرى وجهك قد تخصب بالحُمرة يا لك من صغيرة.. إلا أنها أومأت إلى الصمت.

استطرد: يبدو أن الحبيبة ماتزال في غلافها أو شرنقتها لماذا لا تنقرين البيضة لتخرجى إلى الدنيا؟ إلا أنها أرادت أن تذيب شكوكها، يبدو أن ذوقك في اختيار الأثاث رائع) ووضع القلم على أوراقه مرة

أخرى، قام واقترب منها، هكذا مزقت شرنقتك، أدركت عدم الفهم وتساءلت عما يريد أن يقول فرد في صوت روتينى به مسحة من العاطفة.. الحب.. براءة شديدة تساءلت عن الحب ولم تكتف فانبرت في لهجة مسرحية، اننى اسأل صانع الحب فى صومعة الحب.. اننى اسأل فى ذاك المكان خاصة لأنك تكتب هنا.. فى هذا الموضوع وعلى ذلك المقعد وبهذا القلم، إذن لم يبق سواك لى تجيب عن السؤال. ابتسم وتساءل مندهشاً: الا تعرفين الحب؟ هلا مزقت شرنقتك أولاً..

- ماذا تعنى بالشرنقة؟

- عزيزتى وحبيبتى أنت لا تزالين تحملين عقل الصبية.. هيا مزقى هذه الشرنقة لتخرجى إلى عالم المرأة الحقيقى عالم الحب.. إلا أنها لم تفهم أو لم تكن تريد أن تفهم، ابتعدت خطوتين وقالت: إن للشرنقة أهمية بالغة يا صانع الحب.

رد فى ثقة: ان هذه الشرنقة أول ماتعوق الحب..

- ولكنها..

- لا لكنها أنت لا تعرفين حبى لك.. هنا هذا المكان الذى لطالما

شهد انبثاق الحب سيشهد تمزيق شرنقتك التى لا تستطيعين الرؤية من خلالها..

- ولكن قد أصبح ضريره إذا ما مزقتها..
- لماذا لا تنطلقين إلى الحب؟
- وما الحب؟
- سؤال ساذج يفسد المكان.. الحب معروف
- اننى لا أزال بالشرنقة يبدو أنها تحجب عنى ما رأيته أنت
- الحب هو السر بين الرجل والمرأة..
- الحب المجرد؟
- الحب هو الحب
- إنك بذلك تقصد حبد القاع للقاع
- لكل شيء لغة ولكن شعور قمة
- قمة القيعان برهة
- وما هو عمر الإنسان؟ برهة!..
- كل العمر برهة!!!
- وهل نقيس العمر بالسنين؟ إن سعادة الدنيا بهذه البرهة
- وهل هذا هو كل شيء؟
- وماذا كل شيء؟
- القمة.. الجبهة

- في البرهنة يكون الجميع في مستوى واحد..
- لأنها برهنة وعدا ذلك فالقمة هي القمة
- يا لها من شرنقة
- ويا له من مداد
- أى مداد..؟
- مداد قلمك
- ماذا تعنين؟
- يبدو أن القاع الآن هو العمر الذى يبحث عنه الجميع ولكن
- من يبحث عن القاع لابد أن يظل في نفس المستوى.
- وما رأيك في مدادى؟
- تبتعد عدة خطوات وتفتح الباب وتقول: برهنة.. فقط..

(٣٠)

الحائرة (أو)

زهرة بلا عبير

وقفت كعادتها أمام المرآة.. راحت تحديق بملامحها وهى فى حيرة.. هل تسعد بهذا الجمال؟ أم تلغنه؟.. بنظرة لا شعورية أظهرت جمال عينيها الزرقاوين، رسخت الحيرة على وجهها فانتشت برهة وعاودت النظر إلى نفسها حتى تستطيع الخروج مرفوعة الرأس تتوج أنثاها بتاج الجمال الذى يجب أن ينحنى له كلهم.. كانت المسيرة إلى النادى تحتاج ربع دوران فصممت على السير ككل مرة وكأنها لا تحتاج إلى السير بقدرما تحتاج إلى أحضان الذكريات.. تلك التى أشعرتها بالسعادة ربما لأول مرة فى حياتها، فقد تخيلته وهو هابط من العمارة الشاهقة التى غُرست أمامهم.. تخيلته يسير بجانبها فى الصف الآخر يلاحظها بطرف عينيه وتحديق به بلحظ عينيها وربما أدمعت عندما تذكرت ذلك اليوم الذى تخاطب معها فيه.. كانت محادثة عابرة أشعرته خلالها أنها

ملكة جمال الكون الذى يجب أن يخضع لها كل رجل مهما كان، فى نفس الوقت الذى كانت تتمنى فيه أن تجثو طالبة كلمته التى لطالما حبساها عن بعضهما، فهو أيضاً ليس بالذى يخضع ويتمنى ويرجو وينتظر النتيجة.. ولا شعوريا ضغطت على تلك الزهرة التى كان قد أهداها إيها فى المحادثة الوحيدة كأنها تنتقم من نفسها.. كانت هذه الزهرة هى أحب الأشياء إلى قلبها فودت الانتقام من قلبها بسحق ما تعلق به من بقايا.. صاحبت الضغطة صرخة مكتومة وعبرة حارة تفرقت على خديها، معترضة على هذا الكبرياء المमित الذى أوحى لها هذه الفكرة التى أحرقتها وأحرقته.

فعندما اجتمعت مع رهط صديقاتها المقربات أقرت احداهن أنها رأته مع أخرى بمفرديهما عدة مرات، جئن جنونها.. كيف يفعل هذا؟!.. ولما تأكدت بنفسها هتفت أنه إذن آدم الخائن.. الذى يبيث النظرات المحترقة ثم يلوى إلى لا شىء.. ساعتها قرر كبريائها الجريح أن ينتقم وردت الصعفة.. كان يجيب أن تقنعه أنه لا شىء وأن المعجبين بجمالها أعظم منه.. منهم من يستطيعون شراءه وداره وكل شىء.. منهم من هو أجمل وأوسم منه.. سمحت لنفسها أن ينميها كبريائها هذا الحب الذى استقر بأعماقها بآخر.. بل كانت

تتعهد اصطحابه إلى النادي حتى ترى كبريائه الذى يحترق والذى يظهر رغباً عنه.. كانت الصدمة شديدة.. كيف تفعل كل هذا فى ملح البصر؟ هكذا أيضاً تساءل: إنها إذن حواء الخائنة.. هل تظن جمالها زلفى حتى تمتهنه؟

صرخ.. لا.. لا.. لتذهب إلى الجحيم.. يجب أن يمتنع عن هذه النظرات.. سيحرق حبه بكبرياء الرجولة وسيكتفى بذاته سداً يسجن صرخات فؤاده.. لن يلجأ إلى أخرى يرشف من ضحكات ماء رجولته.. بل صمم أن يرتاد النادي أكثر من ذى قبل حتى لا تلاحظ أنه حزين.. يجب أن يضحك ويبتسم حتى لا تدرك حزنه إن صمت.

أما هى فقد تساءلت بعد ابصارها مع عماد غرورها أين هى؟ رأت فى قوة.. إنه خائن لابد أنه يراها فى السر.. لم تكن تستطيع مواجهة نفسها أو احتمال مواجهة كبريائها إذا ما علمت أنه برئ.. كانت ساحته تخلو من اتهام تلو آخر ولكنها كانت تُصر على أنه خائن لأنه يجب أن يكون سبب تعاستها لا هى..

لم تدرك أن مجرد محاولاتها لاتهامه تعنى أنه لا يزال بأعماقها.. فى هذه الأوقات كانت قطرات كبريائها تتزايد.. احساسها بالجمال يرتفع منسوبة فقد أردكت أنها تحبه ويجب أن تعترف بهذا.. أخذت

المساحيق ترتفع على وجهها فتشعر أنها أكثر جمالاً لترتفع عن شعور الحب.. إنها أكبر من أن تحب هذا الشخص.. واجهت النهاية وأكدت أنها لن تستطيع أن تستمر مع هذا الثالث.. فافتراقا.. شعرت أن مثل هذه الخطوة عظيمة منها إلى الدرجة التي لن تفعل بعدها شيئاً آخر.. فإن خانها وظل حبه بأعماقها فهاهى تسامحه وتتخلى عن خطئها كأنها تدعوه إليها مرة أخرى، حدث ما لم يكن في حسابها، فقد قابل رهط صديقاتها تلك الفاتنة التي وجدنها معه عدة مرات وقالت احداهن: لقد كانت أخت غير شقيقة له.. لم تستطع منذ هذه اللحظة الدفاع عن كبريائها وجمالها.. بل أخذت تنتقم من هذا الجمال فأهملت المساحيق ورضيت بعبادى الرداء.. ولأول مرة تجلس إلى مقربة منه.. تساءلت في مرارة: إننى أحبه.. لقد ظلمته.. ماذا أستطيع أن فعل؟ إن كبريائها سيمنعها من الذهاب إليه خاضعة ترجو الغفران والحب!؟

لاحظت أن نظرته قد تبدلت بأخرى بلا أمواج.. لاحظ هو ذلك الأمر وتعجب.. ماذا تريد؟ أليست هى البادئة؟ هل تحسبني الفرصة الثانية؟ لا. سأتركها هكذا تحترق.. ما أن اقتحم احتمال حبها له نفسه الا وعاد جزء لا يُستهان به إلى قلبه منها.. عادت دائرته من جديد..

كبرياءه لن يرضى فهي التي أخطأت وهي التي تعدت.. إذن يجب أن تجئ تتلمس أولى خيوط رجولته وهي تكابر كعادتها وترفع رأسها تلملم نظرات المعجبين وتتمنى أن تلقى نظرتة معها ولكنها لا تجدها.. عندما تذكرت كل هذا.. كانت قد وصلت إلى مقعدها وسط رهط صديقاتها وقد أودعت زهرته بين دفتي كتاب.. جلسن على مقربة منه.. هو يحدق باللاشئ.. وهي تحديق بزهرته المتداعية.. عندما هوت دفة الكتاب على الزهرة تحطمت تماماً وهوت بقاياها لتجد يديها.. فعلت كما فعلت أول مرة. قربتها إلى وجهها في كثير من الرقة والكبرياء.. أول مرة وجدتها ذات عبير.. أما اللحظة فقد ترققت دمعة وصرخت من أعماقها قانطة.. الزهرة.. بلا عبير.

١٩٨٩/١٠/٢٣

(٣١) تصبرون

كان يوماً من أيان شهر يناير الشديدة البرودة والمطر ينهمر على قارعة الطريق وعندما أتت الريح كانت بعض القطرات ترتطم بتلك الألواح الزجاجية الملتحمة بالعصوات الخشبية التي نخرها الزمان فيحدث ذلك صوتاً رتيباً يبث القلق..

خلف تلك الألواح الزجاجية الملتحمة بالجدران ذات الطلاء الشاحب جلست تلك الفتاة على أريكة خشبية وقد ارتدت اسمالا باليه.. قد جلست وفي عينيها خشوع غريب وتساءل عجيب وفي ثواني أدارت عنقها الهزيلة بزاوية فقيرة فاصطدمت بجسم مطروح على أريكة أخرى لامس الحياة عن طريق تلك الأنفاس المتسابقة.. كظمت الفتاة عندئذ دمعتها فقد تذكرت تلك الجثة وهي تحملها صغيرة مدللة إياها وتلك اليد التي تثرى بالعروق الضخمة وهي تحملها ثم ترفع بها إلى أعلى فتتهوى إلى اليدين.. تذكرت الكثير والكثير

ولكن لم يعد لها أدنى فائدة من التذكر.. بعد لحظة تصاعدت تأوهات من الجسد المسجى فعرفت ما يجب أن تفعله، ذهبت إلى مقعد ذى أرجل ثلاث وقد ارتكن إلى جدار ليتمكن من أن يقيم أوده ومن عليه، أحضرت اكسير الحياة للجنة التى غابت عن الوعى الكثير، وبطريقة روتينية تناول الرجل الدواء ثم نظر إلى الفتاة نظرة الهارب من شىء ما وتمتم بكلمات ضعيفة (دعيني أملك عينى من عينيك قبل اللقيان) ثم غاب فى الغيبوبة التى كأنه أدمنها.

عندما استقام ظهرها فى وهن عصفت الريح بالألواح الزجاجية الموصدة فانفسخت وأزهقت تلك الريح ذاك الضوء الشاحب المنبعث من شمعة وحيدة قد ثبتت على أحد الرفرف.. وبسرعة، اتجهت الى ذلك الشباك النحيل وصارعت الريح حتى أغلقته وعندما اسندت جبهتها إلى يدها الضاغطة إلى الزجاج.. تراءى لها شبح ما.. وبعد برهة تحققت من الأمر.. فقد كانت تعرف صاحب الشبح الذى جاء متدثراً يقاوم ذاك الشتاء القاسى وقبل أن يلج إلى حجرته لمحها بطرف عينه فابتسم الابتسامة التى عهدتها منه، ثم ولج إلى الحجرة.. رغم الضوء الخافت جداً المنبعث من الزقاق الضيق الا أنها استطاعت أن تصل إلى الثقب وتشعل النار فى الشمعة من جديد.. إلا

أنها لم تكن تشعر بالرضى لهذا الضوء وكأنها تعلم أن ما حدث سوف يتحقق ولسوف تأتي ريح أخيرة تمزق الضوء وتقتل الأنفاس الباقية المدخرة في صرة ذلك الرجل المسجى على الأريكية.. كان تشعر أن ثمة قيلاً يعتصرها.. قيلاً لا يحد من حريتها فقط بل يضيق حتى يضيق صدرها ويختلج قلبها وتشتعل أنفاسها.. ها هي قد عاشت هذه العشرين خريفاً دون أن يكون لها الحق في أن تحاول حتى مجرد المحاولة أن تصارع هذا لقيد.. إن هذه العشرين خريفاً كانت كالمشقة التي ترهق روحها كل يوم فإذا ما جاء المساء تنبعث الروح في الجسد المخلخل وتظل عينها مسهدتين طوال الليل.. ها هو القيد يطالبها اليوم بأن تنقذ الجثة، لا يجب أن تتردد، يجب أن تنفذ من إرادة المشقة وكفى كل هذا العذاب.. نعم ستكون فتاة أخرى ولكن لم يعد ثمة أمل.. استوقفتها شقيقتها إلا أنها أصرت وهددتها بالبرد إلا أنها تحدث وخرجت من الباب فأحدث صريه المعتاد.. كان كل ما عليها أن تحبو وأن تقدر على سير هذه الخطوات العشر.. بدأت قدمها تخطو أولى الخطوات وانغرست قدمها في ذاك الطين ولكن رغم أنها حدقت في هذا المشهد وقد ارتكزت قدمها في الطين إلا أن كل هذا لم يجعلها تفقد ذاكرة ما خلفته خلفها.

خطت الخطوة الثانية وقد انهمر المطر بشدة وأتت الريح
بقسوة فانزاح الشال المهترئ من فوق رأسها وتبلل وجهها الرقيق
بالدموع وتهدلت جداول شعرها الذهبي.. كم كانت قاسية عليها
الخطوة الثالثة كان ينبغي عليها أن تقتلع قدمها مما كانت فيه ولما
لم تستطع أدارت بصرها إلى الخلف فإذا بقدمها تنخلع من موضعها.
مرت في عرف القدر ربع الساعة وفي ذلك الحين كانت الشقيقة
تفتح الباب الخشبي الموصل اثر ضربات متلاحقة شديدة.. عندما
انهدم الحاجز رأّت الشقيقة الفتاة في حالة لم تكن قد رأتها فيها من
قبل.. لم يكن ذلك الشعر المهندم بهذه الشعثة ولا هذه الملامح
الهادئة بهذه الشراسة ولا العينين في تلك الحمرة، إلا أن الشقيقة
قالت في صوت متشح بالحزن رغم نبرته السعيدة: لقد باع العم
القيراطين وأنقذني المبلغ ثم ذهب، لقد حدث المراد فارتفع وجه
الفتاة يبتهل والدموع تكسوه وقالت:
لقد نجونا.. الجثة وأنا.. لم أكن لأنادم موطئ قدمي..

(٣٢)

من أجل قصيدة

كانا يسيران بطريق طويل.. ونأيا عن الكون بجزء صغير منه
تاركين بقية الأجزاء للناس ولكن هذا لم يكن يفصلهم عن الخضم
فقد كانوا يصطدمون مرة وأخرى بأموج البشر القادمين والذي يميز
وجوههم ملامحهم العابثة ونظراتهم المتنافرة.. وإشاراتهم المتصارعة
وأصواتهم المتناحرة وهذا البُعد عن الخضم لأن نهر الطريق كان
لعربات تنفث أصوات تدد كل سكينة وتبث الهواء في رواكد الجمر..
اكتفينا بنظرة واحدة لكي يفهما ما يعانیه الآخر.. وبعد برهة قال:
انهم جميعاً متشابهين.. أتوا من الجحور والوكور ثم سيرجعون إلى
سيرتهم الليلية.. انها دائرة وقد تهت بها، فشدت على يده ولامست
أناملها الحلقة الذهبية المعلقة في نصره الأيمن وقالت: ولكن هذا
كله لأنك شاعر.. أنت وحيد من بين قليل يستطيع أن يشعر أكثر
من الأفراد العاديين.. ان موهبتك كان لابد لها من ثمن وهذا الثمن

هو أيضاً الذى يجعلك تبعد.. أنت حزين لهذا أنت تكتب، وضحك
ضحكة ساخرة وقال: ولكن مركزى بالدنيا ليس شاعر فقط.. اننى
أحب وأريد أن أتزوج.. لن أستطيع أن ابني من أبيات الشعر منزلاً
يأوينا لن أستطيع أن أملك بالمعاني ما يجعلنى أملك اكسير الحياة..
المال.. هل نسيت أننى فى بداية الطريق.. أريد وأريد سنوات عمرى
تفلت من بين أناملى.. أيامى تُفطر من بين جفونى.. ماذا أفعل؟

وصمتت لأنها لم تكن تملك الحل.. ثم اطلق زفرة أسى واستطرد:
يقولون أن أملى الوحيد هوالمسابقة الكبرى فى الشعر ولكن الجميع
الآن شعراء.. هذا شىء غريب.. إذا كان هناك هذا العدد الكبير من
الشعراء فمن هم القراء؟

كل حنايا الصدور تناولتها الأقلام.. لم يبق شىء آخر أستطيع أن
أغمس فيه قلبى لأخرج بالقصيدة التى تستطيع الفوز.. أنهم يقولون
لا فن بلا حزين.. ولكن حزنى هذا اعتمادى.

هل سأنقب فى الأرض عن مأساة أعيش فيها.. أن الحياة مأساة..
لم تتحدث وقد كان هذا وازع لديه ليتحدث أكثر فإنه يريد أن يشكو
بته إلى أحد ما.. وقد اعتادت هى على كلماته واصطبغت ملامحها
بأطياف أبياته..

إفترقا..

كان الليل هذه المرة طويلاً أكثر من المعتاد فقد اعتادا أن يجافى اليوم عيونهما.. في هذه الليلة وضعت يدها على الكورة.. أخذت تتحدث في ظلمات الليل.. إنه يريد مأساة تهزه حتى يكتب.. يجب أن يتعذب حتى يُشعر.. ان ثمن بناء حياته يجب أن يكون فادحاً.. نعم لن يلبث أن ينساني.. ولكنى لن أنساه..

في اليوم التالي أمسكت بطرف الحديد.. إنك تعلم أن الحب بيننا دام أربعة أعوام.. وإني لأعتقد أن هذه المدة كافية لتكون عنوان لقصيدة حياتنا.. إن الفشل هو المصير الوحيد.. هل تعتقد أنني سأنتظرك سنوات أربع جديدة حتى يأتيك الإلهام وتكتب القصيدة المزعومة حتى تنال الفوز.. إنك واهم.. أنت لا شيء.. أنت تافه.. بل أنت لا تستحق كلمة شاعر.. كان هذا كفيلاً لكي يبدد كثير منها في نفسه لقد لعبت على وتر حساس، وتر الرجولة.. حتى الصفعة التي صفعها إياها لم تكن لتحس بها فقد علمت أن قوة الصفعة تدل على قوة جرحه.

حتى الحديد الذي دار بينهما.. لم تعد تشعر به فقد غشت عينيها الدموع والتي لم تكن دموع آلام بل دموع حب تهدره بيدها..

ذكرها بدوره بأحلام السنين ولكنها تنكرت.. تكظم طوفان شعورها.. لكل شيء.. ذكرها بالهمسة والنسمة والبسمة.. ولكنها سفحت أمامه حتى الذكرى..

ومر شهر كامل على ما حدث.. وما أسوأه شهر.. بكت فيه كل دموعها ثلاثين مرة.. كانت تود أن تذهب إليه لتقول له أن كل هذا كان إثارة لشيطان شعره ولكنها كانت تتراجع في اللحظة الأخيرة فهي لم تكن تعلم هل كتب أم لم يكتب..

ولن تنسى ما حيت هذه اللحظة العصبية التي لم تكن لتتوقعها فبرغم أنها لا تعتقد في الصدفة إلا أنها وجدته يسير على الجانب الآخر من الطريق.. فقد اعتادت أن تمر في دروب قد سلكتها من قبل معه وكأنها تعيش معه مرة أخرى.. فلما رأته شعرت أنها لن تستطيع أن تعيش ثانية أخرى بدونه.. وليذهب شيطان شعره الخامل إلى الجحيم وما أن كادت تخطو أولى خطواتها حتى ابتعلته المادة وعندما ظهر بعدها بقليل كان ذلك كافي ليقبر طوفانها المفاجئ ويعيد قوتها سيرتها الأولى..

وكانها كانت تنتظر هذا اليوم وهو حين إعلان جوائز المسابقة الكبرى ولم تصدق نفسها عندما علمت أنه صاحب الجائزة الأولى

وعنونوا الخبر بميلاد شاعر عظيم.. وقرأت قصيدة، كانت تتمناها في قوتها ولكن لم تكن تتمناها موجهةً إليها.. وعندما وصلت إلى بيت معين طرحت الجريدة أرضاً وراحت تبكي. وكان البيت يقول:

أقسم لأسفحن حبك وأشئقن قلبي بالماضي
وبعد أربعة أيام تماماً وصل إليها منه خطاب قال فيه:
أنا شيء.. أنا شاعر..

لقد حطمت معبد حبك الدنيء واني لأهديك بهذا الحين يانخاسة
الحب هذا القول:

وسأحب يوماً أتى وساعتها أنت تتلاشي
و.. أنا شاعر..

أما هي قبلت كلماته الأخيرة ثم دفنت وجهها بين كفيها وراحت
دموعها تتسرب عبر أناملها في غزارة.

(٣٣)

«حديث الغسق»

كانت نهايات شعاعات النهار في طريقها إلى القبور والحُمرّة الشاحبة قد بدأت تتلاشى تماماً فانقض الغسق وأعدم النور فسادت الظلمة.. وهو.. جلس على سريره الذى عاش معه طوال عمره وقد أسند ظهره إلى وجه السرير.. كان الظلام دامساً لم يكن يريد النور فقد كان يريد النوم ولكن النوم أبى أن يُسبى الا بعد جهاد فلم يجد بد من أن يرسل إناء نفسه في أعماق ذكراته.. فتذكر..

أطلق زفير سعيد وأخذ يتحدث:

هذه هى الليلة الأخيرة لأنام وحدى على هذا السرير.. فى الغد سيكون لى سرير آخر مع.. مع من أحببت.. كم هى جميلة.. لقد كافحت من أجلها طويلاً.. ثم يضحك ضحكة الانتصار ويقول: كان يظن أنه يستطيع أن يستميلها من بين يدي.. لابد أنه أبلّة.. انه لم يعلم بعد من أنا؟

هل كان يعنى تفوقه الدراسى أنه سيكون أفضل منى؟ أننى منذ أن علمت هذا حتى أخذت أستنشق هذه الكتب التى لم أكن أطيق مجرد رائحتها من قبل.. ولقد تفوقت عليه.. نعم.. هو أيضاً كان يعتقد أن مال أبيه كان يستطيع أن يقيدنى؟ بالتأكيد هو لم يكن يعلم ثروتنا.. لقد عبّدتُ الطريق إلى نفسى إليها ببريق المال.. كنت أعلم أنها امرأة.. والمرأة لا تقاد إلا بهذا الساحر.. ارتديت أفخر الثياب وركبت أفخر العربات.. أنفقت بكل بذخ.. لقد أعلمتهم جميعاً أن كل شيء صار ملك أناملى.. وحتى عندما أخذت أشق طريقي إليها بعد نظراتها المنبهرة بهذا البريق العجيب أخذت تتعمق ببحور الأثنى وتُقوى الدلال حتى أروض.. ولكنى أيضاً كنت أعلم أنها لن تستطيع أن تقاوم فلجأت إلى الحيلة المعهودة.. إنها المرأة أيضاً.. عذبتها بابتسامات الآخريات وكويتها بدعابات من أجمل منها كنت أتوق أن أرى هذا الشرود فى عينيها وعلامات الحنق منى ومنهن تسرى فى شرايينها.

لقد علمت كيف أجعلها كالخاتم فى اصبعى.. وحتى عندما قلت لها أحبك كانت كالغير مصدقة.. إن أوتار الحب دائماً تعزف ألحان الشك والغيرة.. ولكن ليس لدى سوى هذا الأمر وهذا الوتر خاصة..

إنه غرور حواء.. تكبرها وتمنعها.. شدتها وقوتها.. كان يجب أن أكسر غرورها فتنقاد إلى ما أريد.

الآن دان لي كل شيء.. الحب والتفوق والمال.. هي جميلة.. ولكن لا أخفى أيضاً أنني أحبها ولولاها ما فعلت كل هذا، ما كنت لأتحمس للدراسة أو أحب المال هذا الحب الجرم أو أتعلق بالدنيا من أجلها كل هذا التعلق.. أتصورها ملكة لهذا فقد سخرت المال في تشيد أعظم شيء ممكن أنه ليس قصر ولكن ما فعلته بالنسبة لي قصر.

فمكان عرسي لابد أن يكون قصراً ولا بد أن يكون ملائماً لها.. كنت أود أن أكسو الجدران ذهباً لو هي أمرت.. أه.. هي تعلم كم أحبها، ولكن ما بالي أقول كل هذا اليوم.. إن الغد هو يوم زفافي.. لقد أعددت كل شيء.. كل شيء وحسبت كل شيء.. نعم لم أنس شيئاً.. انني في غاية الاجهاد.. الآن إلى النوم والغد سيكون أجمل يوم.

أرخصي جفناه وراح في سبات عميق..

وفي الصباح لم يستطعوا أن يوقظوه فقد وجدوه.. ميتاً..

(٣٤)

فجران

في طريقها إليه تذكرت أولى لقاءتها بزوجها.. كان ذلك قبل عامين مضيا.. ورغم أن ذاكرتها ضعيفة إلا أن تلك الأحداث لن تكن لتمحى من ذكرياتها أبداً..

رأته وهو وحيد والديه أثناء نزهة وكأنهما كانا على موعد.. فإذا بها تجئ في اليوم التالي لتجده في مكان الأمس وكأنه يستعيد الذكريات.. هي وهو ما كانا يحلمان بأن يتحابا بهذه السرعة ولكن حدث ما تمنياه.. لم تمر سوى شهور قليلة حتى وكانا مستقرين في بيت واحد وتحت سقف واحد.

مرت ليلتها الأولى كضيف جميل لم تكن تحلم به ومرت الشهور ولكن بدأت علامات القلق تنتاب الجميع فالعيون اتجهت إلى رحمها ولكن الرحم لا يزال بلا أمر.. ارتادا كل العيادات لمشهورين وغير مشهورين من الأطباء واجتمعت كل الأسباب عليها فقد كان عندها

نوع من العقم يستحيل معه الانجاب بأى صورة من الصور.
عاشا معاً وقد شعرا بأن ثمة شيئاً ناقعاً فيهما.. كل كلمات الحب
قد استهلكت ولم يعد المجتمع يلاحقهما بجديد من الكلمات.. أخذوا
يجلسان مدد طويلة دون كلمة واحدة ولكن نظرات فقط متبادلة..
كانت تعرف أن من حقه أن يفعلها.. وهو يعلم أن حبها ليس بالشىء
اليسير الذى يهدر، وكأن ثمة أمل قد بزغ فقد زار مكانهما أعظم
أطباء الكون فى علاج العقم واتجهت إليه مرة أو مرتين أثنائها أدت
كل الفحوص اللازمة.. هى الآن تتجه إليه.. تصعد خطوات السلم
الثمانية والأربعين وكأن كل درجة كانت خطوة أمل ويقين يائس،
ووقفت وفى يديها ورقة قد كتب عليها شىء ما.. ولكنها لن تكن
لتستطيع القراءة فقد كانت تتوق إلى كلمات تسمعها، وقف أمامها
رجلان وكلها تتجه إلى تغييرهما الأ ول يتحدث والآخر يترجم وهى
تترقب كلمات الأول وتتهلف لكلمات الآخر وفى النهاية قالا: لا أمل..
لا أمل مطلقاً. كم كانت قاسية تلك الكلمات فقد كانت تعنى أن
الأنثى التى بداخلها قد فقدت قلبها، هبطت الدرجات مرة أخرى
ومع هذا الهبوط انعدم الأمل حتى وصلت إلى سطح المكان، هطلت
دموعها المتلألأة ومسحتها.. فعلتها العديد من المرات.. وصلت إلى

مقرها الجميل وعشها الذى بنته بنفسها مع شقها فى أيام سعيدة.. قبل أن تلج إلى العش الجميل وقفت وقفة المتردد القلق الذى يعلم مسبقاً ماذا سيحدث له.. لم تجد من تلجأ إليه فهبت نفسها بحملة شرسة على القدر لإلأنها استفاقت فى الوقت المناسب ورفعت رأسها إلى السماء ومسحت دموعها بيد صابرة.. تحدثت معه وكم كانت الصدمة.. عندما وجدت أن عينيه لم يعد بهما ومض الماضى.. قال لها كلمة صعبة.. قال لها إنه سيتزوج.

منذ هذه الليلة أصبح حبها مجرد رجل تشعر تجاهه أنه يؤدى مهمة روتينية وهى بقائه بجانبها.. بالفعل تزوج وكانت تعلم الموعد والعروس، كما كان عجيباً ما حدث بعد ذلك.. إذ لم تمر سوى تسعة أشهر وقد أنجبت صاحبتنا طفلاً رائع الجمال، أما الزوجة الجديدة فلم يكن مانع واحد يمنع انجابها لطفل ولكن لم يحمل الرحم. عاد إليها وساعتها لم تبخل بشيء، فقد علمت أن هناك من لا يبخل عليها ولم يرد نظرتها بدون قضاء حاجتها.

الحجرة ضيقة.. كالزنزانة المغلقة.. ولم تكن بوابتها سوى سد من أجساد الأطفال.. سريران أحدهما عن شمال والآخر عن يمين ولا أحد يستطيع أن يحدد عليهما مكان مخصص حتى هما.. الأب والأم.. قد

يفضلان اقتراش الغبراء في بعض الأحوال.

في ليلة من ليالى الشتاء. كان الأب والأم يجتمعان عند أرجل إحدى السريرين وقد اعتلاه طفلهما السادس وقد أخذا يرقبان ومن حولهما الأبناء صدر الصغير.. كل ما كانوا يرجونه هو أن يظل يعلو ويهبط حتى يشرق الفجر.. هكذا كان الطبيب يقول ثم أكمل ان هذا معناه أن النجاة قد كتبت له.. مع أذان الفجر.. كان الجميع يتنفس الصعداء أما الأبوان فقد تواجهها وحدقا كل بالآخر ودار الحديث الذى يسبق كل حمل ولكن بهذه المرة كانا مصممين على بتر الرحم.. فلم يكننا يريدان أن يُزيّدا العدد آخرًا.

الرجل لم يكن يستطيع شىء فاتجه إلى امرأته ودعاها إلى إحدى النساء العارفات بهذه الأشياء فالمال لم يكن يكفى أجرة مواصلات إلى طبيب.. اقترحت إحدى العارفات بهذه الأحوال اتخاذ أسلوب ردى إلا أن نتيجته مضمونة تماماً وهكذا ارضخت المرأة.. ورضيا وأخذا يعيشان بلا أرق من المستقبل.

لم تمر سوى شهور قليلة حتى كانت خصال الحمل والتي اعددتها المرأة حتى عرفتها من أول وهلة.. جن جنوب الرجل.. كيف يحدث؟ وكيف تخيب هذه الوسيلة التي لم تخب قط؟

اتجه إلى المرأة العارفة وانتقم منها بأن أخذ منها شطر ما أمدها به ولكن المرأة لم تياس فإذا بها في اليوم التالي تتجه إلى الأم وتتلوا عليها أساليب أخرى.

تساءلت الأم: هل من مفر جديد؟

فردت العارفة الواثقة: بالطبع هذه أشياء مضمونة.. كم كان عجبياً، الجيران عندما سمحوا أصوات غريبة كأنها ارتطام شيء بشيء.. ود البعض أن يحطم الجدران ويعرف ماذا يدور بالداخل ولكنه لم يستطع أحد.. بعد ساعة لاحظ الجميع قدوم طبيب فاندesh الجميع فقد كانت هذه هي المرة الرابعة فقط التي يلج فيها طبيب دار من الديار.. وقف الرجل أمام الطبيب والمرأة مسجاة أمامه مغمضة العينين. تحدث الطبيب كل هذا مستحيل لقد كان شيئاً فظيماً ولكن العجيب رغم هذا النزيف أن الجنين مازال يتعلق بالرحم.. بعد شهور قليلة جاء الوليد.. جاء وفي وجهه الخير والبشاشة.. عيناه الزرقاوان الوحيدتان في الأسرة كانت تلمع بسر غريب وجبهته ذات لخطوط القليلة كانت تبث الراحة للناظرين.. ضحكته تملأ الجميع بالهبة والسرور.. وبكاهه كان يبكي له الجميع.

أخذ الجميع يتعلقون به فالأب يجئ كل ليلة على أطراف

الأصابع ثم ينظر إلى الوليد وهو مستلقى على رداء ناصع وتحتة قطعة من القماش الأبيض.. ثم يزيح كل هذا ويطبّع على وجنته قبلة رائعة كانت تريحه من كل آلام اليوم.. ولكن الشيء الوحيد الذى كان ينغص على الأب حياته هو الأم فقد صحب الولادة بعض المتاعب وللمرة الثانية ولج الطبيب وقرر عملية للتخلص من بقايا الجنين الذى كان. لم يكن الأب يتحمل النفقات فاتجه إلى المستشفى ووجد صغار الأطباء فى ذلك الفرصة ولكن كان نتيجة ذلك هو عملية أهدمت جزء من الرحم معها، وكان هذا أمراً بالأ حمل بعد ذلك الوليد.. لم يكن الأب أو الأم ليعرفا هل يفرحان أم يحزنان؟

لقد قضى القدر بالأ حمل بعد ذلك وكان فى هذا رغبتهما فتركا كل شيء يمر كعادته فإذا ما جاء الحمل كان الإجهاض من تلقاء نفسه.. مرت شهور خمسة عشر حتى جاءت هذه الليلة.. كان الابن يحبو وهو يملأ الحجرة بصوته المرح والجميع يترقبه بشغف ولكن لم تمر الساعة حتى كان الابن طريح الفراش لماذا؟ لا أحد يعلم..

لم يجد الرجل سوى الطبيب حلاً.. فقد كان الابن الذى لم يرده نور عينه وقمة سعادته.. ما أن أحضر الطبيب حتى فحص الابن ولكن لم يكن شيء ليُتحمل بعد كلماته فقد غطى وجهه وقال: البقية

في حياتكم.. ثم انصرف..

ضرب الرجل كفاً بكف متعجباً.. لا يكاد يصدق هل مات الابن؟

هل مات حبه الوحيد وجنيهه الجميل؟

ماذا يفعل؟

من خلف البكاء رأى زوجته تبكى وتقول في صوت مختنق: لم

نكن نريدك بل أنت الآن الذى لا نريدنا.. ساعتها فهم الرجل كل شيء

وندم ولكن لم يعد هناك فرصة للندم.

(٣٥) (دمعتان)

الحارة الصغيرة تجعل كل أهلها بيت واحد وهذه الحارة الصغيرة مثال.. فقد كان يذهب عنها حامداً الله ويأتي إليها عازفاً وكل ما كان يعفعله بها أنه يلج إلى بيته وفي بعض الأحيان يتحدث إلى أمه بشأن من في هذه الحارة.. كان يتألم في بعض الأحيان ولكن لم يكن ليستطيع فعل شيء.. فهو فقد اعتاد بالفعل سماع الهموم من أهل هذه الحارة كما أنه قد اكتفى منها بسماع أخبارها.. في يوم من الأيام كان يجلس في صحن الدار.. دق الباب فتحه وولجت إلى الدار امرأة شابة قد مر على زواجها شهرين فقط.. سألته عن أمه فأدخها إليها وجلس كعادته يسمع المذيع ولكن الكلمات وصلته.. كانت هذه المرأة جميلة.. قد رآها من قبل ولكن لم يكن يعلم إلى أي بيت تنتمي، ود لو أن يعرف ولكن لم تتلح له الظروف ذلك، أدرك من كلماتها مع أنها ليست المرة الأولى التي تسعى فيها إليها.. وانما مرات عديدة.. لاحظ منذ ولوجها

أن حُمرَة عينيها شديدة فرجح أن تكون حزينَة لشيء ما ولم يبرر هذا الحزن سوى كلماته التي وصلت إليه رغم المذيع.. عرف من خلالها أن الزوجة الجميلة الشابة تُضرب كل يوم من زوجها الغنى.. وتعجب الرجل كيف يحدث هذا لهذه الجميلة التي كان يتخيلها أميرة وهي تطل في بعض الأحيان من النافذة؟

ود في هذه اللحظة أن يصفع هذا الرجل الجبان الذي يضرب هذه الرائعة.. لم يقتصر الأمر على سماع الكلمات بل صوت دموعها.. وكم أحب أن يرى كيف تبكى هذه الجميلة.. بالفعل قام وألتقص بالحائط ونظر بطرف عينيه فوجد دموع وجهها.. في قرارة نفسه أراد أن ينتقم لها من زوجها خاصة بعد أن سمع الكثير وهو لا يزال في موضعه.. عن طريقته في معاملتها.. فلم يكن يتصور أبداً أن يعطيها هذا الرجل الثرى هذا المبلغ الزهيد ليغطي نفقاتها الشخصية.. فتصبر ولا تشكو إلا لأمه.. انصرفت المرأة وقد ودعها بلا كلمة إلا نظرة عطف شديدة.. اتجه إلى أمه وعلم بعض المعلومات.. فقد أفادته بأنها الوحيد التي تزوجت- وهي المتعلمة- أحد رجال أسرة رجالها ونساءها جاهلين.. وهكذا فهي لا تعاني مطلقاً منه فقط بل تعاني من كل الأسرة.. هذه تغضب في وجهها.. وهذه تقذف بالملابس

في وجهها وهذه تردد كلمات لم تتفوه بها.
(إذن فقد وقعت قريسة هذه الأسرة) هكذا قال صاحبنا، وردت
الأم (تماماً)، وبعد أن سمع هذه الكلمات غلى الدم في عروقه فقرر
أن يتصرف وأن يجعل هؤلاء الناقصين يعتبرون ويحسنون علاقتهم
بها.. احتار في الأمر.. فسهر لهذا ليالي ليست قصيرة حتى إنه ذات
مرة عندما سمع صوت استغاثتها لضربها كان يود أن يقتحم الدار
ويصرع الظلم.. ولكنه لم يستطع- في ليلة من الليالي قرر أن يتدخل
بحق فأمهل الظلم حتى الصباح وساعتها سيذهب إلى الرجل ويعنفه
ويعطيه درساً في معاملة النساء، لم تمر ساعة حتى سمع طرقةً عنيفاً
على الباب، لم يكن سواها، لم تلتفت إليه فقد اتجهت هذه المرة إلى
الداخل حيث أمه مباشرة وأخذت في عبارات قليلة موجزة مؤثرة
تشرح لها كيف أن زوجها مريض جداً وهي تحتاج إلى أبيها الذي
يعرف طبيباً ممتازاً جارهم.. هي تريد التحدث لأبيها عبر الأسلاك.
لم يكن ثمة اعتراض فطلب صاحبنا الرقم لها وما أن أمسكت
السماعة حتى أخذت تتحدث وقد خنق الدمع صوتها فقالت:
بابا.. (.....) مريض يا بابا.. لا أعرف لهذا سبب.. أنا خائفة.. بابا..
لا أحد يهتم به.. أنا التي جلست بجانبه.. لقد اكتفوا بأن يأتي الصباح

إني سأجن..

(تمسح دموعها)

هل ستجئ فوراً؟

انتى منتظرة.. أرجوك تعال بسرعة.. ومكثت مع الأم لحظات قليلة فسألتها عن كل هذا البكاء، فردت إنه زوجي.. وما أن سمع هو هذه الكلمات حتى كاد أن يدمع فقد علم شيئاً لم يكن يعلمه في المرأة.. كم ضحك ساخراً عندما قارن بين الدمعتين.. دمعة الأنثى ودمعة المرأة..

(٣٦)

اعترافات اللحظة الأخيرة

كان المكان غريباً فهو لم يعتاد التردد على هذه الأماكن الشعرية ولكن كان لابد أن يختار الوسيلة السريعة لوضع قراره حيز التنفيذ! كان لابد له أن يتذكر وهو على شفا هذا المكان ما الذي جعله يتجه صوب هذا المجهول.. كأن هذه اللحظة كانت لحظة الرواية لحياته التي لم يعتنِ فيما قبل بسردها أمام نفسه.. فقد كان يعلمها علم اليقين إذن فلا داعي لهذا الحديث عن أشياء مريرة لطالما أراد أن ينساها.. هو يذكر أول ما يذكر تلك المرحلة التي كان يعيشها وهو لا يريد أن يعيشها.. كم من مرة نفر من شيء ولكن لا نستطيع أن نفر من موقفنا إزائه..

كانت الطفولة.. كان يمتاز بدقة جسمه بحيث جعلته هذه السمة من المميزين فقد كان سخيلاً شاحباً.. لم يكن لذلك قيمة إذا لم تترجم إلى صفة الضعف.. نعم فقد كان ضعيفاً.. ولكن لم يكن

بوسعه أن يفعل شيئاً.. فلم يكن أى شيء يستطيع أن يبثه القوة التى يريدھا.. كأن هذه القوة التى نأت عنه أصبحت سمة قرنائھ.. كان دائماً یندس بین أصدقائه الصغار بالحارة الصغيرة ولكن لم يكن لیصیب من اندساسة معهم شيئاً.. كانت الفتيات الصغار تتطلعن من المنافذات لأوقات قليلة ولكن ارتبط هذا البزوغ بإهانة صاحبنا لأن من يفوقه قوة كان يهينه بقصد لفت الانتباه.. لم يكن لیدراً عن نفسه تلك الضربات المهينة التى أخذ يتلاقها على قفاه وعلى وجهه ورغم ذلك فلم يكن يستطيع أن یرج بصوته الى الخارج حاد النبرة لأن فى هذا زيادة التنكيل به.. عندما كان ینفر فى بعض الأحيان كانت قدماه تعدو به إلى مكان ینأى به عن الجميع حتى لا يتعرض للضرب.. لم يكن لهذا الضرب أن يكون شيئاً إذا ما قورن بضحكات المستهزئين به المستخفين به، خاصة تلك الفتاة التى تصغره بعام والتى كان يشعر بأنه ثمة خیطاً غير مرئى یربطه بها.

كان الزمان يعدو وكلما مر يوم كلما إزداد الجرح ومزقته الإهانات.. كان علیه أن يضع جداً لكل هذا فقرر أن یقنع الجميع بأنه أفضل منهم جميعاً لا بقوة ساعديه بل بقوة عقله لهذا صمم أن يفوقهم دراسياً ويقاطع تلك الحارة القذرة التى تتلذذ ببيكائه كلما

أهانه أحد أبنائها.. وبالفعل، أخذ يستذكر بكل ما أوتى من قوة في ذاك
الذهن المرتكز في الجمجمة التي تعلو هذا الجسد الهزيل، لم تكن
السنوات التي تمر إلا درجات يحدد بها مدى تفوقه على أولئك الذين
كانوا يسخرون منه. لن ينسى يوماً قد مر وكأنه لن شمساً.

كان يوم إعلان نتيجة إحدى الأعوام الهامة بالحياة الدراسية وكان
يومها صاحب المركز الأول في تلك الحارة التي عاش بها بين أكنافها
في ذلك اليوم سمعت كل حجرة ضحكاته ورأى كل حجر ابتساماته
وتلاقت عينيه بعينيها وهي تنتظر إليه في حيرة. منذ ذلك اليوم فقد
استطاع صاحبنا أن يضع له القلب الذي يريده وأن يعتنق تلك العلياء
التي أرادها رغماً عن كل معترض.. الفتى لم يكن يدرك أن هناك من
القلوب ما تملك سواد الليل في ليالي تكتنف السماء السحب ويختفى
القمر فقد كان ثمن تلك القمة هو كراهيته ممن اعتبروه دميته. في
يوم من الأيام، لاحظ هو ذلك في أعينهم ولكم لم يكن ليزيده هذا
إلا سعادة على سعادته، في يوم قرر أن يفتح تلك الفتاة التي اختار
قلبه.. قابلها على ذلك السلم الذي عادة ما يجمع الذاهبين والآيبين
ولكنها لم ترد بل ساد وجهها حمرة الخجل عندما قال لها كلمة الود..
لاحظ الأصدقاء أن ثمة علاقة تدب بين ذاك الذي كان تحت أيديهم

يشبعوه ضرباً كلما أروادا جذب نظر هذه الفتاة التي تمسك بطرف خيط العلاقة.. عندئذن قرروا أن يرجعوه كما كان أو على الأقل أن يشرخوا ويمزقوا تلك القمة التي صنعها على أنقاض جهودهم.. تحرشوا به وفي النهاية اجتمع عليه البعض وأشبعوه ضرباً ورغم الجهود التي بذلت للحد من هذا سواء كان من أهله أو من أهل العدل إلا أنه قد بات من الواضح أنه قد فقد كرامته إلى حد كبير.

في اليوم التالي كان كل شيء قد انتحر بين صاحبنا والفتاة التي لم يعجبها تفوقه واصراره لأنه لم يستطع أن يصرع أولئك الشباب.. أخذت فكرة السيادة تسيطر عليه ولعل هذه المعركة الخاسرة كانت نتيجتها نهاية حب ضعيف بل كانت إعاقته عن دخول امتحان عام دراسي فقد تزامن هذا مع بداية امتحانات دراسية وهكذا بدأت نقطة الانطلاق!

كان يشعر أنه فقد شيئاً غالياً ثميناً.. لم يكن تلك الفتاة التي صفعها ذات مرة بعد ذلك في نفس المكان الذي صارحها بحبه فيه ولكن كان كرامته.. كان أمله الوحيد هو أن يثبت للجميع أنه يستطيع أن يقهر هؤلاء.. ووجد الفرصة تلوح في بعض أصحاب السوء ولكن كان عليه أن يصبغ بصبغتهم فلم يعد يشعر أن هذا العلم

الذي أخذه وسيلة ليرتقى به أغناه عن إهدار كرامته وإراقة كبريائه.. إذن فلا بد أن يمتلك السيادة وأن يكون عزيزاً في قوم يستطيعون أن يعطوه حقه المهذور منذ أعوام. في ليلة تحرشت جماعته بعض المعتدين وكانت النهاية هي التنكيل وتشويه هؤلاء المسمين أصدقاء الطفولة.. فقد كان شنيعاً في انتقامه وتنكيله بالجثث التي تبعثرت على قارعة الطريق وهكذا وفي غضون أسابيع أصبح يستطيع أن يسلم سوط تنكيله على من يريد منهم فقد كانت تلك البطانة كظله وتستطيع أن تفعل معه أي شيء فقد عرف كيف يستحوذ على أذهانهم بعلمه الذي لم يفلح به أن يتسيد الغوغاء وقد كلفته تلك السيادة التي أرادها دراسته لمدة ثلاث سنوات.. وفي ختامها كان أبيه جثة هامدة فلم يستطيع أن يرى فشل ابنه واندهاره.. كان هذا بمثابة المنبه الذي جعله يستفيق من غفلته وهكذا قرر أن يعود إلى عمله لم يكن من المستطاع أن يفعل. ورضخ الأب لمطلب ولده وتم رحيلهم عن المكان برمته وذهبوا بعيداً.. ربما في مدينة جديدة!!

كان يريد أن يقتلع جذور الماضي من أعماقه ولم يكن ليفعل إلا إذا ودّع الماضي وحرق ذكرياته التافهة الرديئة الحزينة.. بالفعل بعيداً عن ماضيه استطاع صاحبنا أن يعود من جديد إلى دراسته التي أهلته

الى الجامعة وتخرج منها وهو الأمل ذاته.. الدنيا ملك يديه سيعمل ويعمل ليحصل على المال ليتزوج تلك التي أحبته وأحبها ولم لا يحب من جديد؟!

هل توقفت القلوب عن النبض مرة واحدة؟! بالطبع لا.. إذن لا يمكن أن تكون التجربة الأولى القاسية والتافهة قاضية على ذاك القلب الشاب.. بالفعل بعد جهد جهيد استطاع أن يقتنص عملاً صغيراً بإحدى الأمكنة.. فوجئ بأن أحلامه مع هذا العمل ستتوقف إلى الأبد ولن تتطور لأن قوتها متخاذلة قليلة في غضون عدة أشهر كانت تلك التي أحبها بين أيادي رجل آخر استطاع أن يحصل عليها وفي لحظات وقع بصره على السيادة الجديدة.

قرر- كما قرر بالماضي- أن يكون سيداً لهؤلاء الذين عذبوه ويعذبوه، سيُعلم تلك التي نبذته لفقره أنه أقوى منها وأفضل منها وسيقتلها حسرة ويدمر زوجها الثرى الذي خطف منه من التقت مع قلبه في وئام، سيجعل هؤلاء الذين لا يريدون رؤية وجهه يتمنون رؤيته لأنه سيمن عليهم ولكن سيمن عليهم ليستعبدهم وهو يعلم، سيكونوا تحت امرأه أي فرد يحمل عنصر سيادته، إذن فلماذا لا يكون هو؟...

في السجن- وهو النهاية الحتمية للاختلاس!- التقى بأمه في زيارتها السابقة وقد قالت إن أبيه قد قضى نحبه ولم يعد لأسرتهم أحد.. ولكن جدران السجن لسيت كالورق إنها صخور صلدة تشج رأس ناطحها وتقطع عزم من بداخلها.. وبين تلك الجدران تعلم أن ثمة شيئاً يسمى الطريق المشروع ولكن من يستطيع أن يسلكه؟ لابد أن يكون سالكه رسولاً نبياً حتى يتحمل المشاق فالحشود لا يمكن لهم أن يتحولوا عن الشر إلى الصلاح إلا بمعجزة.. خرج من هذه الجدران وقد تغير حالة فبعد أن كان شديد النزوع إلى السيادة أصبح راضياً عن دوره في مسرحية التعساء فقد أدرك أن مثله الكثيرين وهو لن يحاول أن يدخل إلى هذه الجدران مرة أخرى.. ها هو يعقد العزم على أن يشق الطريق من جديد وأن يجعل أمه وأخوته في أمان وأن يتناسى ماضيه ولكن فاته مع هذا الأمل أن الحشود التي تبتلعه لا تنسى شيئاً.. سار بينهم وكأنهم يعلمون كل شيء عنه فقد كانت لعنة الجدران تطارده وانحسر الأمل..

كانت الشمس هي الأمل ولكن بعد الجدران ولعنتها. أخذ الغروب يتبوأ الصدارة كان يذهب مع الشروق أملاً أن يجد العمل وأن يستطيع أن يستر ذاك الفاه الكبير الذى يتبلع كل شيء معاش

أبيه ونقود البيع لمملكات الأسرة الهزيلة..

في يوم جاءه أحد العمال وهو صاحب ورشة ضخمة وذهل صاحبنا من كرمه وفي ساعات كان هذا الرجل هو تلك القشة التي تتعلق بها الأسرة وركع الابن شاكراً وسجد حامداً الله على رحمته التي جاءت بعد أن نفذ الصبر وسارت الأيام فقد بدأت بتبسم الحياة.. أخذ بعض المال يتدفق بين يديه والآخر لاسترداد بعض الممتلكات التي كانوا قد باعوها والتي لم تكن لهم سوى كل شيء بقى من الذين قضوا نحبهم وكأن هذه الأشياء ألسنة هؤلاء الذين كانوا معهم في يوم من الأيام وما أقصى الفراق الأبدي!

أخذ صاحبنا يسترد ثقته في الحياة وأخذت كلمات الشكر والحمد تلفظ من لسانه وأحب صاحبنا ذاك الرجل المعطاء الفضول.. وأخذا يترددان على منزلهما بلا حرج وكان ذاك الرجل بلا زواج وقد شعر أن أسرته هي أسرة صاحبنا.

من جديد أدرك الفتى أن ثمة حباً لا بد أن يقع والسؤال كان لمن نظرات هذه الفتاة التي تمرق بجانبه بالورشة ثم ينتهي بها الأمر إلى شارع ضيق ومنزل أضيّق.. وصارح صاحبنا الرجل بحبه لهذه الفتاة والتي لم يرها الرجل من قبل إلا نادراً.

في يوم ما قرر صاحبنا أن يتبع هذه الفتاة إلى منزلها وبالفعل بدأ السير خلفها وعندما ولجت نحو الشقة كان هو مازال بالباب الخارجي.. ولما أدرك الباب استوقفه رجل ومنعه من الدخول وأندهش صاحبنا وقال: ما المانع؟

ورد الرجل: ما عملك؟

فقال: أنا عامل في الورشة التي بالشارع..

وضحك الرجل فقال: إذن اصعد..

ولم يفهم صاحبنا شيء، عندما ولج من الباب إلى الشقة عرف كل شيء فقد كانت الشقة في ذلك المكان مناسبة حتى تكون بعيداً عن أعين بوليس الأداب.. هرولاً إلى الخارج وقد احتقر النساء ولمن يجد أحد يشكو إليه سوى صاحب العمل عندما طرق الباب وفتح كانت أخته الوسطى تتجه إلى صدره ودموعها على خديها وقد تمزق بعض من ثيابها.. بينما الرجل كالثور.. وبرزت العينان في محجريهما قالت الابنة وهي تحترق: لقد راودني عن نفسي حتى لا يقيلك من العمل ولا نجد الطعام. ترك أخته وقد اشتعلت دماها في عروقه بنيران شرفه وثقته المهذرة واتجه إلى الرجل الطيب!!! واعتصر حنجرتة فخر صريعاً.. لم تستطع الابنة تحمل المشهد ودوى صراخها يملأ الأرجاء

ولكن الابن ما لبث أن ولى أخته وسقطت مغشياً عليها.
هنا أدرك الابن أن كل أمله قد ضاع فقد فقد كل شيء فقد من
قبل سيادته وحبه وكرامته وحرите وها هي حياته مهددة.. ولكن
من سيستمع إلى مجرم مثله قد زار جدران السجن مرة أخرى!!!
إذن عليه أن يكون ذا سيادة ولو مرة واحدة في حياته.. لابد أن
يكون حراً في ذاته مرة واحدة في حياته.. وثار السؤال في رأسه: هل
سيظل هارباً إلى الأبد؟
لابد للدماغ أن تستطيع عندما تُعلق الرأس إلى حبل.. إذن فقد
عرف كيف سيكون حراً.. والآن.. اللحظة.. وضع يده على السور
الحديدي وقفز كالبهلوان فقط حراً في النيل!!!

الثلاثاء ١١،٣٠ مساءً

١٩٨٨/٨/٩

(٣٧)

(الطريق لا يزال طويلاً)

كانت السحائب تحجب القمر تماماً فلا يظهر بصيص ولو قليل
من نور يرشده أثناء السير.. أخذ يسير لا يعبأ بهذا الوحل الذي يغرق
قدميه والذي يتسلل عبر فتحات كبيرة قصمت نعله، كان لا يزال
يضىئ به على الفناء.

بعد برهة صدمت وجهه موجة باردة فراح يبث شقى حلته
المهترئة ببعضهما البعض وعندما حاول أن يُعمل فيها المزلاج سقط
بين يديه فبثه في جيبه الأيسر ولكنه لم يتنبه أنه وقع في الثقب الكبير
الذي نخر الجيب.. لم يجد بد من أى يبث يديه إلى جيبي سرواله
ففعل وقد أهمل كل شيء بعدها في لامبالاة فأخذت الريح تعبث
بحلته العجيبة وتعصف بأطراف شعره الرمادي الحريري فتكشف
عن صلعة كبيرة لم يهتم بأن يرها أحد حتى دموعه التي تسبرت عبر
جفنيه الصليبين اثر اصطدام عينيه بالريح الشديدة.. لم يهتم بها إذ

سرعان ما تبعثرت وشبعت شقوق وجهه الغائرة والعديدة.. كان من الممكن أن يدافع عن نفسه ولكنه لم يحاول وبعد برهة اكتفى بأن مسح على صلعته ليدرء عنها النظر.

فجأة شعر بظماً شديداً فاتجه إلى حانوت صغير بابيه ذو شق واحد فدخل إليه فشعر بحرارة الجو فقد كان المكان لكي الملابس وتمنى لو أن يظل بالمكان إلى أمد ولكن لم يستطع واتجه إلى (زير) قريب من بداية الحانوت وقذف بالكوب البلاستيكي إلى القاع وأخرجه حيث أفرغ محتواه في بطنه وساعها خفف بصره فاصطدم بالمرأة ومنها بنفسه ومرت لحظة عصبية لم يصدق أنه هو.. فقد حطم ولده السابع المرأة منذ ثلاث سنوات ومنذ ذلك الوقت لم ير نفسه في مرآة ولكنه كان يود ذلك كثيراً ولأول وهلة هاله ما رأى فقد لاحظ أن شعره قد اشتد بياضه بشكل كثير فالرجل المتخصص في تقليم شعره لا يرى مرآة ولا يرى أيضاً بقايا شعره.

أشار في وهن إلى هيئته وقال أهذه عيناي؟ انهما غاصتا بوجهي بشكل مربع.. لقد اختفى لونهما البني إلى لون فاقم أسود وتساءل:

هل يتغير لون العيون؟ ولاحق نفسه أهذه عظام وجهي؟

لم يجب هذه المرة فقد نهره صاحب الحانوت فتلوت ملامحه

وخرج حانقا عليه ولكن هذه اللحظة التي رأى نفسه فيها كانت كافية لتعلمه مدى ما اعتراه من تغيير.

تأسى لما حدث وود لو لم يمر ما رآه وكأن هذا الأسى قد أنهى طريقه الطويل المعتاد بسرعة، فوقف في مقدمة الحارة ينظر إلى كل شيء باحتقار شديد حتى نفسه، لم يهرب من هذا الاحتقار وما أن بدأ يظهر بداخلها حتى لاقته نظرات الرجال التي لم تضن عليه بالاحتقار هي الأخرى..

آثر على هذا الصمت وبالفعل وصل إلى نهاية الحارة حيث ملجأه الوحيد.. دفع الباب دفعة واحدة واهية فانفتح وولج أولى خطواته إلى صحن الحجرتين وما أن رآه الصغار حتى هربوا على الفور كالجرذان المذعورة متفادين السباب والشتائم التي كان يغمرهم جميعاً بها.. هذه المرة لم يفعل شيئاً بل لم ينبس بكلمة واحدة فقد جلس على المقعد الوحيد في الحجرة واسند ظهره إليه في استرخاء وراح يتملى كل ما حوله.. فقال: ماذا حدث لك؟ لقد ذهب كل شيء.. رجولتك ولت منذ زمن طويل فما أطول أيام اليأس.. ملامحك ضاعت بين رحى الأيام.. هذا كل ما تملك، ثمانية جثث يستوعبهن الحصر وسرير واحد لا يسع إلا لشخص واحد.. حجرتان ليس بهما إلا جدرانهما..

كنت تريد أن تكون ضابطاً أليس كذلك؟ إنك مسكين.. لم تمر لحظات الا وجاءت زوجته وقد ترك التعب آثاره على ملامحها فابتسمت ابتسامة شاحبة أقرب هي صرخة منها إلى ضحكه واتجهت إلى قدميه عاجتها من الحذاء المقضى عليه ووضعتهما بإناء به ماء ساخن.. كأن هذا البخار المتصاعد أزداد حرارة تذكرة فراح يستطرد.. كنت أيضاً تريد زبيدة أخت هذه الأرنبة ولكنها ماتت.. ماتت وخلفت إليّ من تحمل بعض من ملامحها.. إنها لا تعرف أى شيء من هذا ولكن يكفى أن تعرفه أنت لكي تحزن.. حتى الأبناء ضاعوا..

تذكر الأبناء فتساءل: هل جاءت زبيدة؟

وتلجلجت المرأة وتعثرت الحروف في حلقها وقالت: لا.. ثار ولكنه ما لبث أن هدأ وراح في هدوئه مرة أخرى واستطرد: ان الرجال يعتقدون أنها عاهرة ولكنهم لا يعرفون أنها ابنتى.. بالتأكيد لا يعرف أحد أنها ابنتى.. أنا السيد افندى نعم في قاع الوظائف الحكومية على الإطلاق ولكن الكل يحترمنى ورغم عملى الثانى والثالث إلا أن كل من يعمل معى يحترمنى.. كلهم يدركون أننى أعظم رجل يحسب فى هذه الأرض.. لا بد أن كل من تحدثوا معى بشأن زبيدة لم يدركوا أنها ابنتى.. يا لهم من أغبياء لقد قالوا إنها تخرج من منزل عادل.. ذلك

الجامعى المؤدب كل ليلة ولكنهم ليثبتوا جهلهم فهى تعمل خادمة فى منزل بعيد وأنا بنفسى أسأل عنها وعن سلوكها عندها يفصح ولدهم بأنها على خلق بل لقد أنقذنى ذات مرة خمس جنيهات كمكافأة لها على عملها اليومى..

ثم أنهم لا يعرفون أن زبيدة تشبه زبيدة التى أحببتها وأننى عندما قبلت زبيدة منذ عشرين عاماً كادت تقصى عليّ.. انهم جهلاء.. حتى الابنتين الأخرتين يعملن فى مصنع وأنا أثق فيهما كل الثقة.. انهم أبنائى.. وهن بناتى.. من المستحيل أن يقعن فى الخطأ مهما حدث، انتهت فى هذه اللحظة المرأة من غسيل الأقدام. مشى فجأة أحد الأبناء يطلب منه جنيهًا لأمر دراسى، فثار الأب فيه ولعنه وسبه ولكنه فى النهاية وضع يده فى جيبه وأخرج آخر قرش يملكه ووضع فى يد الطفل وطبع قبلة بائسة يائسة على جبينه ثم مسح دموعه، أما الباقون والباقيات فلم يستطع أن يجيب طلبهم.. فراحوا يجرون وراء الفائز بالثروة فى كل مكان، تحت السرير الوحيد والمقعد الوحيد وحول الرجل الوحيد، وولج الابن إلى مكان معتاد يعلوه رف.. ولكن الأبناء اكتشفوا مكانه فاتجهوا إليه ولم تمر ثوانى حتى انسكب ما فوق الموقد الذى يعلو الرف على وجه أحدهم.. ارتفع صراخه وتسارعت

أنفاسه.. فقفز الرجل من على المعقد واتجه إلى ولده ذى الوجه الملتهب.. أخذه بين يديه فارتفع الصراخ.. لم يعرف ماذا حدث أو ماذا يفعل.. لم تمر ثوانى حتى امتلأت الحجرة بالرجال وهاهى الثوانى تمر والرجل يحمل قطعة من اللحم المهترئ بين يديه ومن خلفه تهروب الأم الذاهلة الدامعة ومعهما الرجال يصكون كفاً بكف، أما بقية الأطفال فقد قبعوا يفتشرون الغبراء متلاحقين، وقال أحدهم: هُوَ أشرف هيموت؟

ها هم جميعاً يتمعنون والطبيب قد اختلى بجثة ولده يفحص بها ما يريد.. هوت الأم تسند ظهرها إلى الحائط تمسح دمعها بالوشاح الأسود ذى الرقع الذى يلف وجهها، أما هو فقد أحاطه بعض الرجال يخفون مما ألم به.

بعد ثلاث ساعات كان الرجل يرجع إلى الوكر الضيق تاركاً الأم مع الابن يعانى الآلام ومن حوله من يطمننها من الأطباء.. كان سيذهب ليُطمئن بناته الثلاثة أن كل شئ على ما يرام ويرجع مرة أخرى إلى الجثة التى لا تزال تحمل من النبض البقايا.. عندما ولج إلى الحجريتين رأى بقية الأبناء الأربعة قد تكوموا فى كومة واحدة متلاصقة وقد راحوا فى سبات عميق فوق الحصير، غطاهم بشئ ما لا يمت إلى

فراش السرير بصلة.. تعجب من هذا التأخير الذى حدث، إن بناته يجب أن يحضرن منذ الساعة بل الساعتين وتلاعب القلق به لفترة ولكن ما لبث أن سمع صوت طرقات رغم أن الباب مفتوح وبعد برهة سمع هذه الكلمات:

ان هناك من جاء من قسم الشرطة يريدك..

فرد فى لهفة: لماذا؟

فقال الصوت: لا أعرف.. ثم مشى الرجل سريعاً وعلى الفور اتجه الرجل إلى قسم الشرطة.. فقال الضابط: أنت الأستاذ سيد، فرد فى تلقائية.. نعم.. أنت أبوزبيدة وهنومة وعليه فرد: نعم وفى لمح البصر تحدث الضابط: يؤسفنى أن أقول لك ان بناتك الثلاثة عاهرات.. ولقد ضبطهن منذ أربع ساعات بأحد الشقات المعروفة للدعارة.. شىء واحد أريد أن أسألك إياه من أين تعلمن هذه الأساليب القذرة.. إن الآداب تخطط لهن عام. هوى الرجل على المقعد الخشبى الصلبى ودفهن وجهه بين يديه وهتف من أعماقه.. انهم ليسوا جهلاء بل أنا الجاهل.. أنا الأبله وانتفض فجأة وقال: يجب أن أراهن، نظر الضابط إليه نظرة تقدير وضغط زر الجرس فجاءه أحد الأفراد. لم يستطع أن يتبين أى شىء فقد كانت الدموع تغطى كل شىء أمامه وبعد عدة

كلمات أخذ العسكرى بيد الرجل إلى الزنانة.. كان الظلام يسود كل شيء ولكن الرجل كان يعلم كيف يسير إلى الزنانة فهذا هو عمله وعندما وقف أمامها بث المفتاح الغليظ في الثقب وأداره فأنفتح وولج الآخر إلى الزنانة.. وقف أخيراً أمام بناته ولكنه لم يرهن لقد كان الظلام دامساً.. ولكنه كان يشعر بأنفاسهن.. نعم كان يشعر بهن وبنبضة قلوبهن بل بهمسهن، كان الباب مفتوحاً قليلاً وسيد أفندى يقف في هذا البصيص من النور الذي ينبعث من الفجوة بين إطار الباب الحديدي والباب.

وقف يحرق في الظلام يتخيل بناته، وبعد برهة قال في صمت يخنقه الدمع: بعد سنوات عمرى كلها.. تكون بناتي عاهرات.. منبذات.. ساقطات.. بعد سنوات كفاحي أشعر الآن أن السجون مأواهن؟
زبيدة.. أين أنت؟

مرة فترة صمت ساعتها سمع صمت البكاء المكظوم حتى لا يسمعه أحد فقال: أتبكين يا زبيدة.. وأنت ياهنومة؟ وأنت يا عليّة؟
أتبكين؟

كنتن تستطعن أن ترحمننى وكذلك عرضى وشرفى.. لو أنكن أبيتن
الوحد.. هل الفاقة هى الدافع، لقد كنت أفعل كل ما فى وسعى،

أعمل ليل نهار.. كنت أعطيكن كل ما استطيع.. كنت استطيع..
وتوقف الرجل فجأة وتساءل في دهشة مستكراً.. زبيدة هل أنت
عاهرة حقاً؟

لقد ضاع كل شيء.. كل شيء ضاع.. إننى أخفى عليكن اننى أود
قتلكن.. ألا تتحدثن؟ ألا تتكلمن؟

لدافعن عن أنفسكن.. سأصدق كل شيء.. فقط تكلمن.. قلن
إننى كاذب وأن هذا الضابط لم يقبض عليكن وأنتن لا تتمتعن
بالدنس والخطيئة والانحطاط والوحل.. قلن لى أنكن بريئات.. قلن..
قلن.. ولكن صوتاً لم يصله فقال وهو يقاطع أنفاسه المتلاحقة.. إذن
لقد قتلتنى حقاً.. ان الخنجر المسموم لا يُطعن إلا من الحبيب.. أنتن
بناتى.. أنتن منى.. كيف تقتلننى؟

لقد صلبتننى على صليب أطلال الشرف وضربتننى بسوط
الدعارة.. ثم دفن وجهه بين كفيه وراح يبكى.. ساعتها شعر الرجل
بأن ثمة حركة تحدث فتحرك بحواسه إليها.. كانت زبيدة.. لم يستطع
أن يفعل شيئاً.. بل حتى لم ير ملامحها.. كان الظلام دامساً تماماً وهى
لا تزال فى الظلام فاقتربت منه.. مدت يدها وركعت على ركبتيها..

أمسكت قدمي أبيها.. أخذت تتحدث: (أبي.. لا تلومني.. لقد أغتصبت يا أبي.. إن ابن الأثرياء فعلها.. وبعدها أقنعني أنني لن أفعل شيئاً.. وسألني ماذا أريد؟ فقلت الزواج.. هل تعلم ماذا فعل يا أبي.. لقد ركلني.. ركلني يا أبي.. قال إنه يستطيع أن يفعل بي كل شيء وبك كل شيء.

كنت أراك تجئ تعلق بقايا روحك على كتفيك تفر الهدوء والسكينة وتتنفس البؤس والشقاء.. هل كنت تستطيع أن أقول لك انني مُغتصبة؟

إن قولي لك سيدمرك أنت.. أنا لا أدافع عن نفسي ولكن كل هذا جزء من الحقيقة.. كنت على وشك الانتحار ولكن عادل.. أنت تعلمه جيداً انقذني لم أكن أعلم أن يستثمر هذا الانقاذ لنفسه فقط أدرك أنني على وشك الانتحار فلما أفضت له بسرى راح ينقذني ثم يغتصبني مرة أخرى.. لم يبق شيء أعيش من أجله يا أبي.. انت الوحيد الذي جعلني استمر في الحياة.. كنت أريد أن أساعدك وكنت أريد الموت.. وسقوطي لم يكن يعنى إلا الموت.. فضحك الرجل ضحكة الموت وقال: أنت تصنعين خط دفاعك من خيوط العنكبوت ولكن

الذي لا تعلميه أننى لست ذبابة.. أننى أود أن أقتلك وهما أيضاً،
القابعتان خلفك كالكلبتين ولكن ماذا يفيد قتلى لكن؟
لقد قتلتنى.. ثم جر قدميه خارجاً من الزنزانة التى أوصدت
على الفور.

مشى الرجل كالمذهول لا يعرف ماذا يفعل أيقن أنه لابد أن
يفعل شيئاً ما.. فاتجه إلى أحد المنازل العظيمة وسأل البواب هل
ابن سيدك موجود ولكن البواب أفاد بأنه قد سافر ولسوف يرجع فى
الغد.. فكظم غيظه ومشى دون أن ينبس بكلمة واحدة أخذ يفكر
ثم قرر أن يقتل عادل.. إن هذا أمر مفروغ منه.. سيقتل الاثنين لا
يهمه إذن بمن يبدأ.. بالفعل دلف إلى المنزل وصعد الأربعين درجة
وطرق الباب طرقتين وعلى الفور فتح عادل له: كان شاباً وسيماً عيناه
خضراوان وملامحه هادئة جميلة ولكنه فوجئ بأن الرجل يفتح
الباب ويغلقه وشحب لون الفتى. كان يعلم هو أن الرجل طيباً وأن
الابنة عشيقة له وقد خاف أن يكون الرجل قد علم عن ذلك، فراجع
سبع خطوات ولمح الرجل سكيناً على المائدة فأدرك أن النهاية على
وشك الحدوث.

أما الفتى فقد شعر أنه في موقف لا يحسد عليه.. إن الشرر يتطاير من عينيه لابد إذن أنه علم كل شيء ولكنه لم يرد أن يوهم نفسه بشيء من هذا فقد زاره الرجل عدة مرات من قبل، بالطبع ليس في مثل هذه الساعة الغربية ولكن لا بأس، يجب أن يحتفظ بهدوئه حتى آخر لحظة.. فقال: أهلاً.. سيد أفندى.. كيف حالك؟
فرد في صمت مكظوم الحنق: بخير.. بخير..

فاستطرد الفتى وقد لاحظ أن الرجل تقدم خطوة.. ماذا عن أشرف؟ اننى سمعت أنه بالمستشفى؟ خطأ الخوة الثانية وهو يقول: بخير.. وقال في نفسه.. لم يبق سوى ثلاث خطوات حتى أصل الى السكين ومنها إلى قلبه. خطأ بالفعل الخطوة الثالثة فالرابعة.. هنا قال عادل: وماذا عن الأبناء؟

كأن هذه الكلمة قد أنقذته فعندما أمها كان قد أصبح بجانب السكين المسجاة على سطح المنضدة ولكن يده لم تتحرك بعد أن سمع كلمة الأبناء، تذكرهم.. إن هناك أربعة من الأبناء ينامون على بعد عشرين متراً من هنا..

هتف بالسؤال: ماذا عنهم؟ انه يستطيع أن يقتل هذا الثعبان

القدر وهذا المتعملق الحقيير بل يستطيع أن يقتل بناته الثلاثة ولكن ماذا بعد هذا؟

هوى الرجل على المقعد الذى يبعد عنه خطوة واحدة ونظر أمامه الى اللا شىء فلمح السكين مع نفسه ولكن أذنه سمعت عبر أنين الذكريات صوت الأبناء وهم يتحدثون.. وتساءل: ماذا المصير؟

ان هناك ثلاث عاهرات وبفعلته هذه سيتزايد عددهن إلى خمسة عاهرات وهناك ابن مشوه يحتاج إلى من يأخذ بيده.. أن عليه أن يقاوم نفسه الدموية والتي تريد أن تنتقم من أجل الشرف والعرض.. إن عليه أن يقاوم هذا كله فى بيته.. لقد بقى من عمره الأبناء اللذين لم يتدنسوا بعد وهو بهذا الذى كان يريد سيقضى عليهم جميعاً، ولكن نفسه لم تأبى الهزيمة بهذه السهولة فوسوست إليه الانتقام ولكن بقايا روحه ألهمته وأوحت إليه بأن هناك من يعتلى عرش العدل والانتقام.. ساعتها قام منتفضاً والدموع تتسرب من بين جفنيه وأمسك بالسكين بين أنامله جيداً ففزع الفتى فزعاً شديداً، رفع الرجل يده إلى أعلى ثم هوى بما فى يده على وجه المنضدة فشجه واستقر به ثم قال فى هدوء تعصفه رائحة الدماء.. فلتذاكر

يا ولدى حتى تعرف.. فإذا ما عرفت حاسبت نفسك.. خرج.. أخذ
يحرك قدميه جاراً إياها حتى وصل إلى الحجرتين.. ولم يهتم أثناء ذلك
بنظرات الشماتة أو الاحتقار أو الرثاء، فتح الباب ثم أغلق واستلقى
على الحصير الجاف وأحاط بيده أبنائه الأربعة، ساعها استيقظ الأبناء
وقال أحدهم: هوّ أشرف هيموت يا بابا؟

كظم دموع وقال: لن يموت يا بنى.. لن يموت يا حبيبي فقال
الفتى ضاحكاً: فين ماما؟ فقال الرجل: كلهم سيجيئون.. هي وأشرف..
لا تخاف.

(٣٨) (الملعب)

كان الميدان كبيراً جداً.. دائرى الشكل متلاطم السيارات مكتظ الناس.. الجميع يسير على غير هوى.. فيصطدمون ويتحطمون.. ولكنهم لا يدرون ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ كان المثير للعجب أن الجانبين هادئين أما الوسط فقد كان صاحب هذا الاشتعال الغريب.. كأن هذا الموعد هو التسلية فأخذ نفر من الجانبين يقترحون مباراة لكرة القدم ولم تمر ثوانى حتى أخذ أهل هذا الوسط دون شىء ما بالأرض، ثم أخذ نفر الجانبين يخططون الملعب بما استخرجوه فأصبح من السهل أن يرى كل إنسان الخط الأسود على قارعة الطريق.

جاءت المشكلة الثانية وهى إقامة المرميين، اقترح أحد الأفراد اقتراح ظريف للغاية لم يعترض عليه أحد فقد ذهب كثير من المقترحين الى المقابر وقد ملأوا جوالين بعظام الأموات ثم أشعلوا بما خططوا به الملعب ناراً ووضعوا العظام فى آنية كبيرة حتى انصهرت العظام

ثم صبوا المصهور على شكل المرمى وثبتوا المرميين في طرفي الملعب.. جاءت المشكلة الثالثة وهي الكرة.. ولكن أحداً لم يلتفت لما حدث فقد ذهب رجل أعسر إلى أحد أبناء الوسط وقطع رأسه ووضعها في منتصف الملعب.

شكّل نفر قليل اللاعبين وفي ملح البصر تدفق اللاعبون إلى أرض الملعب مسرورين وقد وضع رئيس الفريق الأحمر قدمه اليسرى على الكرة، أما الفريق الأبيض فقد استلم نصف الملعب الأيمن منتظر الصفارة. من الخارج كان رئيسا الفرقتين مع اثنين من الأشخاص وهما الحكمين أحدهما من جانب والآخر من جانب ولما قل العدد اتجهوا إلى رجل أفعوانى الشكل واكتملت ثلاثتهم.. مرت لحظة عصبية تبادل فيها الحكام الثلاثة النظرات ذات المعنى وانطلقت الصفارة.. مرت الكرة من قدم إلى قدم وكلما كاد فريق أن يحرز هدفاً زار احدى الجانبين مشجعاً، مرت دقائق كثيرة والضحكات تتعالى من الجانبين ولكن اللاعبين لا يبأسون فقد كانوا يتصارعون ليثبتوا جدارتهم وأحقيتهم للفوز.

حدث ما لم يكن في الحسبان فقد استلم ذلك الرجل الأفعوانى إدارة المباراة فترة من الوقت وكان أول شيء فعله هو طرد لاعب..

سأله رئيس فرقته لماذا؟ فرد في لغة غريبة أن هذا اللاعب لا اسم له عنده، وتعجب الفريق كل من ذلك، الرجل هدد بطرد الجميع أن لم يذعنوا للأمر وبالفعل طرد اللاعب الذي تطفل على الملعب طبقاً للدراسات الحكمية لهذا الرجل.. تدمر البعض ولكن كانت النتيجة سيئة للغاية إذ تعرض لاعب قاد الفريق لضربتين متتاليتين حتى إن وجهه قد أصيب بإصابات بالغة، كادت يده أن تبتز بسبب هذه الإصابات ولكنه لم ييأس إذ جمع كل أعضاء الفريق لأول مرة وتقدم باعتراضه وأجبر الجميع على قبوله.. ساعتها صمت الجانبان وانتهت المباراة، ما لبث هذا القائد أن اعتذر للحكم وكان في هذا إرجاع الأمور لما كانت عليه هذه المرة طرد هذا اللاعب وأصبح هناك لاعبين ينقصان من الفريق.. لم ييأس هذا القائد فقد كان يوجه اللاعبين من خلف الخطوط حتى يستطيعون احراز هدف ولكن التخطيط هو الا يحرز اللاعبون الهدف في أي من المرمين، هكذا أراد هذا القائد ولكن أحداً لم يستمع إليه.

الهمة تفكيره بأن يتحدث بميكروفون إلى اللاعبين حتى يسمعونه ولكن المهيمين على المباراة رفضوا على اعتبار أن القائد قد اعتذر من قبل ولا يحق للمعتذر أن يبدي أسفه أو اعتراضه.

تساءل القائد عن أسلوب الاعتراض فقال المهيمون وكلهم ثقة: سحب الاعتذار.. ساعتها أطرق القائد وقال في نفسه: أريد أن أحطم هذا الملعب وأنقله إلى مكان آخر وأريد أن أدفن العظام إلى حيث أتت وأن أريح الرأس التي أدمت كل الأقدام وأن أعيد تسجيل هذا اللاعب في السجلات، وأريد أن أسحب الاعتراض ولكنه قبل أن ينبس بقراره نظر إلى لاعبي الفرقتين فوجدهم منهمكين في ركل الكرة.

(٣٩)

(رسالة)

لم يكن في حسبانهِ أن يكتب لأحد في يوم من الأيام خاصة إذا كانت الكلمات تمس الشعور كان دائماً يسخر من أولئك الجماعة الذين يكتبون إلى أحبائهم سطوراً تحمل رغام بساطتها أروع المشاعر إلا أنه أخيراً رضخ وأمسك القلم وطفق يسطر.

لا أعرف في الحقيقة ماذا أقول بل لا أعرف ماذا سأكتب ما أريد بثه أنني سئمت الوحدة بعد طوال غيابك.. نعم لم أكن أراك إلا قليلاً ولكن كان ذلك القليل يكفيني أما الآن فلا قليل ولا كثير فكل شيء صار فراقاً.. بالطبع أنت مندهشة ما هذا الكلام؟ ومن صاحبه ولكن يجب فقط أن تدرकिन ولا شيء آخر يههم.. كل ما أريده هو أن أقول إن الأمر قد انتهى.. نعم لقد أدركت أنني أحبك ولن أنالك.. ولكن العجيب هو أنت.

كانت الفترة السابق إختبار لى ربما يكون جمالك هو صاحب

الأثر ولكن أعتقد لا.. لم يكن ذاك هو السر فقد يحدث من هي أجمل منك ولكن لم يكن هناك شيء ليجذبني إليها.. ربما تكون رقتك وكلماتك ولكن أعتقد أن هذا أيضاً ليس النخاع.. خرجت من كل أمسياتي معك بمفردى بأن هناك شيئاً انسانياً يجذبني لك.. شيء لا ينحط إلى الغريزة البحتة ولكنه شيء أثري لا أستطيع أن أفهمه.

حبيبتي.. معذرة أن قلت هذه الكلمة.. أنت لى شيء مبهم ولكن فيه سر السعادة وأنا لست من أولئك الذين يتعبون أنفسهم بفهم سر السعادة أو الأسرار الأخرى كسر الحب مثلاً، أنت أيضاً مبهمة لى لأنك امرأة ولكن ما يجعلنى أحلم وأحلم شيئاً بسيطاً.. اتذكرين عدد مرات التقاء عينينا؟ إننى اتذكر جيداً.. انهما مرتان ولكن فى كل مرة رغم أن زمنهما أقل من ثانية أشعر أن الدهر امتد حتى صارت الثوانى قروناً.

ورغم أن الزمن كان بسيطاً إلا أننى تعمقت بهما ووصلت إلى القاع فعلمت أنك تحبين وتقاومين.. تريدين وتمتنعين.. إنك امرأة، عزيزتى لهذا فقط أعذرك فأنا احترم غرور المرأة وثقتها فى نفسها وخاصة أن المرأة تقع دائماً فريسة شعورها كإمرأة قوية شامخة طامحة إلى تحطيم أسطورة الرجل، وبين شعورها كأنتى تريد الحب

والسعادة والإطار، وقد وقعت أنت في شباك الاختيار أتختارين نبضة القلب أم ضربة القلب؟

هناك شيء آخر يجدر به أن يذكرني في رسالتى الواهية. أنت تعلمين جيداً.. ان ثمنة حواجز اجتماعية بينى وبينك وبالطبع أنت لاحظتى دبلوماسية لفظة اجتماعية، فالمجتمع كالجبل لا يمكن لمن فى سطحه أن يرتقى قمته إلا بعد الرحلة الطويلة وليس من المعتاد فى هذا الجيل أن يمد من هم فى القمة أيديهم إلى من هم فى القاع وبالأحرى لمن يهبطون إلى السطح ليصعدوا جميعاً خطوة خطوة..

وأنا لا أعد مقصلة إذا تذرعت بهذا فهذه هى الحقيقة وأنا لا اتهرب من الحقيقة ولكن أحاول فقط أن أقلل عدد السهام التى ستخترق جسدى الواهى أثناء الصعود.. والآن لا أعرف لماذا كتبت؟ ولكنى شعرت أن هناك رغبة لا تقاوم تحرك يدي ومن ثم قلمى لتسطر بعواطفى تلك الرسالة التى لن أطمع فى أن أوصلها إليك.. انها رسالة ضالة.. لا يعلم كاتبها ما مصيرها.

كاد هواء النيل أن يقذف بالورقة إلى بعيد إلا أنه احتفظ بها بين أنامله بعد أن أحكم ثنيها عدة مرات وها هو يلتفت ليحدها.. ان هذه المرة الأولى التى يجمعهما بمفرديهما مكان واحد.. ووجم الفتى

ولم ينبس بكلمة واحدة وحتى لم يخطر بباله أن يجلسها على المقعد المجاور وانما قال بعد إن أمسك بالورقة جيداً.. أنت.. نحمد الله على سلامتكم. وقفت بعينين صامتين حاملتين عميقتين وكادت أن تبكى.. في هذه اللحظة ود لو أن يتجه إليها يحميها من كل شيء حتى من الهواء الذي يحيطها وأشار لها بالجلوس فقد اكتفى هذا، فجلست في هدوء وقالت: لطالما رأيتك هناك فعلمت بديهيّاً أنك لابد أن تكون هنا.. إلا أنه لم ينبس بكلمة.. كانت تلك اللحظة تعنى لهما الكثير، أرادت أن تفتح كوه في جدار الصمت فأحالت بصرها نحو الشفق وقالت: الشفق فرد في صوت عميق: الشفق؟

الشفق هو الموت؟

فرد في صوت أمل: الشفق لنا هو البعث لغيرها.
ولكنها انفجرت: لا تستفزني بفلسفتك الآملة إلا أنه لم يتحدث فاستطردت: هل تعلم لماذا جئت.

كلا..

ساعتها شعر أنها على وشك شيء عظيم فقد حدقت به جيداً
وقالت: هل تحبني؟

وهوت الكلمات على رأسه كالصاعقة إلا أن صوتا لم يصدر منه

فقد كانت عيناه محجوبتان بسحب الاندهاش والواقع ولما لم تجد كلمة لمعت عينها وسادت الحمرة وجهها: أنا أحبك. مرت لحظة رهيبة كادت دموعها أن تتساقط، زاد شحوبها مع الغروب: كنت أستطيع أن انتظر كلمتك سنوات طويلة ولكن لم يهلنى القدر سوى هذا فقط. كان عليه أن يعالج الموقف بحكمة: ماذا تقولين؟

تحدثت: ليس هنا وقت بالفعل. أن هناك من هو قادم ليخطبنى وأنا وأنت في سبيل واحد.. صدرت كلماته: ولكن هناك فارق كبير بيني وبينك.

- لا فرق بين قلبين كلاهما من تراب.
- قد يكون الفرق فيما فوق الأجساد.
- المهم هو الجوهر.
- ولكنى أراك واثقة من حبي جداً.
- إننى أعلم هذا من زمن طويل.
- ما مؤهلات القادم؟
- وأمدته ببعض المعلومات عن ثرائه وعلمه.
- إذن لماذا لا تتزوجيه؟
- ماذا؟

- لا ماذا؟ أنا مرتبط بأخرى.. لا تحاولي أن تزيدى العرض أكثر من ذلك.

- عرض؟.. أى عرض؟

- كل شيء عرض وطلب وأنت عرضت وأنا لم أطلب، وعلى الفور أزاحت وجهها إلى الناحية الأخرى وأمسحت دموعها بسرعة ثم واجهته وسددت إليه كلمات قوية لترد لنفسها كرامتها فقالت من سيل كلماتها: كنت أحسب أن حبي لك كبيراً ولكن عرفت أنني وضعت شيئاً ثميناً في خزانة من الصفيح لا تقدر قيمة ما بها.. ثم ذهبت متألمة مشروخة القلب، أما هو فقد قال: أخاف عليها أن تصعد الجبل فتتألم معي.. هو أفضل لها ثم أخرج عود ثقاب وبث به النار في رسالته المطوية.

(٤٠)

(الجريمة)

السكون رهيب الصمت يصم الآذان.. الريح تعبث بالأغصان.. وهو استل سكينه الضخم وبثه في صدره ثم أخذ يسير، يسير إليه.. كانت الطريقة طويلة لا يرى منها بصيص من نور، لم يقابل أحداً الهم إلا رجلاً وحيداً أخذ ينظر إليه مدعوراً.. أما هو فقد استطرد المسير. وضع يديه في جيبه تاركاً وجهه يلفحه الهواء. فضاقت عينيه وأدمعت احداهما.. كان مرعوباً من هذا الرجل الذي يأتي من بعيد ولكنه أيقن أن الثقة هي الفيصل وبالفعل لم يلتفت إليه ولم يبد خوفه فمر الموقف بسيطاً.. ها هو يتوقف عند الباب العام للدار كلها.. البواب يغط في نوم عميق.. لا مار واحد الظلام يكتنف كل شيء.. بالفعل خطى خطواته إلى الباب.. واجتازه وبدأ يصعد الدرجات الرخامية.. كان يعلم أن الصوت في هذه الآونة قد يجلب متاعب لا حصر لها لهذا كانت قدماه تلمسان الأرض.. لمساً.. هاهو

يجتاز الطابق الثانى.. ويعرج إلى الثالث ويستطرد فيصل إلى منتصف الطريق وفجأة يسطع النور وينطلق صوتاً رهيباً ممزقاً هذا السكون. وقف فجأة وقد تصبب العرق على جبينه وتسارعت دقات قلبه.. بزغ من الباب رجل ضخم الجثة يحمل في يده اليسرى زجاجة خمر ثم يصيح بأعلى صوته بأقذع الألفاظ لزوجته.. التى توسلت إليه أن يدخل ولكنه لم يرد.

صمم أن يقف إلى الصباح.. ساد المكان حركة غريبة وتوارى فى الطابق الثانى المظلم تماماً. ظل هكذا حبيس المكان ما يقرب من ثلاث دقائق.. لا يقتصر الأمر على ذلك فلم تمر دقيقة واحدة أخرى حتى سمع صوت أقدام تصعد.. كان الصوت يدل على ضعف الصاعد وملله من ذلك فقد صاحب الصعود اصدار صوت الحنق.. لم يفعل الرجل شئ سوى أن التصق بالحائط واستتر بالظلام وساعده على ذلك ردائه الأسود.. صعد الصاعد ولم يكن سوى البواب.. وقف أمامه مولياً إياه ظهره وهو يحدث نفسه بصوت مسموع: ترى هل يكون أحد قد صعد بالفعل؟

ليس لهذا إلا الاستاذ الثمل دائماً.. انحذر العرق بارداً على جبهته وكتم أنفاسه وود لو أن يحطم القلب الذى يسمع ضرباته بوضوح

تام.. وصعد الرجل درجات السلم وتحدث مع سمعان الذي انفجر فيه بصوت مكلوم بالخمير: ابتعد أيها الأحمق لم يجئ أحد ولن يجئ أحد طوال إقامتي هنا.

مرت خمس دقائق أخرى تنازعته أشياء كثيرة ورغبات عديدة، وفي النهاية قرر العدول عما سيفعله، بدأ يهبط أولى درجات السلم ولكن صوتاً شق الهواء قال: أين أنت يا حنفي.. ولم يكن صاحب الصوت إلا زوجة البواب.. ما أن سمع كلماتها حتى اتجه إلى ما كان فيه من مكان وكتّم أنفاسه فقد أيقن أنه الآن محصور بين طابقين والظلام الواهي وحده ما يستره، لم تمر ثواني حتى دخل الأستاذ سمعان، هبط حنفي البواب دون أن يلاحظه ساعتها أعدم النور وساد الهدوء أما هو فقد جلس أرضاً يستريح قدمه من هول ما كان فيه.. بعد لحظات أخذ يصعد الدرجات من جديد واجتاز الطابق الثالث وهو لا يصدق أنه يجتازه.

ها هو يصل إلى الطابق الخامس وهو الطابق الأخير، ما يزال يصعد في ببطء شديد.. وفجأة سرق السكون مواء قطة صغيرة داس على ذيلها، لم تتحمل القطة فصرخت مرة ولم تكتف بالثانية بل أخذت تسهب في المواء.. جن جنوه، فقد أدرك أن النهاية آتية لا شك

فيها ووقف عاجزاً عن كل شيء فقد وقف بين شقتين والقطة أمامه تمزق الليل بموائها ومن الممكن في لحظة واحدة يفتح الباب وتكون الكارثة.. في غضون ثواني جاء الفرج فقد تركت القطة المكان وهبطت تموء إلى غير رجعة في مكان آخر.. وبعد لحظات انتهى المواء..

أخيراً جاء سطح المنزل واقتحمه ووجد الهدف، وهو هذه الحجرة الوحيدة التي جاء إليها مرتين من قبل.. كان يعرف الطريق جيداً.. فلم يدخل عبر الباب بل من الشباك المتوسط المساحة وكان يعلم أن أسفله الأرض مباشرة لهذا لم يكن ثمة عوائق.

في لحظات كان يتوسط الحجرة ومن خلال النافذة أخذ النور يسطع فرأى الشيء إلى على قلته كان كل ما يبغى.. فاتجه إلى الدولاب.. وفتح شقه وساعتها بزعت الجنيهات الألف في حزمة واحدة.. نظر إليها وأمسكها بيده ثم نظر إلى زميل عمله المسجى على السرير وقال: كنت أنا المستحق لها.. أنت لا ولد لك ولا ابنة أما أنا فمستوليتي أكبر.

أغلق الباب وقد تنفس الصعداء فقد أدرك أن جريمته ستكون سرقة فقط اتجه صوب الشباك ولكن القدر لم يمهله أكثر من ذلك فاصطدم بشيء ما لم يره وكان هذا بداية صراع.. لم يكن ثمة مجال

ليريا بعضهما فأحدهما يجد سارق في حجرته ولا بد أن يزود عن نفسه وعنهما والآخر لا أمل له إلا الهروب دون أحداث ضجة، لابد إذن أن يقتل هذا الرجل فهو خصيمه المبين في العمل.. فلن يرحمه حتى إن توسل إليه، في بضع لحظات كانت الحجرة كومة من الحطام وبين هذا الحطام كانت جثة الرجل.. أما صاحبنا فقد هرب ولم ينس السكين فقد أغمدها في قلبه وأخرجها مرة أخرى، لم يكن هناك وقت لأى شيء فقد وضعها في صدره في مكانها الذي كانت فيه واتجه إلى الخارج.. ها هو يكاد أن يجتاز الطابق الأخير وفجأة سطع النور وفتح الباب وقال رجل لزوجته: يبدو أن شيئاً ما قد حدث، إن الجلبة كانت رهيبة.. على الضوء رأى يديه المملطختين بالدماء وردائه كذلك ولم يجد أمامه إلا الطريق الذي ترك ليهرب.. بالفعل صعد إلى السطح ووقف وهو لا يعرف ماذا يفعل، وفجأة صاح ديك بجانبه فمزق الصوت أذنه.. ابتعد عنه في حنق من كل شيء وألقى نظرة أخيرة على الحجرة المظلمة ثم اتجه صوب السور الطوبى فوجد أن الأمل كله يكمن في سطح المنزل المجاور ولكن المسافة ثلاثة أمتار والتهب السؤال: هل سيستطيع أن يقفزها؟

في هذه اللحظة كانت الأصوات الآتية من أسفل تتزايد وكان

هذا كان يعنى شيئاً واحداً أن الطريق الوحيد هو المجازفة، ارتقى السور وقفز ونجح.. هذه القفزة كانت تعنى بداية قفزات فمجرد أن ينظر أحد من السطح سيكتشف من على السطح الآخر أخذ يقفز من مكان إلى آخر وهو لا يعلم إلى أين يتجه.. الشيء الوحيد الذى كان يفعله هو أنه كان ينظر إلى الخلف.. ها هو السطح الأخير قد أتى فلم يجد بعده شيئاً سوى الأرض.. هبط الدرجات الرخامية فى قوة اللامبالاة واليأس.. ووصل إلى الشارع المنزوى وتنفس الصعداء لذلك فقد كان منظره يوحي بلا أى شك أنه قاتل.. بدت الحيرة على وجهه أين سينتجه؟

فرأى أن يتجه إلى هذا الشارع الضيق وبالفعل ولجه فى منتصفه وجد نفسه محاصر بأربعة من الرجال.. دار بينهم حديث قصير علم منه أنهم يريدون المال الذى يحمله وأنهم يعلمون من منظره والدم الذى لم يجف على ملابسه أنه قد أنهى القتل فى التو واللحظة ولم يجد شيئاً يفعله فقد أنكر أن معه مال وهو يعلم أن السلاح سيكون له الغلبة فى النهاية إلا أنهم صوبوا إليه مسدساتهم فى لحظة واحدة، واطلق أحدهم طلقة أصابت قدمه وصرخ: نحن لا نمزح.. لم يجد بد من أن يعطى إياهم ما سرق وما من أجله ارتكب كل هذا.

أعمل يده في جيوبه وكم كانت المفاجأة بأنه لم يجد أى نقود.. رجح أنها قد تكون قد سقطت منه أثناء الهروب.. ملح في أعينهم أمارات النهاية، واتجه إليه أحدهم وفتشه ثم قذف بالسكين بعيداً.. ووقف أمامهم يسترحمهم.. كان يريد أن يعطيهم المال ولكن مبرر الجريمة ضاع في خضم الهروب من الجريمة.. كان يريد أن يسترحمهم حتى لا يقتلوه ولكنه تذكر ما فعله من دقائق.. لم تمر سوى دقيقة إلا وكانت رصاصة ممزقة قلبه.

(٤١)

(رد)

عزیزتی.. أ..

لا فائدة..

أنهكت قواى من طول الصراع..

اقترنى بالسباك...

الماجستير / ب. أ. أ.

(٤٢)

«الثالث»

ما بين الليل والنهار كان يمشى بمفرده على الطريق الطويل الذى اعتاد أن يجوبه منذ زمن طويل.. إلا أنه لم يجد شيئاً جديداً يفكر فيه أو يؤديه، فجأة ضحك ضحكة ساخرة لم يدر من أين أتت.. بعد برهة أيقن لماذا ضحك؟ فقد أدرك أن شيئاً مهماً كان لن يحقق له رغباته بل رغبة واحدة منها فلم إذن يفكر أو حتى يبكى؟

أراد أن يحدث أحداً فلم يجد ورغم أنه فتت الجريدة قراءة إلا أنه أراد أن يثبت أن لا أحد يستحق الحديث معه وأيضاً كل رغباته مجرد زفير.. فاتبع البرهان..

جرت عيناه على السطور وأدركه القنوط بعد برهة فمزق الجريدة وبعثر ألسنتها على قارعة الطريق غير مكترث بنظرات الاحتقار من البعض والتشجيع من الكثيرين.. ارتد السؤال في نفسه تساءل لماذا فعل هذا؟ جاءه الرد بالتحدى لكل شيء كان يجب أن

يفعل شيئاً يتحدى فيه أى إنسان أو أى شىء مهما كان.. إنه يريد دائماً أن يستفز كل من حوله بل يجد لذة غريبة فى استفزاز أصحاب النجوم وخرق المادة التى تصنع النجوم.

مرة أخرى أخذ يضحك بشدة وسخرية ولكن هذه المرة لم يسأل نفسه عن شىء فقد ترك كل شىء يسير ويمر دون حتى ملاحظته.. تذكر أحد الأبناء التى مزقتها عن الدمار والذرة فاجتاه شعور طاغى بالقوة كأنه يملك أداة تدمير العالم، صرخ فى أعماقه.. نعم.. نعم اننى أملك قنبلة ذرية وتخيل هذا على الفور بل راح إلى الأرض أخذاً من بطنها فلذة قابضاً عليها وانطلق هاتفاً..
قنبلة.. قنبلة.. ابتعدوا.. انفجار..

كم شعر بالسعادة حينما رأى تلك الابتسامات المدبرة والعبوث المعتلى الوجوه وكم ضحك ملء شذقيه عندما رأى كل من حوله يهرلون لا يلوون على شىء.. وقف وهو بالفلذة على الأرض فساد الانبهار والتعجب ثم انهالوا عليه ضرباً.. وعندما اكتفوا بما أشبع غرورهم كانوا جميعاً مذهولين فقد كان لا يزال ساخراً من الجميع ضاحكاً..

مرة أخرى عاد إلى الطريق ولكن فكرة القنبلة الذرية لم تفارق

خياله فراح يقنع نفسه بالفعل أنها معه ولكن كان هناك سؤال: على من سيصبتها؟ فأجاب على الفور.. على العالم.. ضحك ساخراً متسائلاً: أيهم.. ثم لاحقته نفسه فقرر أنه سيصبتها على الطرفين في وقت واحد ولكن كيف ذلك؟ لم يقتنع تماماً بما يفعل بل قال مسراً قوله إلى نفسه: لماذا؟

لماذا سيصّب قبلة عليهما معاً؟ إنه ان فعل هذا سيوجد طرفين جديدين إذن فليصّبها على الوسط يجب أن يحطم دميتهما فيحزنهما ومرة أخرى تساءل لماذا؟ انه ان انتقم بهذه الطريقة سيهب الراحة لمن عذّبوه وأهدروا رغباته وحطموا أحلامه.. نعم.. نعم الآن يجب أن يبقى الأمر كما هو عليه.. فاتجه إلى النيل وقذف بالهواء المدخر بين يديه إلى النهر.. ساعتها أطلق زفرة حاره لقد انتقم.. يجب أن يدور كل من أداروه بين رحي الضياع، وعندما وصل إلى نهاية الطريق لم يجد شيئاً يفعله، ملح فتاتين فاختر أقبحهما فشاغب إياها..

(٤٣)

سأواصل

(واحد شاي يا أسطي) القى الفتى هذه الجملة.. ردها جالساً قانطاً.. بادره.. لمن؟ للمعلم صبحى.. ضحك صامتاً.. المعلم صبحى!!
طيب.. فتح نوته الصغيرة آخذاً النظر إليها.. غباء.. كيف تاهت من ذاكرتى كل المطالب؟ إن مايجب أن يدفعوه أكثر مما سجلته.. اللعنة على النسيان.. من ملوم الحرامى لعبده الملاوانى..
ولا عزام الترزى.. ابن.... لا.. حتى لا يسمعنا فيحجب عنا الماء.. انه (يطفح) الشاي مجاناً مقابل ماء صنوره الأسود لهذا الكشك الواه..
معلش.. آه.. معقول؟ خمسة وسبعون قرش فقط لأحمد (المزين)..
سقط الشاي الفائر على الشعلة فأطفأها.. توات القطرات على يده وأحرقتها.. رُد إلى الواقع.. أغلق النوتة.. (ملعون أبوك بابور أسود زى المشاريب) حمل الصينية.. سار بأفغوانية عبر الشارع المزرحم..

وبعدين.. الواد بركة عاوز درس خصوصي.. ومراد.. عاوز لعبة والبت
رضا عاوزة هريسة.. والست عاوزة لحمه.. وأجيب منين؟
بسرعة رد السلام- صباح الخير يا عم ملموم يا أمين- واحد شاي
متعة.. وحتت تلجة.. وأنا خدام السيادة.. وقف يراقب من بعيد..
فتح ملموم المحفظة.. سال لعبه على الأوراق من كل صنف ونوع..
أخيراً أتى ملموم بورقة..

- تسلم يا معلم.

استطرد.. ربع جنيه يا حرامى!!؟

معلهش..

في الطريق إلى الكشك أوقفته سيارة..

- واد يا كامل

- أيوه يا بيه

- أناموش قلت الكشك بتاعك ده تغور بيه

- مفيش مكان تانى يا بيه.. أبوس إيدك..

لا ايدي ولا رجلى.. الكشك يزول..

- هتبقى منك يا بيه ولا من الترزى ولا من الحلاق.

- اسمع الكلام أحس أسجنتك..

- حاضر يا بيه.

سارت السيارة.. جلس على الرصيف لا يدري ماذا يفعل.. أى
مكان يذهب بعد كل هذه الرحلات والمشاجرات؟.. وماذا سيسجل
اليوم لبركة ومراد ورضا والست؟
ردد.. معلش..

(٤٤)

الكائن الصغير

عيناها أبتا الاستسلام للنوم.. قرر أن تكون الليلة موعد التنفيذ.. تذكر محاولاته الغابرة للقضاء على هذا الالاحاح ولكنه لم يتحمل.. صرخ.. أعددت كل شيء.. لا تأجيل.. جلس منذ زمن طول على مقعده ذى الثلاث أرجل.. استل القلم وأعمله في فكرة.. راح يرسم الخطة.. يبدو أنه لا يزال ينتظر الإذن من شيء ما في صدره.. حتى الآن لم يستطع أن يزحزحه عن رأيه.. هب متمرداً على كل شيء.. أحدث ذلك زلزالاً للحجرة.. فتح الباب الخشبي فثار صوت التروس من مكانه الصداة.. وقف يشاهد كل شيء وحده في صمت مطبق.. أليس هذا بيت الرجل الى أختلق كل الحيل ليخرج دون أن يراه؟ أليس هنا مكان المرأة السليطة اللسان التي أهدرت كرامته؟ كل هذا من أجل القبر الذى يقطن به؟ حتى الشحاذ لم يعد يلتفت إليه.. لقد شاهد الجميع ماضيه المحترم إلا أنه فقد إلههم - الذهب- فكفروا به آدمياً..

هكذا لابد أن يطيح بهذا الأبله الذى مازال يتنفس بقايا الشهيق فى صدره.. لابد أن يكون ذبح بعد كل هذا العذاب.. لقد أدرك حقائق من حوله.. قرر أن يستعيد إلههم ليعتلى به الرءوس.. سيستعيده من أعلى.. استدار وبعينيه وميض غريب.. أغمد سكيناً فى جيبه وشيئاً آخرأ فى جيب صغير بالقميص الأحمر.. أغلق الباب وأنهى الأنين.. وصل إلى عينيه رفات ضوء قادم من أسفل.. صمم أن يصعد حيث لا ضوء.. انه الآن بالطابق الأخير.. أمام باب خشبى ضخمة.. مسح قطرات عرقه.. عالج الباب بالمفتاح.. أصبح الآن بالداخل.. استجمع قواه على هدى الضوء الشاحب من أركان الصالة المضغوطة.. بهدوء فتح الباب.. خطأ أولى خطواته بالحجرة.. وجدها نائمة على سريرها الحريرى الذى لا يئن تحت وطأة جسدها.. اتجه إليها فى هدوء.. أنه يريد ذلك الشئ الى استقر برقيبتها.. أخرج الخنجر حتى يطمئن بقتلها.. ان حدث ما ليس بالحسبان.. ها هى توليه جيدها الذى يتدلى منه مفتاح متوسط الحجم إليها بخيط أسود.. لابد أن يقطع الخيط.. جزة واحدة تكفى.. اقترب أكثر.. مد السكين إلى عنقها الرقيق أحاط النصل بالخيط.. استجمع كل قواه.. قطع الخيط.. ياللهول.. سقط المفتاح على صدرها الناصع.. وضع السكين على الفراش وقد تصبب

العرق على جبينه.. كيف لا تستيقظ؟.. لابد أن يقترب أكثر.. عاودت يده السكين.. لفحت وجهه انفاسها فعصفت بمقاومته الرجولية.. عض على نواجذه.. إلا أن دماء جديدة قد تبدلت وهو يشعر أن الأمر يكاد يفلت من بين يديه.. كم حدث نفسه مئات المرات بجمالها وها هي أمامه لا تبدى حراكاً.. يستطيع أن يفوز بها ثم يقتلها خاصة أنه لا يعترض على القتل إذا ما فضحته.. هكذا يفوز بكل شيء لحظات رهيبة مرت.. قرر أن يعدم خياله.. لقد جاء للسرقه فقط.. مد يده مستهيناً بكل شيء آخذاً المفتاح فلامس بنانه جلدها الحريري.. كم اندهش.. لم تستيقظ.. بث المفتاح في الدولار. الآن كل ما يريدته أمامه.. ها هو الإله الجديد.. أصفر اللون.. ليغترف منه.. مد يده إلى مبغاه.. لامسهم.. دُعر.. لقد وقف حائل غريب بينه وبين هدفه.. اشتعلت نفسه لم التردد؟.. لقد خاص في ذلك الأهوال.. لقد انفجر الكائن الصغير.. كان يعتقد أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة.. فوجئ بعملاق لا يستطيع عصيانه.. أغلق الباب.. لفظ المفتاح على صدر النائمة.. أولى ظهره كل شيء.. هرب.. من جديد استقر في حجرته.. هدأ.. لعن نفسه.. أيقن أنه جان.. لا يفهمن الدنيا.. لا يستطيع أن يعامل الناس.. يجب أن يضع نهاية لكل هذه الحياة القاسية.. يجب أن..

توقفت خواطره اثر طرقات رقيقة.. فتح الباب.. كانت هي.. صُقع.
أدرك أنها أتت تهدده لابد أنها رأته.. استقرت يده بحركة تلقائية على
موضع السكين.. جلست بعد حديث مقتضب.. كم كانت دهشته..
تر كها تتكلم.. صرخت.. انها تحبه منذ شهور طويلة.. راجع نفسه
فوجد أن كل ما تقوله ينطبق على حالة حب..

استطردت تستعطفه.. كم كانت تقضى الليالي وحيدة.. باكية..
توسدت صدره.. سقطت من يده السكين.. همست.. لقد نامت
بليتها ساعة واحدة فقط رأته فيها في حلمها الوردى.. أنه يلبسها
عقد لؤلؤي.. تذكرت على سبيل الصدفة أن المفتاح قد سقط من
عنقها أثناء النوم.. أعطته إياه إذ تخشى أن يضيع ولا تعرف له مكاناً..
أخذ المفتاح.. سألته هل سيتزوج ابنة صاحب البيت حقاً؟
لم يعرف بم يجب.. احتضنها.. قبّل جبهتها.. اتفقا على الزفاف..
خرجت بأعين سعيدة باكية في هدوء.. كان الوقت فجراً اتجه إلى
الفيض القادم من النافذة.. ابتسم في هدوء..

(٤٥)

ليلة التفوق

ضجيج الطبول لم ينل من استرسال أفكاره.. العيون كلها
تشيعهما إلى عش الزوجية.. يداهما متداخلتان.. تغوص بعينيها
من خلف وشاحها الأبيض بالأرض.. ابتسم لها.. توارت عن عينيه في
خجل.. أغلق الباب.. وبهدوء ساد الصمت.. بخطوات متتدة اتجهت
إلى السرير.. جلست.. اتجه نحوها.. جلس بجانبها.. عيناه اخترقت
الوشاح الأبيض.. تبدلت نظرتة إلى أخرى.. بعنف ضمها إليه.. تسللت
أنامله إلى جسدها فاحتواها تماماً.. أراد أن يحدثها.. أن يصارحها..
التمس الهدوء الذي خطط له.. كأنه يُهنئ نفسه..

(مبروك.. الآن أنا الأقوى.. بين يديك خصمك العنيد.. سميرة..
أتذكركين؟ تلك الأيام التي شهدت كبريائك عليّ.. انتصارك على نفسي؟
أعلم أنك قوية.. قاطعة.. ولكنك لم تصمدى أمامي.. ان كان عقلك

أقوى من عقلى.. إن كان تفوقك عليّ خاصة.. قد أثارنى.. نال منى..
فإنك أيضاً لم تستطعى مقاومة حبى.. أعلم أنك ستصدمين ولكن
الذنب ليس لى.. أنت تعلمين أن جمالك ضعيف.. أن كل الحواءات
الى صدرى يتمنين.. آه.. ان كنت صاحبة انتصار هناك.. فإن خطأك
أنك تصورتى أنى أحبك.. ماذا بك يجعلنى أحبك.. وجهك النحيف
البارز العظام؟

عينك السوداوان الضيقتان؟.. كل شىء بك يدعونى للنفور منك
بالمقارنة بالأخريات، كأنه هنا قد وصل إلى ذروة انتقامه.. تنبه على
صوتها الخاجل:

وجدى.. أملتى..

كانت أصابعه قد غُرست بها.. تأسف عبر ابتسامة غريبة
فسارعت فدفعت وجهها إلى صدرها.. عاود ابتلاعها.. (سميرة.. لم
يكن كلمة الحب التى قُلتها انتصاراً كاملاً.. ان من هى مثلك تستطيع
أن تسحق فؤادها بأمر من عقلها.. نعم.. كنت تستطيعين نسيانى إذا
ما أفصحت لك عما أنويه.. إن انتصارى الساحق سيكون بغزوك..
انتصار الرجل على المرأة.. زوجتى.. لا يكون إلا بالوصول إلى أعماقها..

هذا غير المتعة تماماً.. ساعتها ستسلمين لى.. ستنتظريني.. أو سأجبرك
على الانتظار.. ساعتها سأجبرك على الرغبة فى.. عندئذ.. سأطلقك..
إنه شهر واحد فقط يا زوجتى العزيزة وتُعلن نفسى هزيمتك لكل
الوجود.. هنا.. استكانت تماماً.. تهدجت أنفاسها.. رفعها عن صدره..
أغمضت عينيها.. ابتسم ابتسامة النصر..

(٤٦)

صاحبه

قرر أن يذهب إليه.. رغم تعب الناجم من السفر.. أرادها مفاجأة لصديقه الوحيد.. أراد أن يطلع على خطاب الشاعر إلى حبيبته.. انطلق إلى الشارع (تُرى ماذا يفعل الآن؟.. هل أتم الخطاب الذى سيرسله إلى الحبيبة؟).. انطلق بين الزحام يصطدم بالأكتاف.. كانت رغبته حادة فى رؤيته.. توقف فجأة.. ها هو صديقه.. هرول إليه.. كاد أن يعانقه؟ التفت فوجده آخر.. *مستحيل.. انه هو. عيناه السوداوان.. شعره الخشن.. ايماءاته المنفعلة كشعره النابض.. بل الطول الفارع.. يخلق من الشبه أربعين).. ضحك.. تذكر صديقه إذا ما كتب.. فكل شيء مبعثر.. الأقلام متنافرة.. الأوراق فى كل مكان.. إذا ما ولج رتب كل شيء بينما الكاتب لا يزال يكتب لا يدري ماذا حدث؟.. قرر أن يشتري قلماً هدية.. انه يتذكر أنه يعانى دائماً اختيار قلم يكتب به.. كم ندم عندما وصل إلى الحانوت.. وجد عدوهما اللدود.. راوغ المكان ودخل من الباب الآخر.. عندما خرج لم يستطع الفكاك منه.. تعجب انه هو القادم إليه..

- مساء الخير

- نعم.. ماذا تريد؟

- اتبتاع قلماً؟

- كما ترى..

- لمрад؟

- ماذا تريد؟ (يضحك) أوتضحك؟

- قل له عندما تراه.. مساء الخير؟

- حاضر.. سلام.

غريب هذا الغبي.. انه يضحك بشكل هيسيتيرى.. هل فى شراء
قلم شىء مضحك؟.. آه.. اننى أعرفه.. هو هكذا دائماً.. حقود.. اننى
مازلت أتذكر كيف باع مراد من أجل الحبيبة ذات العينين الزرقاوين..
كم قال عنه.. كم سبه.. إنه الآن مجنون لأنها اختارته.. مت بغيطك
أيها الضحوك.. آه.. وصلت.. ثلاثة طوابق فقط ويفتح لى أبوه الباب..
أنا أعرف طريقى جيداً يا سيدى لا تتعب نفسك بمرافقتى.. الآن
أطرق الباب.. طرق الباب.. مرة.. مرتين.. ثلاثة..

أخيراً فتح أبوه الباب.. صدمة النظرة الجامدة.

أين مراد؟

جاءه الرد من بئر سحيق. دفناه أمس.

(٤٧)

مرور

التحم بها.. هبط حتى المواسير الطافحة.. لم يعد يتلمس حبيته الحمراء.. فهي الأخرى إلى آخر قد أصبحت.. ركل طوب المرمى فصرخ الأطفال.. الكرة تحطم لوح الزجاج.. يبتسم.. ضاقت عينيه اثر الريح فلم ير الوجوه الناعمة والجيوب المكتظمة. اعتقدوا أنه شارد.. كعادته.. دارت العقارب دورتان.. قدماه لا تزال تبحث عن أى شىء.. توقف الزمن ولكن قدماه لم تقفا.. نظر إلى كل من حوله.. كان وسط النهر.. السيارات تحيطه والأرجل لا تستقر.. تسمرت قدماه.. حدثها (تركت كل شىء.. وأين أى شىء)؟.. جلس القرفصاء انعقد حوله الجميع.. نظروا ونظر إليهم.. دقت ساعة رهية طبول السرعة.. وتوقفت كل العجلات.. تصاعدت كل الأبواق.. تصاعدت من بين الجميع ضحكات.. توافد رجل وجلس بجانبه.. ضحكوا.. تبعه الجميع.. جلسوا.. أخذوا يضحكون.. لا تزال الأبواق ولا تزال الطبول.. وهو لا يعلم متى سيرجع إلى حجرته الوحيدة..

(٤٨)

المحطة

أسرعت خطواتها.. يجب أن تلحق الموعد بأى ثمن.. الطريق الأسفلتى طويل مكتظ بالعربات.. لا بد من اقتحامه للوصول إلى المحطة.. ها هي الإشارة التي لطالما أودعتها الانتظار توقف كل شيء.. ثبتت عينها على المكان حتى لا تضيع صورته.. خطواتها المتلاحقة تدق الصف في عناد.. يجب أن أراه اليوم.. إن لى عشرين يوماً لا أنام.. سأقول له ليذهب كل شيء إلى الجحيم.. لا نريد سيارة ماذا سنفعل بها وسط كل هذه العربات؟

توقفت.. تلاقى أعينها مع عينين.. في ملح البصر وضع يده على أكرة باب سيارته فانفتح قليلاً.. لم تبادلته الابتسام.. وضعت نظارتها السوداء على عينيه حتى لا ترى إلا ما تريده.. استمرت.. هتفت.. نعم.. لا أريد أى شيء.. الحجرة الوحيدة التي سنملكها سنحولها قصرًا.. والأثاث.. لم تكمل.. فقد رأته يصعد سلم الكوبرى.. رفعت

النظارة عن عينيها.. لم تصدق.. نعم.. هو.. يجب أن تناديه.. أن تضع نفسها بين يديه.. أن تبكى متوسدة صدره.. كل شيء يذوب ولكن قلبها يريد الطريق الذي أراده.. لم يبق لها إلا أن تصرخ.. تنادى.. لتجرب.. تعلم أنها لن تجده مرة أخرى.. لسانها المتعطش الى اسمه ينطلق.. ومعه كل ألسنة السيارات.. استرحمت بعينيها كل يد حتى يسمعها.. أصوات تعلو.. وصوتها يضيع.. توقفت انها لم تعد تراه.. لقد صعد إلى حيث ابتلعه الناس.. سقطت نظارتها.. تهاوت دمعتين رغماً عن العينين السوداوين.. تحركت الأفواج مرة أخرى.. حطمت سيارة النظارة.. وقفت كجزيرة وسط السيارات الهادرة الزاحفة من كل اتجاه.

من بعيد مازال يمسك بمقبض الباب المفتوح.

(٤٩)

(خيال المآة)

إنه رجل مسئول.. عظيم الشأن ولكن هذا الشأن لا يرتقى إلى مرتبة المطلق ورغم ذلك فإنه يخيف الجميع لأنه رجل حق لا يخشى حق الله لومة لائم.. رغم قوته وأسلوبه النظامي في العمل بين زملائه إلا أنه رحيم خارج العمل فهو يردد دائماً (كل شيء لابد أن يأخذ حقه).. من الطبيعي آنذاك أن يكون له أعداء، وأعداءه من طائفتين أولهما أسفل درجة منه وظيفياً وثانيهما أكبر درجة منه، ومن الطبيعي أن يكون هناك اتصال بين الجميع رغم أن العداء متفشي إلا أن المحبة أيضاً واجبة فإن كان هناك من يكرهونه فهناك من يحبه، أتى في الساعة المحددة تماماً.. لاحظوا أنه اليوم على غير حالته فيدو أنه سعيد هذا اليوم.. فلم يكن يوماً شعره النصف مجهد بهذا التمشيط الدقيق وحتى جبهته ليست منقبضة الشيا فتاهت

خطوطها القدرية في خصال الارتياح حتى هذه العينات السمكية التي تحجب خلفها عينين رماديين رقيقتين وأيضاً مفزعتين إيان الطلب كانت برفاة اليوم منه، كعادته اطلق تحية السلام ولكنه وقف وسط الحجرة والجميع يعلمون ماذا سيقول، فزأر بصوته الجمهورى معلناً عن غضبه لعدم وجود هذا الزميل ثم حك أنفه الطويل كعادته الألية وفجأة تلاصقت شفثاه الغليظتان اثر ظهور المتأخر المهر ول فاكتمى بنظرة واحدة من نظراته الحادة ومضى إلى مكتبه بحجرته.

أما سليمان أفندى المتأخر فقد شيعه بنظرة نائرة حانقة تود لو أن تفتك به بعد ما يقرب من الساعة دخل إليه عبدالله أفندى وهو يجف دموعه فأخذ الرجل يهدئ من روعه ويجلسه ويطلب له الليمون ويسأله عن حاجته.. فأخذ عبد الله أفندى يتحدث: الملعون سليمان يهددنى بأنه إن لم يأخذ المال سيبلغ الشرطة.

على الفور ارتفعت يده إلى ما تحت أنفه الطويل يحكمه في هدوء ويقول:

سليمان أفندى ظالم يا عبدالله ولكن عبدالله نظر إليه نظرة التوسل وقال: انت الضامن.

فقال الرجل: هل عرفت الآن لماذا هو ظالم؟

فهتف: هو يريدك أنت؟

فاعتدل وقال: المهم هو ألا تخسر شيئاً.

فصرخ الرجل: إنه معلون.. ولكن ماذا افعل كان ولدى الوحيد

مريض وكان.. ولكن الرجل لم يكمل فقد قاطعه وقال: أنا الضامن، لا

عليكم، فانفجرت عيني عبدالله بنظرة اندهاش وقال: أنت يا أستاذ

سلامة.. فقال سلامة: هذا.

- ولكن هذا الأمر يختلف.

- نعم أنا لست من الأثرياء بل من العامة ولكن كان عهدي

والعهد دين.

وبعد ساعة أخرى كان سلامة يواجه سليمان ويقول: إذن أنت

تريد المال منى.

- هذا أمر ضرورى وبديهي.

- الا تنتظر قليلاً؟

- يا مديري أنا لا انتظر أحداً.. كان هنا محتاجاً أقرضته المال

وأنت ضامنه، أردت المال والآن لا تريدون أن تعطوني حقي.

- انتظر حتى بداية الشهر.

فقابله بنظرة تنفذ من عيني ضيقتين غائرتين وقال: لا انتظار.

فهتف سلامة: ماذا تريد إذن؟

وكان الفرصة قد لاحت فقال: إن كل الأموال تستطيع أن تولى إذا ما وقعت على بعض أوراق التوريدات، فأسند سلامة رأسه على المقعد وضحك ضحكة صفراء ذات معنى ولم يتحدث وإنما أشار إليه بالخروج فخرج وهو يبث إليه نظرات الثقة.

قام سلامة وأخذ يحدق إلى كرسيه في حزن وأخذ يقول: لقد فهمت الآن كل شيء.. انهم يريدونك أنت يا سلامة، يريدون ضميرك.. انهم يريدون أن يثقلوا كاهلك بالذلة والمهانة والخيانة، انهم يريدونك دمية في أيديهم يلهوون بها متى شاءوا وما عليك إلا أن توقع لا.. لن أسعى إلى الخراب لن.. توقف عن الحديث ثم استطرد.. لكن الجزاء المهانة أيضاً.. التحقيق والبوليس وأنت تعلم الباقي..

اليوم زواج ابنتك أليس كذلك؟

هل يمكن أن يلتقى الملتقيان.. القهر والسعادة في يوم واحد؟

ماذا يمكن أن تقوله أسرة الزوج عنك وعن ابنتك؟

لن يهم أحد دخولك إلى الزنزانة ولكن الكل سيشير إليك ممزقين شرفك وما أكثر أنامل الحنق والانتقام من ضمير وميزان.. أما العرس أو السجن يا سلامة؟

إن المبلغ كبير لا يمكن أن يُدبر ماذا أفعل؟
وإذا وضعت توقيعي فكيف أستطيع أن أخرس إبهامي يوم الحشر؟
أين المخرج؟

إننى لا أستطيع أن أبيع كل شيء من أجل السجن؟
في نفس الوقت كان سليمان أمام أحد الجالسين على المقاعد الوثيرة وضحك، ثم مشى سليمان واتجه إلى سلامة وبالفعل فرد أوراقه أمامه ثم قلماً أسوداً على الورق وجلس وقد ابتسم، دارت عينا سلامة في جنبات حجرته كأنه يودع الجدران وبأنامل مرتعشة أمسك القلم الأسود ولم يكن عليه إلا كتابة خمسة حروف هي لبنات اسمه كانت هذه اللحظة هي اللحظة الفاصلة.. تذكر أيان أن كان تلميذاً متميزاً.. متميزاً في كل شيء في هندامه ورباطة عنقه الأنيقة وقميصه الناصع وطلعته وهيئته.. تذكر يوم أن واجه أستاذه بأن أستاذه قد أخطأ وصمم على موقفه حتى أمام الناظر فما كان من الجميع إلا أن

تعاطفوا مع التلميذ والذي لم يكن مخطئاً ولم يهب الموقف.
تذكر كل مواقف حياته الصلبة الشجاعة التي لا تلين حتى هذا
الاسم الذي أطلقه عليه بعض المداعين من المقربين (سيف) لم ينسه.
تذكر الابنة التي لن تلق أبياً بين يديها ولن يجد زوجها يداً تصافحه
تحت مئذنة الشرع الناصع لتقرأ الفاتحة ولتتمم الزيجة.. تذكر بناته
الآخريات الثلاثة وولديه الكبيرين.. كل فلذات كبده سيعلمون أنه
كان على حق عندما نصر ضعيفاً ولكن من حول أبنائه فلن يقدر
شيئاً.. كان يجب أن يضع الحد الفاصل بين قلبه وضميره بين نفسه
وروحه وعندما لامست الورقة ناب القلم لم يستطع القلم أن ينفث
التوقيع فقد أطاح سلامة بالقلم والورق وهوى بقبضته على وجه
مكتبه الهادئ وصرخ لن أكون خيال مائة أيها الحقير.

وبعد ساعة كان يجلس أمام رجل من رجال النجوم وبعد العديد
من الاسئلة والإجابات أخذ الطوق يضيق على الرقبة وأمر الرجل
بحبس سلامة أفندي وقبل أن يمسك العسكري بيد سلامة لمح سلامة
لوحة كبيرة قد رسم عليها كفتى ميزان بينهما كلمة الله، وانهاالت
كلمات الأذن اليسرى تبدد روعة هذه الكلمة في نفس سلامة وامسك

الرجل بيده في قوة ساعتها شعر أن كل ما أسسه قد انهار وقام يلقي النظرة على اللفظ (الجليل). وما أن التفت حتى كان عبدالله يجئ مهرولاً يهتف: كل من يعظموك يا أستاذ سلامة كل من يحبوك جمعوا لي المال ليخرجوك أنت، بعد سبع ساعات كانت أنامل سلامة في قوتها تلتقى مع أنامل الزوج وهما يقولان الحمد لله رب العالمين.

(٥٠)

«كبرياء»

كانت أصوات غريبة تصدر إثر قرع الباب الخشبي ذى الثقوب القليلة عندما تتأب ليفتح الباب.. وجدها.. وجد كل شيء.. الحب الكبير.. الذى استمر سنوات سبع.. رآها وقد أتت إلى هذه الحجرة المنبوذة عن المجتمع.. وهى من تعتلى أرباب الثراء.. جاءت.. ورأى عينها بعد شهر غياب.. وفراق، رغم أن كل أخبارها كانت لديه.. وكأنه ببذاء فأخذ ينهل من عينها بقدر استطاعته.. كم كان يحب عينها! أوماً برأسه لها فولجت دون تردد.. بهذه اللحظة دارت عنقه متعجبة وتساءل ماذا حثها على المجئ؟ إنه يتذكر كلماتها التى صدمته منذ ثلاثين يوماً.. يتذكر شفيتها الرقيقتين وهما يصدران أمر الإعدام.. فقد قال لها بعد سبع سنوات صمت.. أحبك ولكنها أجابت بأنها تحب.. وكان يعلم هو من تحب.. وكان يعلم ماذا حدث طوال هذه الأيام الثلاثين.

عندما ولجت رأيت أن الجدران أضحى طلاءها تلك اللوحات
المرسومة في كل مكان.. رأيت في الجانب الأعلى على اليمين وفوق
السرير مباشرة صورة مشنقة تشنق يد وأعلىها صورة قبر يخرج منه
رأس.. رأيت أشياء عجيبة لم تستطع أن تفسرها ولكن الشيء الوحيد
الذي فهمته هو ما رأيته أمامها مباشرة بعد أن استقرت في وسط
الحجرة.. فقط رأيت قلب يحيط وجهها.. نعم.. نعم هذا هو وجهها
بكل ما فيه من ملامح فهذا هو شعرها الذي تتأذفه أمواج الهواء..
وهذان هما شفتاها الرقيقتان والمصحوبتان بابتسامة مشرقة.. كل
شيء كان يعبر في فصاحة عنها.

تواجهها.. قالت: لم أكن أعلم أن خيالك شديد الخصوبة بهذه
الدرجة.. ان صورتني كالحقيقة.. فأجاب بعد أن رفع رأسه ووضعها
أرضاً عدة مرات: أنت خيالي، مسحت بأناملها بشرتها في قلق ومررت
لحظة عصبية لم يتحدثا فيها.. وبعدها قالت:

ماذا عن آخر كلمات لك عنى؟

وكان الدهشة عقلت لسانه فقال: ماذا تعنين؟

فردت في تلقائية: أعنى آخر ما قلته لي؟

فضحك ضحكة متألمة وقال: آخر ما قلت أنا أم آخر ما قلته أنت؟

مرة أخرى مرت لحظة صمت ثم قالت: اننى أنهى آخر كلماتى فقال على الفور.. انت بهذا مطالبة بالإجابة عن سؤالى؟ ولم تنبس واكتفت - بإيماءة من رأسها، فقال فى صوت متطلع: ما رأيك الآن إذن؟ فقالت فى رقة: نحن لدينا شعور واحد.. مرت نصف دقيقة رهيبة.. تبادلنا فيها النظرات الحادة والرقيقة فى آن واحد ثم انفجر ضاحكاً.. اتجه إلى صورتها واستوى على كرسيه أمام صورتها وقال:

منذ ثلاثين يوماً جئت إليك أبث نار حب صامت لمدة سبع سنوات، ورفضت، وكنت ساعتها أعلم السرولكن إذا تراكمت سحائب اليأس فى نفوسنا فلا تنتظرى الشمس.. لقد دفعتنى لحظات ترقب نهاية العذاب إلى أن أعيش الواقع دون أن أعطى حساباً للأمل.. حتى إن كان أملاً ضئيلاً فإن أعيش يائساً أفضل عندي من أعيش معذباً تحت وطأة أمل ضئيل لمدة قصيرة.

أنا أعلم أنك تحبينه.. ذلك الفتى الذى نافسنى فيك.. لا تحاولى الحديث.. أنا أعلم كل شيء.. إن هذا الفرد الذى يعتلى قمة المجتمع أحاط قلبه بالزيف ليكسر قلبى أنا منافسه التقليدى لا يجب خطوطى الواهية وهى أيضاً لا تحبه.. وكنت أنت الفيصل.

لقد أخذك بلون العربة.. وبريق الورقة. وأنا لا أملك شيئاً..

أعيش مقبوراً منبوذاً عن العالم.. أضع كل أعماقي بالألوان.. واللعنة على نفسى وألوانها.. ماذا جنيْتُ منها؟ لا شيء.. وبعد أن انتهت المنافسة انتهى حبكما فأردت أن تنتقمى منه وتردى اعتبارك.. أنا سيدتى لست حذاءً تنتعليه متى أردت حماية نفسك من الطين.. لقد جئت اليوم إليّ لا من أجل حبي الذى تكذبين باسمه ولكن من أجل نفسك.. وغرورك.. كان من المستطاع الا أردك بائسة ولكنى لم أجد فى عينيك ذلك البريق الذى جذبنى اليهما.. لم أجد فيك الحب. استطيع أن أصف بريشتى كل شيء إلا الومضة التى لا ترى إلا برهة.. ان هذه الومضة.. هى الحب.. أنا لا أرى هذه الومضة.. بل وجدت الصلف والغرور.. لهذا لابد أن ترجعين محطمة الكرامة لا لأنك أردت الحب ولكن لأنك اتجهت إلى ذلك الجرذ الكامن بوكر قذر وكأنك تتوقعين أنك ما أن تتلفظيه بالحب سيهز ذيله منتشياً.

كلا سيدتى.. ان الجرذان أيضاً لهم كرامة.. هذه هى صورتك أليس كذلك؟

كنت سأشترك بها فى مسابقة.. أما الآن.. (يغمس الريشة فى فوهة اللون الأحمر ثم يضغط موضع الجبين فيتساقط مهدماً الخطوط).. ثم قال موليتها ظهرها..

أن الأمل في الفوز إن كان ممن سفحني وهدم كرامتي فأنا لا أريده.. أما هي فقد اتجهت إلى الباب وواربته ثم خطت أولى خطواتها نحو الخارج ولكن قبل أن يكتمل الخروج نظرت إليه بطرف عينيها ثم أغلق الباب.. ساعتها دقت رأسه بين كفيه أما هي فقد مسحت دمعتين فاضت بهما عيناها.

(٥١)

«الحب الكبير»

توأً أنهى آخر ورقة في رواية (الحب الكبير).. أطبق جفنيها.. راح إلى نافذته.. كانت كل شخصيات الرواية أمامه حتى إنه استشعر دفء العناق الأخير، بين البطلة والبطل.. كم حسد البطل على هذا الحب الذي عاشه بعد أن ظل سنوات طويلة يبحث عنه.. لم تتوقف الأمور عند هذا الحد فقد فجرت هذه الرواية كل ما اعتقد أنه أسكنه من حب في وادي قلبه السحيق.. ظن أن أحلامه في أن يجد حلمه الجميل.. الأشقر.. الأزرق العينين.. قد خبت.. الشيء المحير أنه لم يكن يجد ما يفعله.. أيذهب إلى كل وجوهن ينتقى أحدها؟ أنه لا يريد هذا الحب الأزلي عبر النوافذ يريد حباً يخترق كل قصة ويقهر كل ما سمعه من قبل.. عاد إلى مكتبه متوعك الخطا.. واحتضنت عيناه صورة الممثلة الفاتنة ثم تلصص في نظراته إلى قسامتها البارزة في كل اتجاه.. اختجلت نفسه فأطلق زفرة حارة.. قد تكون حاسدة

وقد تكون متمنية- وكأنه حدث نفسه لماذا لا تكون هذه الفاتنة خاصة حبيبتي؟ إن الشهرة لن تكون عائقاً.. لسوف.. ولكن لم يكمل الحديث إذ أتته صوت جلبة من الخارج.. لم يكن يعهد بشارعهم الضيق كل هذه الضوضاء.. أطلق عينيه.. كان تصوير سينمائي.. هبط الدرجات في ملح البصر.. امتزج بالمشدوهين الذين يرون وجوها لا يعرفوها الا عبر الأثير.. سرعان ما اندمج في المشهد القصير.. لم تأخذه الأضواء أو الكاميرات، بل أخذه هنا الوجه الهادئ هناك.. كانت مُحاطة بكثير.. أخذته قدماه اليها..منعته الأيادي.. فازدادت لهفته من أجلها.. لم يكن يتصور أن يلاقى هذا الوجه خاصة أو هذا الجسد خاصة- بل أصبح على وجه اليقين.. إن هذا الوجه هو وجه أحلامه الممتدة في كل لياليه.. سقطت نظراتها على قلبه كسيف ملتهب.. أهمل كل من حوله وجلس رصيفاً ينظر إلى الممنوعة عنه.. فجأة ذهبوا.. استقلوا سيارة لا يعرف حجمها ولكنه لم يتبعها لأن اذنه سمعت الغيث.. انهم سيأتون غداً في نفس المكان.. إذن ليكن الغد موعدنا.. استرخى بسريره وعينيه تحطم السقف داعية السماء أن يلقاها غداً.. كان ليله كنبضات قلبه بطيئة على غير عاداتها.. دقائق الساعة المتكاسلة تثيره جاء الصبح بطيئاً ومعه موعد الذهاب إلى

المدرسة.. لم يفهم كلمة من دروس الثانوية العامة.. رجع ذاهل اللب متشاجراً مع كل زملائه.. سخروا منه ومن حبه ومن الممثلة الفاتنة.. سبهم فهم لم يفهموه ولم يقدرُوا أحلامه الطويلة التي ساقها اليهم قبل حقيقته.. دعاهم لرؤية حبيته.. تحداهم أنها ستقابله وسيقنعها بنفسه.. جادلوه إلا أنه تشبث وتشبث.. ارتدى حلته.. وفي الشارع استطاع أن يجد له ثغرة يصل إليها.. نعم مكان التصوير منعزل عن مجرى الشارع وأن البيت الذي يحوى الجميع محاصر ولكنه يعرف طريقاً إلى الشباك الخلفي.. ومنه إلى حجرتها.. سعد وهبط.. أخيراً دفع الشباك بأصبعه وقفز في ملح البصر إلى الداخل.. أطلقت صرخة مكتومة خاصة أن الحجرة مغلقة وأنها تبدل ملابسها.. لا يعلم هل سُر أم حزن لهذا الذي رأى.. وقف صامتا أمامها.. سألته بعينها الزرقاوين.. دار وقت كأنه حول وفي نهايته ما كان منها الا انها فجرت الكارثة.. بعد نصف ساعة كان يسير في الطريق بمفرده.. الجمع من خلفه ينبث منهم إضاءة سينمائية.. اختلف راکلاً حجرة في طريقه فانتهى به المطاف إلى حارة صغيرة أنارها البدر.. هنالك فقط سمح بدموعه ان تهبط.. أن يتألم.. أن يتوجع.. إنه يحتقر كل شيء.. نظرة الكاذب وأحلامه الغريبة والمظاهر التي لفت عقله.. ماذا يقول

لأصدقائه غداً؟ بل كيف سيقابل أهل شارعهِ بعدما حدث؟ أمعقول أن يحدث كل هذا؟ أمعقول أن يحب هذا الحب عن دون كل حب؟ أمعقول أن يكون من أحبها من التهمت مظاهرها.. ومن تواءمت مع كل الصفات التي رآها في أحلامه.. أمعقول أن تكون ممثله الفاتنة نجم الكوميديا المعروف (.....) أثناء تأديته لدور نسائي؟!!

(٥٢)

«ما زالت فى ظله»

تؤثر الابتعاد عنه.. الافلات من نظراته الحادة.. الطريق امتد
بينهما امتاراً.. ألهمت الاسئلة قلبها.. ماذا سيفعل عندما نتقارب؟ هل
سيطلق كلمة.. هل سأرد بكلمة: ماذا سأقول له.. كيف سأهرب من
عينيه الفولاذيتين؟!

تذكرت ماذا جرى منذ شهور طويلة بنفس المكان.. أعلننا
الانفصال.. هتفت بداخلها شعلة ندم.. ردتها بكبرياء. رددت لن أكون
من تترجى.. نظراتها التى تبدأ تتهاوى أو غلت فى التذكر.. كانت
تتمنى أن تترجى.. أن تستطعف.. أن تبقى فى ظله.. تذكرت دموع
ليلها.. شتاء الفراق مع النجوم المحيرة.. وسحاب من بين ثناياها
وجهه يبدو.. تخرج إلى السحاب لكن يتقدم الضباب.. تهطل الأمطار
ودموعها التى لم تتخيل إلا تسقط إلا على كفه.. لماذا هى فى فضاء
شاسع.. خطواته تقترب منها.. ضربات قلبها تكتمها حتى لا يسمعها

فيزداد كبرياءه.. تمت أن يقف الزمان.. إذ تقابلت العيون.. بثت إليه جملتها.. هل تريد المزيد من الابتعاد؟.. أنا مازالت على العهد.. أبحث عن رائحتك.. لا أشعر بالأمان إلا في ظلك.. أسعى إلى وجودك.. كانت ثانية واحدة.. رد إليها عبراتها.. ابتسم ابتسامة روتينية.. سارا كل في طريق.. افترقا.

(٥٣)

(هو والأفعى)

أمه وأبوه قتلتها الأفعى منذ سنوات طويلة.. حتى جاء الأمس وكان دور أخيه الأكبر والوحيد.. كانت تأتي في سكون رهيب بقصد غريب فهي لم تعتد أن تبرر أسباب المجئ.. فإذا ما حدث أخذت تنفث سمها في كل من يعترض الطريق.. جاءت كعادتها تريد شيئاً غريباً ولكن أخاه لم يكن ليصمت أمامها.. نعم الجميع صامت ولكن أخيراً تحدثت بكل القسوة لتفصح عن مطلبهم الأزلى.. ثبتت الأفعى نظراتها إلى أخيه وقد بات أنه من الواضح أن الثواني ستسفر عن انطلاق السم ثم المصراع.. وبالفعل تركته بلا حياة وعادت ادراجها.. كان ينظر إلى الأمر كما نظر إلى ما سلف.. وفار السؤال من أعماقه.. إلى متى؟

لقد مات أبوه وأمّه وأخوه.. إن الدماء لا تذهب هدرًا أبداً.. ولا بد أن يأتي اليوم الذي تقطع فيه رأسها.. ساعتها دب الحنين إلى

رؤية أسرته فصغرت الأنفاس في صدره وانفجر قلبه واهباً دماءً جديدة. ترك فلذة الجبال تسقط من يده فقد أدرك أن الراية لابد أن تصبغ بالدماء لكي تثبت ألوانها.. استل من الحجرة ما بها من وسائل الرحلة ثم بثها بالسيارة ووقف أمام الجميع وقد تبادلوا النظرات، وهاهم يعلمون ما يعتمل في صدره.. فقد أدركوا أن البداية لابد أن تأتي.. فاضت أعينهم بوميض من أمل تشوبه حُمره القبور ودعته نظرات غريبة ترغب فيه وتتمنى له ملكاً أطيّب..

ولج إلى سيارته وأوصد الباب ساعتها تطلع إلى المرأة فوجد عينين لطاماً أحب التطلع اليهما إلا أنه لم يتطلع كثيراً.. فما زالت دماء أخيه المتجلطة تعصف بالأنفاس في صدره.. الطريق ممتد وفي نهايته يكمن الهدف.. ها هي قدمه تغضط على الطريق فتنهبه السيارة.. لم يبق شيئاً.. عليه إذن أن يصل إلى الأفعى. ها هو يقتحم سدود ضلوعه ويحطم جدران نفسه.. ساعتها دوت الزغاريد الدامعة.

(٥٤)

(عبد الدايم)

كان التجمهر كبيراً.. وكان هذا الأمر يحدث لأول مرة في هذا الشارع.. ومن بعيد وقف رجل أشيب الشعر والشارب.. أفتس الأنف.. ذاهل العينين.. وقف وهو لا يعرف ماذا يحدث قرب هذا المسجد.. فهذه هي المرة الأولى التي يجد عندها هذا التجمهر أمام المسجد، تساءل في سخرية هل يمكن أن يصلى كل هؤلاء الناس.. لم يستطع أن يكبت فضوله فاندس بين الناس يجمع منهم ما يشيع فضوله.. فاتجه إلى رجل يرتدى جلباباً أسود وسأله فقال لا يعرف ماذا حدث ولكن يبدو أن هنالك صلاة جنازة.. كانت هذه الكلمة ذات وقع خاص في نفسه فهو يكره الموت وما أن يسمع كلمة جنازة أو موت حتى يفر من المكان.. هذه المرة كانت مختلفة عن كل مرة فهو لم ير أبداً مثل هذا الحشد في جنازة، تعجب أن من يصلى قليل ومن ينتظر كثير وكثير.. بدأت علامة استفهام كبيرة ترسم بداخله فهو الآن

يريد أن يعرف من هو الذى مات انتقل عبر الحشد من وجه إلى آخر.. لم يكن ليأخذ منهم أى معنى مفيد.. فهذا يقول لا أعرف وآخر يقول انه غريب وهكذا.. وصل إلى رجل كان يعرف أنه من هذا المكان سأله فإذا بالرجل يهز رأسه علامة المعرفة ولكن عندما هم بأن يتحدث إذا بالصندوق الذى يلم عظام الميت قد ظهر وقد حملة الكثير ومن خلفهم أخذ الرجل يسير تاركاً صاحبنا بلا جواب.

صاحبنا لم يستطع أن يتحمل هذا المجهول فصمم ولأول مرة أن يتجه إلى الناس يسألهم وبالتأكيد سيعلم من هذا الذى مات؟ ما أن اندس بين الحشد مرة أخرى حتى أخذت الدهشة تتقمصه فقد لاحظ أن ثمة نظرات اندهاش وتعجب واستهجان فى عيون الجميع.. فالبعض يضرب كفاً بآخر وآخر يتحدث الى من بجواره ثم يندهش فاغراً فاه وآخرون يضحكون فى سخرية حزينة.. كل هذا جعل الرجل كامشدد وضاعف رغبته فى معرفة الميت.. كأنه وجد ضالته وهو إمام المسجد الذى كان البعض يصلى فيه منذ قليل فاتجه إليه وهدق بعينه الواسعتين ولحيته الطويلة الناصعة. وقال له من الذى مات؟ الرجل لم يلتفت إليه بل أخذ ينظر إلى السماء ويضغط على حبات المسبحة الرمادية وبعد لحظات أخذ

يشيع الصندوق وهو يتابع السير قال: إنه رجل.. جن جنون صاحبنا انه يسأل سؤالاً لا يمكن أن تكون هذه اجابته ولكنه لم يستطع أن يظهر استهجاناً فسارع إلى سؤال أدق لا يمكن إرجائه: من هو؟ فhez الرجل رأسه علامة الاستكانة والتفهم وقال: عبد الدايم.. ومرت لحظة عصبية أعقبها صاحبنا باستهجان شديد وقال في صوت مهزور عبدالدايم.. اقترن عن الرجل وقد سار ذاهل اللب وأخذ يحدث نفسه: عبدالدايم..؟ مستحيل.. ان هذا الرجل لا يموت.. إن طوله يقارب المترين مفتول العضلات حطم قيد حديدي من قبل أمامي.. صرع عشرة رجال أمام جمهور من الناس ولم يكن يملك سوى عصا.. نعم هو جبار رهيب لا يرحم ولكن.. لم يكمل كلماته.. إذ أخذ يتخيل مرة أخرى خاصة وجهه. ذلك الوجه المستدير الضارب إلى الحمرة والشارب الكث الملتوى وهذه العمامة البيضاء التي كانت تتلخخ بالدم بعد كل ضربة رأس منه لأحد المتمردين.

بعد برهة أخذ يفعل مثلما فعل الآخرين.. فقد ضرب كفاً بكف ولكن في النهاية لم يصدق أن عبدالدايم قد مات فهو لا يزال يرى صورته منذ أربعة عشر ساعة فقط وهو يصرع رجلين أحدهما انتقل إلى المستشفى والآخر مات.. إن حركته لا تزال تتمثل أمامه وهو

يجرى وراء أحد الهاربين منه والذين لم يدفعوا له الإتاوة.. لا يزال يتذكر كل هذا، ضحك ضحكة ساخرة من كل شيء.. لا يصدق أن عبدالدايم مات فقرر أن يذهب لأول مرة في حياته إلى المقابر حيث يرى وجه الميت حين يُدس فيه التراب حيث يُقال إن ابن آءم لا يرضى إلا بالتراب ولا يملأ عينيه إلا التراب..

عندما دخل إلى المقابر وتوقفت المارة وصمت الحشد.. هوى الصندوق إلى الأرض وفتحه رجل ما ثم أخذ بعض الرجال يحملون جثته في رداء أبيض بين أيديهم.. أقروا الجثة بداخل القبر، كانت هذه اللحظات كافية ليصدق الرجل أن من مات كان عبدالدايم حقاً فقد كان طوله نفس طول عبدالدايم وهو لم ير في حياته رجل في مثل هذا الطول إلا هو.. شاهد من يدفنه في هذا الرداء الأبيض وبعدها يقبض قبضته من التراب ويقذفها إلى وجهها ويقول: لا يملأ عين ابن آءم إلا التراب.. تصور صاحبنا لو أن هذا الرجل فعلها وعبدالدايم يتنفس ثم أقسم أن الأمر كان سينعكس فوراً.. أخذ الرجل يسد تلك الكوة الأخيرة التي كانت تربط عبدالدايم بالدنيا وأثناءها كان كل الرجال صامتين وكأن على رؤوسهم الطير، فجأة حدث ما جعل كل الأبواب ذاهلة فقد جاء الكروان من فوق الرؤوس وبث دعاءه إلى الجميع..

فبكي البعض وهز الآخرون رؤسهم ولكن صاحبنا كان يعلم أنهم يفعلون ذلك لأنهم جميعاً يتصورن أنفسهم مكان عبدالدايم.. رجع الجميع ولكن صاحبنا زامل الإمام فقال له: قل لي يا شيخ عبدالقوى كيف حدث هذا؟ فضحك الرجل وهو يقبض على مسبحته: لقد صدمه طفل صغير بدراجة فأصابت رجله اليسرى فاختل توازنه فوقع أرضاً فاصطدمت رأسه بالرصيف فمات صريعاً على الفور. فضرب صاحبنا كفاً بكف متعجباً وقال: عبدالدايم يصرعه طفل، فقال الإمام مبتسماً ساخراً: «وما يعلم جنود ربك إلا هو». صدق الله العظيم.

ولكن صاحبنا ظل على استهجانه فانفجر فيه الإمام عبدالقوى وقال: ما لكم كيف تحكمون؟ هل تظنون أن هذا الرجل الذي دفناه منذ قليل خالد؟ اننى أود أن أقول لكم اسمه انه عبدالدايم.. لا الدايم.. ثم تركه ومشى.. أما صاحبنا فقد ذهب إلى المسجد.

(٥٥)

صفحة من المذكرات

كان الليل يقبض كل شيء حوله.. شعر أنه كالمجنون فأسرع إلى النافذة يلتقط الشهيق ثم علا بنظره إلى السماء فاتصل بالقمر ورأى ضوءه الفضي يغمر المكان ساعتها شعر بالوحشة الشديدة ودفن وجهه بين كفيه وردد في نفسه: كم أود التحدث ولكنه لم يجد أى بشر يتحدث إليه فتوجه ببصره مرة أخرى إلى السماء ثم اسند رأسه إلى معصمه فقد علم أن السماء تعلم كل ما يعتمل في قلبه، أبرقت الفكرة في رأسه فاتجه إلى مكتبه الدقيق وأخرج من بين أوراقه ورقة واستل قلمه وراح يكتب: لم أعتد كتابة مذكراتي ولكن أجد نفسى أنقاد إلى الجنون.. لم يعد هناك أحد أتحدث إليه، ثم مد بصره، إنه يرى في ورقته شيئاً ما، أخذ يسطر من جديد، كل أصدقائى اثبتوا أن عاطفتهم لى لا تتحمل ما سأسره اليهم.. فالأمر صعب التصديق.. ماذا سأقول لهم؟ بل من منهم سأقول له؟

لم يعد أمامي سواك.. نعم أنت لماذا تندهشين؟ اننى لأول مرة
في حيات أقر بحبى لك ولا أجد فى عالمى من اتحدث اليه إلا أنت..
نعم أنت التى استطيع أن أسر لها كل شىء حتى لو لم أكن أطمع منها
بأى شىء. ولكن أين أنت؟

حتى أنت يا من أحببت لا أجدك بجانبى.. صورتك لا تفارق
خيالى لهذا سأحدثها، سأقول لها كل شىء أود قوله.. كم أحبك يا
فتاتى الصغيرة الرقيقة.. هل تعتقدين أن هذا مفاجأة؟.. لماذا تكتب
ملاحك أمارات العجب؟.. نعم أحبك.. ولكن منذ متى لم يكن القدر
الحكيم ليتدخل..؟ لا بد أن يبت نفسه بيننا.. لا بد أن يبتلى القلوب
ثم يقف من بعيد يهب المثوبة ويقضى بالعقاب.

كنت قد لمحت من نظراتك نظرات مرقت من بين جفنيك
المعذبين، وكم كانت مختلفة عن كل الأخريات.. كانت نظرات تمزق
قلبى وتجعلنى أتساءل: لماذا كل هذا؟

أنا أعلم أن موقعك من العالم فوق القمة ولكن هل تظنين
أن الشرخ الذى أصبتي به سينال منك وحدك؟.. لا تفكرى.. لا بد
أن تعلمى أن هذا الشرخ الذى أبكاك وأبخس من روعتك الى حين
قد مزقنى قبل أن يمزقك.. انت لا تصدقينى إذن؟ وإلا لماذا هى

الإيماءات المندehشة؟ أنت لا تعلمين شيئاً عنك في قلبي.. أنت يا فتاتي الرقيقة كل شيء لي.. هل تتذكرين.. ابتساماتي؟ بالطبع لا.. أنا أتذكر ضحكاتك.. نظراتك.. إيماءاتك.. مسحات شعرك حتى خطواتك..

هل تعلمين نبضة قلبي؟ أنا أعلم قلبك ولكن لا أعلم لماذا أنت تهوين تعذبي وتعذيب نفسك؟!.. كل هذا وتندهشين أن يكون الشرخ الذي أصاب قلبك قد أصابني معك وربما أكثر منك؟ ولكن أن أردت أن تحولين هذا الشرخ الى جدار رهيب يفصل بيننا فأرجوك لا تفعلين لأنك بهذا تحدثين شرخاً آخر بقلبي ولكنه لا يُداوى.. والشرخ الذي تريدينه سيقضى على كل نبضة قلب وكل ذرة حب.. لماذا لا تأملين معي؟ لماذا لا نداوى معاً هذا الشرخ الذي أبعدك عنى إلى حين؟ لماذا لا نرمم المنهدم ونلتقى بالأيدى نبنى من جديد؟

لماذا تصرين أن تكتمين الحب وتسفحين الإعجاب؟..

وقد تتسألين لماذا لا اعترف لك؟

ولكن إن كان كل ما في ملتي قد أضحى محض الخيال وأن حبك المتصور لا شيء.. تصورى هذا معي.. وتصورى أيضاً أنني ذهبت إليك.. ولكن هل تعتقدين أن من هم أمثالي من يقدرسون كلمة الحب ويكتبون عنها ويترنمون بها يذهبون إلى من يحبون (يعرضون)

كل ما في قلبهم إن وُفقوا كان بها وإن لم يحدث كانت النهاية؟.. هل هذا يجوز؟..

يجب أن نبدأ معاً وعندما تلتقى العينان سينبض القلبان وستعانق الأحلام عندما تتركين القلب بلا قيد كبريائك وانتظارك انتظار الأنثى المعتاد لاختبارات الحواءات الأخريات.. عندما تفعلين ذلك.. سنلتقى في طريق واحد.. لن يفصل بيننا كبرياء أعمى ولا غرور زائف.. وستجدينا نتلفظ بها (معا) في آن واحد.. أرى في عينيك وميض وأسمع نبضات قلبك فلا تخشى شيئاً.. ولتعلمى أن الشرخ سٌيداوى ولكن معاً لن يحتاج إلا للنسيان بلا آلام.. (ثم أطلق زفرة حائرة وأخذ يكتب من جديد).. لا أعرف إن كان هذا الكلام يمكن له أن تقرأيه أم لا؟..

إننى لا أكتب في ورق خاص.. اننى أكتب في أوراق الشجر وعلى صفحات القلوب ربما يقرأه كثيرون، ولكنك أنت فقط من أريد له أن يقرأه فإن قرأته ونبض قلبك فنحن على الدرب ولا تحاولى بعدها أن تسفحى الحب.. ثم نحى الورق جانباً وانتظر دقيقة.. وبعدها آواها بسجل بجانبه وشيعها باسماً ثم طواه.

(٥٦) إنه الحب

كان يعتقد أن القلب لا يخفق إلا مرة واحدة فقط لهذا عاش مدة طويلة في حالة استسلام للأمر الواقع فقد أدرك أن حياته تدور في فلك واحد.. إن رأى وجهاً لم يكن ليعجب به إلا إذا قارنه بالوجه الذي أحبه في يوم من الأيام، إن تحدث مع حواء كان كل الكلمات تقدر على ميزان واحد هو، كلماتها، فهي أفضل أو أقل من كلماتها؟ شعر أنه سجين دائرة زجاجية لن يستطيع أن يحطمها وفي نفس الوقت لم يستطع أن يحتويها وكأنه يعيش بها ودونها.. كان يريد الحب كغيره من طالبيه ووقعت عيناه على كثيرين منهم، لم يخفق قلبه إلا لها. هي من قريباته ولكنه لم يكن يهتم بهذه القرابة إلا عندما رآها فأخذى ينقب ويضع بذور شجرة العائلة حتى أثبت أنها تستحق كلمة قريبة أو هو الذي يستحقها.

وكانت الزيارات المتتابة ومعها كانت النظرات الحائرة التي

تبث القلق والسهاد.. لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً، فهي بالنسبة إليه شيء بعيد وأن أحبها فهذا لا يعنى أبداً أنها تحبه.. ترك الناس يسمون هذا كما يحلوا لهم إن شاءوا قالوا ضعف وإن شاءوا قالوا عدم ثقة بالنفس، أما هو فقد رضى عن نفسه.

بدأ السؤال يهدد ليليه ماذا سيفعل؟

لم يجد إجابة.. ظل هكذا شهر أو شهرين وفي كل يوم يظل يفكر ثم ينتهى إلى لا شيء.. وجد أخيراً الحل فصمم أن يجاذبه الحديث فهو لا يستطيع أن يقول لها الكلمة إلا إذا قد اعتاد الحديث معها.. فى غضون أيام قليلة كانت تتحدث مه وراء حجاب الخجل والتطلع معاً.. أما هو فقد كان سعيداً بهذه الخطوة الايجابية التى تدل على أنها على نفس الطريق.. كانت كلما مرت الأيام كلمات امتدت الوشائح بينهما فالنظرة والكلمة جرتا الابتسامة ثم الضحكة ثم تم. فى كثير من جلساتها الفردية القليلة أو النادرة كادت الكلمات تظفر بالخروج ولكن شيء من هذا لم يحدث وهو نفسه لم يكن يعلم لهذا سبباً.. كان يدرك فى أعماقه أنها صرح لا يمكن أن يحبه وهكذا هوى إلى دائرة الشك مرة أخرى.. لم يكن الوحيد الذى يبحث عن قرباتها.. فإذا بخصمه اللدود وابن عمته يتجه صوبها وهو يعلم

تماماً مقدار ابن عمه في ميزان حواء فقد سمع عنه الكثير ورغم
الابتسامات المتبادلة إلا أن كل منهما كان يشعر بأن ثمة حائطاً بينهما
كبيراً.. كان كل يوم يمر وهو يراه في منزلها يهدد حياته ويسحق قلبه
ولكنه لم ييأس فقد أدرك أن صراعاً سيتم بينهما لا شك.. وإن كان
هناك صراعاً بالأعوام الخوالي فالصراع بهذا الصدد سيكون مصيرى،
كثير ترددهما على المنزل بشكل آثار الريبة والشك والقييل والقال
وكان يجن عندما يذهب فيجده مع الأسرة وكأنه معهم منذ سنين.
استشار صاحبنا أحد الأصدقاء في ذلك فذله على وسائل عديدة
كان الرد الوحيد لا أستطيع وهنا قال الصديق ليس لها إلا الخطاب..
بالفعل سطر الصديق له خطاباً مفعماً بكلمات ذات عبر خاص
ومعاني رقيقة بحيث تقول كل شيء.. خرج من بيت الصديق متجهاً
شطرها وهو مصمم على ما يريد.. كم كانت سرعة اللحظة التي
انهدمت فيها كل الأحلام فمن بعيد بجانب النهر وجدهما.. هى
وهو.. كانت يدها بين ثنايا يده والنظرات متجاذبة والابتسامات
شفافة.. ساعتها مزق الخطاب وقرر أن ينساها.. لم يكن انسيان المرأة
بالشيء السهل في يوم من الأيام فقد كان فراقها يلهب نار حبه وبعد
عدة أسابيع أيقن أنها مستقرة في أعماقه.. فراح وحيداً يحدث كل

من يستطيع الحديث معه دون أن ييثر السر إلى غيره.. راح يكلم النهر فأخذ كلماته وراح بها إلى الأفق البعيد.. وكلم السحائب فإذا بها تهجره وتتجه إلى مكان معلوم آخر.. وكلم الهواء عله ينقل إليها وإلى صدرها وقلبها عبير كلماته ولهيب حبه ولكنه لم يكلم انساناً واحداً.. حتى صديقه الوحيد لم يرد أن يحدثه في ذلك الأمر ورغم أنه لم يستطع أن يمثل دور اللمماسك إلا أن صديقه أطلق حريره ولم يسأل بعد ذلك عنها.

رغم كراهيته الشديدة التي تضاعفت لابن عمه إلا أنه كان يشفق عليها.. أراد أن ينتقم بأن تركها معه حتى يهملها.. فقد كان يستطيع أن يواجهها بكل شيء ولم يكن ضميره ليقف حائلاً بينه وبين ذلك، كان يستطيع أن يقول لها في بساطة: أنت دميتة الجميلة.. سينال منك رغبته وحبك وبعدها سيتركك كما فعل مع كثيرات.. لم يكن ليقف عند هذا الحد بل كان يستطيع القول: إننى أحبك.. لم يفعل ذلك، رغم أن حبه لها كان يتأجج يوماً بعد يوم إلا أنه لم يستطع أن يفعل ذلك.. في يوم صمم أن يفعلها.. بعد كل هذا التردد المضمنى، صمم أن يُعلمها كل شيء بل وباللدليل القاطع.. مضى ومعه أرقام تليفونات لفتيات كن لعبته في يوم من الأيام واتجه إليها

وجلس في الحجرة التي إعتاد الجلوس بها ولكن هذه المرة لم يجدها بمفردها.. وجد معها صديقة لها وجارة أيضاً.. ساعتها شيء عجيب قد حدث فقد أحبها في نفس المكان وهنا أيضاً سيحب من جديد.. شعر أن صدره يتزلزل وأن شيئاً ما لا يستطيع وصفه يهز قلبه ويجعله كالمجنون المحموم فيرسل نبضاته على غير هدى.

شعر أن دماء جديدة لم يكن قد اعتادها تجرى في عروقه.. وأيقن لأول وهلة وهكذا فجأة أنه الحب ولم يستطع أن يشعر كيف نسي بل نسي صاحبتنا فقد أخذنا يتحدثان ويثان المعلومات من المنزل ومكانه.. الخ.. الخ.

وبدلاً من أن يعطى إليها الأرقام نسي كل الأرقام وتذكر عينين جديدتين..

في المساء لأول مرة تذكر وجهاً آخر غير هذا الوجه الذي استهلكته الأحلام وسفحه الواقع، تذكر.. عينين زرقاوين.. شعر أسود مموج.. ابتسامة وردية.. أنامل تشير في لهفة وكلمات توجز وتطنب المعاني.. وبدون موعد سابق التقيا في نفس الحجرة.. ولكن هذه المرة لم يجد عينين فقط بل وجد أربعة عيون فقد رأى أن عيني الأولى تتطلع إليه هذه المرة في شكل لم يعتاده منها.. في ملح البصر اختل ميزان نفسه

وأصبح على وشك صراع هي أم هي؟

لأول مرة شعر أنه المتحكم في زمام الأمور، بزغ السؤال وماذا عن ابن عمه؟ كانت الاجابة مستقرة في ذهنه باليوم التالي عندما رأى ابن عمه مع أخرى في نفس المكان.. هو رجل، لهذا اختارها هي.. كان لا بد أن ينتقم فهو الآن يسترد حباً كان ويعيش حباً يكون.. إذن عليه أن يجعلها تعيش مثلما عاش، هو.. أراد أن يعذبها كما عذبتة ويحطمها كما كاد أن يتحطم فخرج إليها وطلب منها أن تُبلغ حبيبته أنه يحبها.

(٥٧) (صراعه)

الصدّات تلاحقه كأنها بتحث عنه في شغف وهو نفسه أو حتى أصحابها لا يستطيعون أن يحدّدوا كيف يمكن أن يحدث كل هذا؟ وهو إنسان طيب لا يحمل لإنسان آخر أي غضب أو حقد ولكن كان كل ذنبه هو أنه لا يستطيع أن يقدر الأناس بما في جيوبهم.. في البداية كان مكثفياً بطيبته مبجلاً لما يقوله البعض عنه مثل الشفافية أو الخير أو.. ولكن البدايات لا تعنى أبداً أنها تشابه النهايات ففي غضون شهور قليلة تحول المخلوق البرئ إلى آخر يضع نصب عينيه المادة ولا يجد عنها تحولاً.. كل هذا لأن القلب قد اختار من دون القلوب قلباً يضح مصهور المادة وبدلاً من أن يعرج القلب الشفاف إلى آخر على سجيته إذابه يتجه إلى ذلك القلب أكثر وأكثر.. بدلاً من أن يحطم وثنية الحب اتجه يعبد مزيف الحب فإذا به يتحطم.. يشعر أن صدره أصبح خاوياً.. الحياة ذاتها أضحت بلا نكهة

أو مذاق.. وتساءل الحبيب ماذا يمكن أن أفعل؟

بؤرة التساءل لم تتوقف إذ انتفض اليأس من ممكنه يحمل
تساؤلات أخطر فاتجه إلى القدر يسأله ويحاسبه وقد تناسى أن القدر
أول من أعطاه القلب ليحب به.. عاش وقد تحطم قلبه ولا يجد شيئاً
يفعله سوى أن يلوم الأيام لماذا خُلِق فقيراً.. نعم هو فقير وإلا ما كان
لوثنية الحب من أثر عليه؟

لم يجد بديلاً من الانزلاق.. في غضون أيام قليلة- إلى هاوية التردد
والقلق وفقد الثقة في النفس.. فما أن يتحدث بكلمة حتى يشك هي
كانت منطقية؟ هل كانت صحيحة المعنى؟ هل كان يجب أن يقولها؟
حتى إن ارتدى رداءً أخذ ينظر إلى نفسه بالمرآة وهو لا يصدق
أنه سوف يكون على ما ير ام.. لم تكن نفسه لتستطيع أن تقف عند
هذا الحد فقد أرادت أن تظهر بمظهر الهادئ غير المهتم ولكن كيف
يستطيع أن يخفى نزيه غطى جسده؟

لم يجد سوى الاضواء ليخفي الحقائق المستترة فإذا بضحكاته
تتصاعد واحدة تلو الأخرى، ولكنها لم تكن ضحكات بل كانت
صرخات.. كنا قد عهدنا ضحكته الهادئة ولكن الآن كانت الضحكات
المرتفعة تعنى أن ثمة جرحاً غائراً يؤلمه ولا يزال يؤلمه حتى تكف

الصرخات الضاحكة عن صراخها.. كان السؤال الذى يحيره هو كيف يستطيع أن يثبت أنه يستطيع أن يهدم هذا الحب أمامها خاصة وهو فى قرارة نفسه يعلم أن كل محاولة فاشلة فاشلة؟

فاتجه إلى أخرى وأصاب منها غرضه الذى لم يكن يتصوره فى يوم من الأيام. فهو فى أمور الغرام لا يثق فى نفسه كثيراً ولطالما نهر نفسه ومنعها عن الالتجاء إلى حواء حتى لا يُصدم.. كأن الصدمة التى جعلته يعيش فى محيطها وتديره حتى تُفقدته وعيه أعطت له الفرصة لى يحطم الضمير بهذا الشأن.. تمردت نفسه وأقنعت ضميرها بأنه لم يعد يمكن الحفاظ على شىء فقد أُهدرت العاطفة.. لم يجد الضمير أى ذريعة يتمسك بها فقد هربت الحياة من بين أنامله أدلة القانون فما كان منه إلا أن رفع (مؤقتاً) الراية البيضاء.

نفسه المتمردة لم تستطع أن تقتل الحب الأول رغم أنها سمعت كلمات حب من أخرى.. حدث عكس ما كان يريد فقد كانت كلمات الحب الثانية قوت نار الحب الأول فإذا به يهيم إلى الوثنية التى لم تغب عنه ويدور فى كونها.. بدأت مرحلة جديدة هى.. لماذا لا يحتقر المرأة؟ وكأن هذا الاحتقار لم يكن للمرأة نفسها بل لهاهى خاصة وكأنه بذلك يقتل روح الحب التى ترعرعت بداخله فالحل الوحيد هو أن

يقنع نفسه بأن المرأة عامة لا تستحقه هو فإذا بها تترفع عن الحب كله ولكن نفسه لم تقتنع بهذا كله.. وظلت تتجه إلى الطريق الذي رسم لها.

من يوم إلى آخر بدأ وزنه المعنوي يتلاشى.. أدرك أن حياة الضياع قد تستطيع أن تُنسيه إياها.. عليه إذن أن يتحدث دون أن يحاسب نفسه وأن يرى جمال هذه ويتمنى هذه ويرغب في أخرى.. عليه أن يعيش بلا قلب، ضائع.. حتى يستطيع أن يقنع أساسه أنه لا بد أن يتغير، لقد نشأ على الصحيح ولكن ما وجده حتى الآن تيار من اللاواقع الذي تربى عليه ونشأ في كنفه.. تحولت الأحداث إلى تطور جديد في صراعه مع نفسه فبدلاً من أن يقاتل نفسه أراد أن يغير معالم ضميره.. أراد أن يدمجها بين خبايا الواقع وهو بذلك يريد أن يكتسح مقاومة ضميره أمام تيارات الواقع فاتحاً كوة في جدار شرفة ينفذ منها إلى الباطل وهو يعلم جيداً أن الباطل هو الذي يستطيع أن يأتي بسائل جديد يتخذ من الشرايين طرقاتاً له.. ليس هذا فقط ان هذا السائل الجديد هو الوحيد القادر على أداء مناسك الاتجاه إليها وشراء وثنياتها.

في مرة واحدة اكتشف أنه لا يستطيع أن يفعل هذا بسهولة

فقد دُعى إلى البغاء ولم تستطع قدماه الوقوف في طريق المقاومة وكان هذا الموقف كان السبيل الوحيد للقضاء على الضمير في أول تجارب عملية حياتية فكل ما مضى لا يستطيع إلا أن يقوله.. ها هو يرى أنثى مثلها مسجاة أمامه تنفث رغبتها اليه ولم يستطيع أن يقاوم لأول وهلة قوة عينها فأنساق إليها.. اللحظة الأخيرة هب الضمير من مكنمه فبدد كل شيء.. بدد محاولاته لتحطيم تعاليم الماضي الطويل ولكن هذا التحطيم أرجعه سليماً إلى دائرة الانكسار مرة أخرى فقد وضعه بمواجهتها من جديد.. وكان الضمير انتشله ليعانى من جديد.. له صديق من بين أصدقائه يحبه ويحبه وكان كلما أراد أن يتحدث عن نفسه لجأ إليه فهو يشعر أنه لا يجد حرجاً في الحديث معه عن كل ما يريد.. في هذه المرة كان الزمن قصيراً بحيث أنهما لم يتصارحا.. أعتاد أن ينصت إلى نبضات قلبه ولكن في هذه الآونة فقط شعر أن نبضة جديدة لم تلبث أن تتواجد.. نبضة قد ولدت قوية تستطيع أن تحطم هذه التجربة القاسية القديمة.. نبضة شعر معها أنه يستطيع أن يقهر العالم وأن يعيد صلته بنفسه وضميره.. كان هذا اليوم.. فقد كان يسير مع هذا الصديق.. الذى تحدث معه وأقنعه بأشياء قليلة أو كثيرة، كان يشعر تجاه هذا الصديق أنه لا يستحق صداقته فهو حتى الآن لم يسد

إليه خدمة واحدة.. كل ما يفعله أن يتجه إليه يُسر إليه بعض الأسرار ويتحدث معه لأنه مقتنع أنه لن يجد الإجابة إلا عنده.

ود لو أن صديقه يحتاج إليه في شيء ما ولكن لم يجد هذا الشيء فقد تناسى أن الصداقة يجب أن تنزه عن كل الأخذ والرد ولكن اقتناعه بأن هذه الصداقة لا ترضى غروره في العطاء في نفس الوقت الذي يأخذ باسمها كل شيء جعله لا يستطيع أن يعتبر نفسه صديق بحق إلا إذا أعطى كما يأخذ.

أخيراً وهبه القدر اختيار عصيب فقد قال له الصديق إنه يريد هذه النبضة نفس حبيته وبالطبع الصديق لم يكن يعلم أن هذه النبضة قد استقرت إليه ولكن لم يكن هذا كل شيء فقد كانت نبضة الصديق متبادلة.. وهنا بزغ الاختيار خاصة أن صاحبنا كان هو الجسر الصديق إليها.. كان عليه أن يقدمه إليها وأن يزكيه إليها..

لقد وجد أخيراً الطريق الذي يثبت عن طريقه أنه يستحق كلمة صديقه الشخصى الذى لطالما تمنى أن يساعده.. ولكن هذا الطريق يعنى شيء آخر أنه لابد أن يهيم مدة طويلة أخرى حتى يجد طريقاً جديداً.

(٥٨)

(الشروق أو الغروب)

عاش بالفترة السابقة رغم قصرها في جحيم.. فقد ثار البركان
عندما تساءل في مرارة، هل يمكن لها أن تخونني؟ كانت له القطرة
النديّة التي تخللت أيامه الجافة فراح معها يحبها.. يضع على عاتقه
سعادتها وينفق عمره في الاتيان مع أعماقها بالرضى.. وعندما كان
يسير في طريقه إليها اعتملت أفكاره ربما للمرة الأخيرة.. وكأنّ قدماه
اللتان تقودانه إلى نهاية المطاف قد أوحى بما تعتمد إليه بالاعتراف..
راح يمر على أطراف الأغصان التي تتلوى تحت نير الريح. هزأ بها
فقد أدرك أن أعماقه ستعصف بكل شيء لا هذه الأغصان التي تتلوى
مشنوقة.. ركل حجرة بيساره ولم يتتبع مسارها في الظلام وراح يطلق
زقرة طويلة حارة.. صرخ في صمت ملتهب: يجب قتلها.. يجب قتلها.
وكان كلمة القتل قد بعثت الخوف للحظة في نفسه إلا أنه أنكرها
وصار قدما إلى رغبته حتى إذا ما صعب عليه الانكار توسل بصره هذه

الأشجار الكافورية منصة قضاء.. راح يهتف وهو بالطبع من يسكب الاتهامات.. قال في حرارة الجريح المنتقم.. نعم.. نعم اعترف بأنني كلب شريد.. زال.. منذ الصبا وأنا هائم إلى اللاشيء.. ذهبت عن أسرتي.. احترفت السرقة.. اعترف يا سادة بكل هذا. ولكن لأنني اعترفت بكل هذا فأنا لا أنكر أنني رجل.. الرجل دائماً يحب الهوى وهذا هو الذي أوقعني معها.. ترددت إلى ديار الدعارة.. أنا اعترف يا سادة فلا تنظروا إليّ هذه النظرة.. رأيته هناك.. هل تريدون وصفها؟.. لماذا تريدون؟ أنتم ثنايا الجمال والطبيعة تستطيعون تخيل القمر إذا أخذت ثناياه تتجمع من جديد فتعطي هالة الجمال والضوء. أنها داعرة أنا لا أنكر ذلك ولكني أحببتها.. أحببها ذلك الرجل الذي كرهته من قبل.. صدقوني قاومت حبها بكل كياني ولكن سرها أنزوى إلى ركن لم استطع اقتلعه من نفسي.. من أعماقي. وهبتها كل هذا..

الرجل والمال.. أحببته.. صدقوني.. مالي أراكم لا تصدقوني؟

أقسم أنها قد تكون حقاً لم تحبني.. ولكني أحببتها هذا واقع.. ماذا تنتظر؟ رجل جاء يسعى إليها طالباً رفقتها ويسامح في كل هذا جاء بالمال يريد حياته معها.. قبلت.. طرت محلقة إلى السماء مع أحلامي.. شهر، شهر، هذا لا يعينني.. الزمان هنا توقف وامتد.. حتى

إذا ماجء موضع ووقت الزواج.. ماذا فعلت.. راحت إلى أحضان رجل آخر.. ثرى.. ومثلى سارق.. آه أراكم تعترضون!!

الا يجب أن أقتلها؟ الا يجب أن أنتقم منها.. لقد وهبتها كل شيء سامحتها.. فتحت لها من آفاق الدنيا كل ما استطعت وأكثر مما تطلب أى رفات مثلها. وكأنه قضى الأمر ولم يعد يشعر بتلك المشاعر البغيضة التى كانت تمزق صدره.. الآن استطاع أن يتخلص من كل هذا.. ضغط على جيبه الأيسر فاصطدمت يده بأداة عدله.. دار ببصره فى كل مكان.. ها هو يلج بداية الحارة.. الهدوء صنع نيران جديدة فخطا أول خطواته.. فجأة سمع صوت يصرخ.. ارتجت أعماقه وخارت قطرات العرق على وجهه.. كان على استعداد أن يغمد أدواته فى جمجمة أى معترض عدله الرجولى.. وفى الظلام تقابلت العيون.. أطلق زفرة حارة.. وتمتم إنه شحاذ.. المتعت عيني الشحاذ بالدموع وهوت على وجنتيه.. وكأن الأمر قد استغلق عليه فتلوى وجهه معترضاً مفكراً.. همس فى صوت خائف يدعى الثبات.. ماذا تريد؟ ولم يتحدث الرجل بينما تسلفت نظرات الآخر إلى جسده المحرون وقطرات الدم المتجلطة على وجهه. لاحظ دموعه المتقطرة فلاحظ أنها دموع حمراء. وقع تأثير هذا وقعاً شديداً فى نفسه بل

كادت عيناه أن تدمع.. كرر سؤاله: ماذا تريد؟
وأمعن الشحاذ في صمته القاتل.. فقط أدمع ووجهه يعتصره
الأم شعر أن قلبه يحثه على شيء عبث بجيبه الأيسر فلم يجد
شيئاً يعطيه إياه، عندما أغمد يده في الأيمن خرج بقطعة صغيرة
من النقود.. تلالأت لها النظرات.. أعطاهما الشحاذ.. فرفع بصره إليه
وجفف دمه الأحمَر وسار بخطوات عرجاء بطيئة.. أما هو فقد أراد
أن يعطيه كل ما لديه.. ما يضمن له السعادة الأبدية مما يعتقد أنه
قادر على هذا ولكنه لم يعطه إلا الشيء الوحيد الذي كان يحمل..
تردد لحظة وفي النهاية ضغط عليه وصعد الدرجات الحجرية حتى
وصل إلى دركته هناتك سُمع صرخة مكتومة.

(٥٩)

العودة

اعتصره الألم عندما تذكر الماضي المجيد.. كان ماضى الشهرة
والمجد.. الممثل العظيم الآن ينزوى فى إحدى الأماكن.. شقته
المتواضعة.. ليجتر الماضي ويتألم للحاضر.. انه الآن فى زوايا النسيان..
أين الاهتمام؟.. أين المجد؟ بل أين الحياة؟

زوجه ماتت منذ زمن بعيد.. ابنته فى رحلة طويلة إلى بريطانيا مع
زوجها.. وحيد.. متفرد بالألم والتجاهل والنسيان.. هَرِمَ.. وكأن هَرِمَ
قد باعد بينه وبين العمل التمثيلى قاطبةً.. وهذا ما حدث.. ليجد
نفسه بعد سبعة عقود فى شقته المتواضعة يعانى اهمال الجميع.. قرر
الا يستسلم لليأس.. ولا يستسلم للنسيان.. ولكن كيف؟ ان له مئات
المحاولات للعودة للتمثيل ولكنه لم يوفق.. قالوا له إنه قد كبر ولم يعد
نجم شباك.. قال: إنه مازال قادراً على العطاء، وأنه مازال قادراً أن
يمثل أدواراً يكاد يكون الوحيد فى مصر الذى يستطيع تمثيلها.. قالوا:

لا.. لأنه قد صبح هَرِم.. سخر قائلاً: هَرِم أم هَرَم؟ قبل أن يضرب ضربته اتصل بابنته كأنه يلتمس عندها آخر امارات الحياة.. وقد حدث.. أسعدته المكاملة التليفونية.. فقد بثت فيه امارات السعادة.. خاصة أنه قد اطمأن على ابنته.. لم يكن ذلك كل شيء، إذ أنها طلبت منه أن يحضر بصفة نهائية إلى بريطانيا.. رفض، لأنه لا يستطيع أن يعيش الا في مصر.. قالت له انه قد كبر ولم يعد نجم شبك وعليه أن يدرك ذلك.. أصر أن له رسالة وأنه سيكملها.. رغم أن المكاملة كانت ودية إلا أنها كانت عاصفة لأن الابنة لا توافق على توجه ابوها الذي يصر على العودة إلى أوج المجد.. قرر تنفيذ الضربة..

بعد اسبوع.. اختار الصحفية اللامعة التي دائماً ما تكون في صفه ليقول لها إنه قد اختفى من منزله بعد أن سئم كل شيء وأنه سينتحر بعد غد وأنه الآن في معزله بعيداً عن الجميع.. ردت عليه في حماس ولهفة.. لا تفعل.. سأفعل.. لأننى أصبحت كما مهملاً.. طلبت منه باصرار الا يفعل وأنها سوف تُدبر الأمر.. اتفقا أن يتصل بها في الغد في تمام الساعة السادسة مساءً.. مر ليله في صعوبة.. لقد هدد بالانتحار لأنه أصبح كما مهملاً.. لأنه يائس.. ولأن المجتمع قد نسيه ولأن الوسط الفننى قد تجاهله.. ولان الإعلام قد شطبه من الوجود.

قرر أن ضربته ما لم تفلح فلسوف ينتحر بالفعل.. ليؤكد ذلك تذكر.. دوراً قديماً قام به في أحد المسرحيات عن انتحار مظلوم. قرر أن يؤدي دوره في معزله.. محص ذاكرته جيداً فأتي منها بمعظم الدور.. وبدأ الأداء.. استمع الى صوت الجماهير مجيئه اياه في الماضي فانتشى.. توقع إذا ما قام بنفس الدور أو غيره يحوز نجاحاً أكبر، لأنه الآن اكثر نضجا وحنكة.. عاوده الأمل بعد أداء الدور لأنه مازال الفنان الكبير عقلاً وموهبة ولياقة وذاكرة، لم يستطع النوم في هذه الليلة خاصة أن فكرة الانتحار قد استولت عليه إذا ما استمر تجاهل العالم له.. اقشعرت نفسه إذ أدرك أنه ربما يكون على أعتاب الموت.. هفت: (أنا مضطر إلى ذلك. لا يمكن أن تستمر الحياة بهذا التجاهل الرهيب.. انه حكم بالموت.. وأنا لا أقبل كل ذلك)..

مر الليل الطويل في بطاء شديد فإذا ما جاء النهار كان اعتقاده ان الفشل سيلاحقه لا محالة، لأن المجتمع قد اكتسحه عدم تكريم الماضي، والحفاظ على كوادر اليوم.. زاد تصميمه على الانتحار مع الفشل.. تصفح الصحف التي جاء بها معه في معزله.. انها صحف الشهر الماضي.. لا جديد.. الأخبار هي هي.. الأحداث هي هي.. العالم راكد.. واني له أن يتحرك.. يكاد ينسلخ من هذا العالم إن أصر على

تجاهله.. داهمته فكرة أن يستعد بأفكار إذا ما عاد أو إذا ما مسحوا له بالعودة إلى التمثيل.. أخرج الورق والقلم من من حقيبته.. أخذ يكتب.. اكتسحته السعادة. منذ زمن طويل لم تتدفق عليه هذه الأفكار الجميلة.. داهمته فكرة الحب.. قرر أن يمثل الآن.. وفي وحدته ومعزله.. هذا الدور.. على الفور ابدل ملابسه بأقرب ما يكون إلى الدور.. حفظ السطور التي سطرها وأزاد عليها ارتجالاً.. كان في قمة قوته وأدائه ولياقته.. أدرك نجاحه وأدرك نجاحه في المستقبل.. فأصر على خطته.. في تمام السادسة مساءً اقترب من المسرة يسحقه الشك في نجاح محاولة العودة إلى الحياة. كان مفاجأة ساحقة.. ان العالم كله يعتذر له.. والوسط الفني.. واليوم. يقام له حفلة في أحد الفنادق الكبرى لا للتكريم ولكن لإمضاء عقد فيلم سيمثل فيه دوراً هاماً. لم يصدق ان الموعد مع الحياة في تمام العاشرة مساء اليوم.. أي أن البقية أربعة ساعات فقط.. ان العالم كله يطلب منه أن يعود الى الحياة.. لأن لا حياة بدونه.

كان نجم الحفل بالفعل. صفقوا له نصف ساعة كاملة.. واعتذروا له للخطأ غير المقصود.. امهر عقد الفيلم وتبرع بنصف أجره.. كالعادة.. للعمل الخيري.. وتم تحديد موعد ومكان التصوير..

اقتربت منه الصحفية في نهاية الحفل.. وقالت:

كأنى أراك لأول مرة

ورد..

- كأنى ولدت من جديد..

- أنت مازلت نجم النجوم

- هى رسالة.. والباقى من زمنى أيام

- أطال الله فى أجلك

- أشكرك.. وأدعوك إلى التصوير لتخوضى تجربة إعلامية جديد..

- سأفعل..

- الوداع

- الوداع.

الفهرس

- 5 (1) إليه الملاذ؟
- 8 (2) ويا قلبى لا تحزن
- 11 (3) رباح الغربة
- 14 (4) الحب الذى ضاع
- 16 (5) إشراق الدمع
- 19 (6) (حى على الصلاة)
- 21 (7) احبها
- 24 (8) إنه أراد.. ولكن..
- 26 (9) (زائر الليل)
- 28 (10) "لا"

- 32 (11) الشهيد
- 34 (12) (قطرة من نهر)
- 37 (13) (المنية)
- 41 (14) (امرأة تتذكر)
- 44 (15) «اعتراف»
- 47 (16) «بين ثنايا الابتسامات»
- 49 (17) «المواجهة والنجاة»
- 52 (18) نداء الغريزة
- 67 (19) «الدمعة والطوفان»
- 72 (20) (موقف)
- 89 (21) عزيزى.. إننى أكرهك!!
- 103 (22) "شاعرة البيت الواحد"
- 128 (23) "السقوط"

- 147 «المقتول القاتل» (24)
- 169 «البعث الذي أفل» (25)
- 175 (خطوة) (26)
- 180 (الورقة الأخيرة) (27)
- 186 (ابن الحارة) (28)
- 196 الجبهة والقاع (29)
- 201 الحائرة (أو) زهرة بلا عبير (30)
- 206 تصبرون (31)
- 210 من أجل قصيدة (32)
- 215 «حديث الغسق» (33)
- 218 فجران (34)
- 225 (دمعتان) (35)
- 229 (اعترافات اللحظة الأخيرة) (36)

- 239 (37) الطريق لا يزال طويلاً
- 253 (38) الملعب
- 257 (39) رسالة
- 263 (40) الجريمة
- 270 (41) رد
- 271 (42) «الثالث»
- 274 (43) سأواصل
- 277 (44) الكائن الصغير
- 281 (45) ليلة التفوق
- 284 (46) صاحبه
- 286 (47) مرور
- 287 (48) المحطة
- 289 (49) خيال المآتة

- 296 «كبرياء» (50)
- 301 «الحب الكبير» (51)
- 305 «مازالت في ظله» (52)
- 307 (هو والأفعي) (53)
- 309 (عبد الدائم) (54)
- 314 صفحة من المذكرات (55)
- 318 (إنه الحب) (56)
- 324 (صراعه) (57)
- 330 (الشروق أو الغروب) (58)
- 334 العودة (59)